الكتاب والتوراة
عندما باع الحاخامات
موسى عليه السلام
د حسن الباش
http://kotob.has.it

الكتاب والثورة

الطبعة الأولى

1425هـ - 2004 م

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا
ص.ب: 13414
هاتف: 30 24 224 11 963+
فاكس: 36 10 245 11 963+

بيروت - لبنان
ص.ب: 14/6364
خليوي: 833 814 3 961+
فاكس: 171 377 1 961+

www.kotaiba.com
E-mail : dar@kotaiba.com

الكتاب والتوراة

عندما باع الحاخامات موسى عليه السلام

د. حسن الباش

إهـــداء

إلى الذين سطَّروا بدمائهم ملحمة الأرض المباركة في جنين وحيفا والقدس ونابلس والخليل وغزة وطولكرم إلى روح أخي عمر إلى كل المجاهدين والشهداء من أبناء شعبي الفلسطيني وأمتي العربية والإسلامية في فلسطين والعراق وكل شبر عربي وإسلامي

أهدي هذا الكتاب

د . حسن الباش

مدخل

اختلطت البحوث وتقييماتها، واختلفت فيما بينها في أمور واتفقت في أمور أخرى ذلك لأن دراسة حياة بني إسرائيل وعقائدهم لم تكن تعتمد على سبر أعماق التوراة وكذلك فهم نصوص القرآن فهماً دقيقاً.

وبسبب التحريف الذي قصده بنو إسرائيل، أصبحت الدراسات تحتاج إلى كشف الغموض الذي أحاط بأحداث حياتهم، والذي أشكل على الكثيرين ممن تناولوها مما أدى إلى أحكام خاطئة وتقييمات ليست صحيحة.

ومما زاد في الإشكالات؛ وجود أكثر من كتاب يطلقون عليه اسم التوراة، فهناك التوراة العبرانية، والتوراة السامرية، والتوراة السبعينية اليونانية، وكل توراة تختلف عن الأخرى من حيث عدد أسفارها وأسلوب كتابتها ومنهجها الديني والعقيدي، وجميعها ترى أنها الصحيحة وما عداها غير صحيح ولا يؤخذ به.

التوراة العبرانية تتألف من تسعة وثلاثين سفراً وأصحابها يعتبرونها الكتاب المقدس على الرغم من أنها نفسها تقول: إن الأسفار الخمسة الأولى هي وحدها التي نزلت على موسى ﷺ، أما الأربعة والثلاثون سفراً الباقية فقد أوحي بها لأنبياء وشخصيات ورجال أتوا بعد موسى.

والتوراة السامرية ترى أن الأسفار الخمسة: التكوين والخروج والعدد واللاويين والتثنية هي التي أنزلت على موسى ولذلك فإنها هي التوراة وما عداها هو تأليف وليس وحياً، ولذلك يرفضون الأسفار الأربعة والثلاثين الباقية من التوراة.

وتزيد الكنيسة الكاثوليكية أسفاراً أخرى على التسعة والثلاثين سفراً حتى يصل عددها إلى أكثر من أربعين سفراً.

ويضاف إلى ذلك التوارة التي اعتمدتها طائفة الأسينيين التي اتخذت من مغاور قمران مقرات دينية لها. وقد أخفيت مخطوطات قمران التوراتية من قبل اليهود الحديثين لأنها كما

يُقال تخالف عقيدياً وتاريخياً التوراة العبرانية المعتمدة لدى غالبية اليهود المعاصرين.

السامريون يرفضون توراة العبرانيين، والعبرانيون يرفضون حصر التوراة بأسفار موسى الخمسة، والكاثوليكية الغربية تزيد على الاثنتين وترفض الاقتصار عليهما وهذا ما جعلنا نتوقف طويلاً أمام هذه المسألة ونطرح الأسئلة الموجبة لذلك.

ما هي التوراة العبرانية وما هي التوراة السبعينية، وما هي التوراة السامرية؟ هل التوراة العبرانية وحي من الله أم أن القسم الأكبر منها هو تأليف ليس له علاقة بالتنزيل؟

لماذا يصر السامريون على أن ما أنزل على موسى عليه السلام هي فقط أسفار خمسة وليس للأسفار الأخرى أيّ قدسية دينية لديهم؟.

ثم لماذا تصر الكنيسة الكاثوليكية الغربية على جعل التوراة أكثر من أربعين سفراً على الرغم من أن اليهود يطلقون على الأسفار الزائدة على التسعة والثلاثين سفراً اسم الأسفار المحظورة (الإبوكريفا) أو الممنوعة؟

إن هذه الأسئلة تقودنا إلى البحث عن جواب، وليس من السهل على أي باحث الإجابة عنها دون أن يرى جميع أشكال التوراة وأسفارها ومضامينها العقيدية والتاريخية وحتى يبدأ من جديد لابد من العودة إلى نصوص القرآن الكريم يقرأ ويفهم مقاصدها وكلماتها، خاصة أن جميع الإشكالات التي تعترض طريقنا تجد حلاً شافياً لها في كتاب الله الذي أنزل على محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ.

إن البحث في ما سبق يستدرجنا إلى طرح المسائل التالية:

أولاً: إن التوراة العبرانية تقول في نهاية الأسفار الخمسة: إن موسى مات ولم يعرف بنو إسرائيل نبياً مثله. فإذا كان موسى عليه السلام قد تلقى من ربه الرسالة المحصورة بالأسفار الخمسة ومات، فعلى من نزلت بقية الأسفار وعددها أربعة وثلاثون سفراً؟ هل هي من وحي الله والوحي بالرسالة لا ينزل إلا على الأنبياء؟ ومن هم الأنبياء الذي أوحي لهم بعد موسى وأكملوا الأسفار الخمسة بأسفار نبوية جديدة؟ فإذا قيل إن داود وسليمان عليهما السلام نبيان مرسلان وقد أوحي لهما وما جاء في التوراة من ذكر لهما ولتشريعهما هو من التوراة نقول: إن أسفاراً كتبت في هذه التوراة ليس لها علاقة دينية أو تاريخية بسليمان وأبيه داود ومنها سفر يشوع والقضاة وصموئيل الأول، والفرق زمنياً

بين موسى عليه السلام وداود وسليمان عليهما السلام كبير قد يصل إلى ثلاثمائة سنة.

ثانياً: في آيات القرآن الكريم ذكر لكلمة التوراة في تسعة عشر موضعاً لم تقرن مرة واحدة بموسى عليه السلام بينما اقترن اسم موسى بكلمة الكتاب. فما الذي يعني ورود الكتاب مقترناً بموسى وعدم اقتران موسى بالتوراة؟ ألا يعني أن ما أنزل على موسى ليس التوراة المؤلفة من تسعة وثلاثين سفراً إنما هو كتاب أقرب إلى الأسفار الخمسة فقط كما يقول السامريون؟

ثالثاً: إن المدقق فيما ورد في أسفار موسى الخمسة من تشريعات يجد أنها تختلف جذرياً مع الأسفار المتبقية في التوراة، وتلك التشريعات تقترب في أغلبها مما ورد في القرآن الكريم حين يتحدث عن موسى وتعاليمه التي أوحى بها الله له ليعلمها لبني إسرائيل.

رابعاً: ورد في التوراة وكذلك في القرآن الكريم أن موسى عليه السلام تلقى وحي الكتاب الذي أنزل عليه مدوناً على ألواح، فإذا قلنا: إن التوراة كما هي عند العبرانيين كتبت في الألواح فإن ذلك غير موافق للمنطق والعقل، لأن التسعة والثلاثين سفراً تحتاج لعشرات الألواح أو لمئات الألواح حتى تدون التوراة. والواقع يقول لنا: إن ما دوّن في الألواح هو كتاب موسى وليس التوراة العبرانية، والقرآن الكريم يشير بوضوح لمحتوى هذا التشريع الذي أوحى به إلى موسى، وأسفار التوراة الباقية ليس فيها تشريع لأنها كتب تاريخية.

خامساً: لقد وردت كلمة الكتاب في القرآن الكريم عشرات المرات، لكن الكتاب الذي يرتبط بموسى وبني إسرائيل يأخذ من المعاني ما هو جدير بالبحث والمناقشة لأنه ارتبط بعدة مسائل، منها ما هو متعلق بكتاب موسى، ومنها ما هو متعلق بعيسى عليه السلام، ومنها ما هو مرتبط بكتاب غيبي خاص لله سبحانه وتعالى، ومنها أيضاً ما له علاقة ببعض الأنبياء كداود وسليمان وزكريا ويحيى.

سادساً: *لقد وردت آيات كريمة تشير إلى التوراة والإنجيل وما أنزل على بني* إسرائيل فلابد أن هناك توراة وإنجيلاً غير الذي أنزل على بني إسرائيل، فما أنزل عليهم يضاف إلى التوراة والإنجيل وهو ليس منهما.

سابعاً: ورد في القرآن الكريم ذكرٌ لصحف إبراهيم وموسى. فما هي هذه الصحف المرتبطة بموسى عليه السلام. هل هي الكتاب الذي أنزل عليه أم أنها صحف مستقلة لها طابع خاص وميزات مختلفة؟

ثامناً: إن الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام طاله التحريف كما طال جميع أسفار التوراة، وهناك آيات قرآنية تشير إلى أن التحريف بدأ منذ زمن موسى عليه السلام وهذا التحريف برز واضحاً بعد أن دوّنت أسفار التوراة ودوّن كتاب موسى في السبي البابلي، وبعد أن كتبت التوراة السامرية على يد الحاخامات والربانيين السامريين. فإذا كان المسلمون مدعوين للإيمان بالكتب التي أنزلت على الأنبياء جميعاً فإن هذا الإيمان يتوجه إلى كتاب موسى أولاً وإلى ما أنزل على الأنبياء ثانياً، وما يدرينا أين وقع التحريف في كتاب موسى والتوراة. وهذا ما يقودنا إلى التفتيش عن تعاليم كتاب موسى المبثوثة في القرآن الكريم بشكل متفرق.

تاسعاً: إننا حين نجد توافقاً كبيراً بين ما ورد في القرآن الكريم من ذكر لموسى وبني إسرائيل وبين ما ورد في التوراة السامرية يدفعنا ذلك إلى القول: إن أي توراة توافق ما جاء في القرآن الكريم هي التوراة الأقرب إلى الإسلام والأقرب إلى ما بثه القرآن الكريم في آياته عن بني إسرائيل وتشريعات العقيدة التي اعتنقوها، وهي بالمحصلة تجعل من كتاب موسى الذي أنزل عليه محور حديثها وتشريعها وأخبارها.

عاشراً: إن الكاثوليكية التي تزيد على أسفار التوراة العبرانية أسفاراً أخرى لا تستند إلى أساس تاريخي أو عقيدي فما تقوله في ذلك لا يدخل قطعاً في باب البحث العلمي الجاد المخصص لمقارنة الأديان وتاريخ العقائد. ولاسيما أن السامريين اليهود يرفضون هذه الزيادة وكذلك اليهود التلموديون فإنهم يرفضونه أيضاً. وليس من حق الكاثوليكية أن تُدخل أسفاراً أخرى على ما هو موجود في توراة اليهود التلموديين وكتاب موسى وتوراة السامريين.

حادي عشر: إن الجمع بين التوراة والإنجيل تحت عنوان الكتاب المقدس هو جمع باطل مرفوض، فإذا كان القصد الجمع بين تشريعات النصرانية كما جاء بها المسيح عليه السلام وبين تشريعات موسى عليه السلام فعلى النصرانية أن تقصر جمعها بين كتاب موسى أو أسفاره الخمسة وبين الإنجيل لأن الأسفار الأربعة والثلاثين ليست من كتاب موسى وفيها من التحريف أكثر مما فيها من الصدق والحقيقة، أما إذا كان جمع التوراة والإنجيل بسبب اعتقاد الكاثوليكية والبروتستانتية أن التوراة كتاب موسى فهذا يدعو إلى البحث عن الأسباب التي دفعت البروتستانت بعد مارتن لوثر إلى دمج الكتابين معاً دون أدنى تمحيص أو تدقيق في الجانب الخرافي التوراتي وكذلك الجوانب التاريخية المتناقضة والمخلة تماماً بالمنطق التاريخي والعقل الإنساني والجانب العقيدي، وكذلك الجانب الأخلاقي.

بين الصحف والألواح

الألواح.. وبدء الرسالة الموسوية

1 ـ تشكل الألواح أول إشارة لما أنزل على موسى وتم نسخه أو تمت كتابته، وقد ورد ذكر الألواح في القرآن الكريم على الشكل التالي:

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأعراف 150-151].

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [الأعراف 154].

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأعراف 145].

2 ـ وقد ورد ذكر لوحين في التوراة السامرية وكذلك في التوراة العبرانية:

فقالت التوراة السامرية: (وأعطى موسى عند فراغه من مخاطبته في جبل سينين لوحي الشواهد لوحي جوهر مكتوبين بقدرة الله) "الإصحاح 31 سفر الخروج الفقرة 18".

وتقول: (واتجه وتحدر موسى من الجبل ولوحا الشواهد بيده. لوحان مكتوبان من جانبيهما من هاهنا ومن هاهنا هما مكتوبان واللوحان صنعة الله هما. والخط خط الله هو. حُفرا على اللوحين) "32: 15 ـ 17 سفر الخروج".

ثم تقول: (فاشتد وجد موسى وألقى عن يديه اللوحين فكسرهما في أسفل الجبل) "32: 20".

ثم تقول: (وقال الله لموسى انحت لك لوحي جوهر كالأولين لأكتب على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرت) "34: 1 ـ 2 خروج".

ثم تقول: (وقال الله لموسى إنني كاتب لك الكلمات هذه فإني بسبب الكلمات هذه قطعت معك عهداً ومع إسرائيل وأقام هناك بحضرة الله أربعين نهاراً وأربعين ليلة طعاماً لم يأكل وماء لم يشرب وكتب على اللوحين كلمات العهد العشر كلمات) "34: 27 ـ 28".

3 ـ وقد ورد ذكر لوحين أيضاً في التوراة العبرانية:

فجاء في الإصحاح 34 من سفر الخروج: (ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما وتقول: ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة لوحي حجر مكتوبين بإصبع الله). وقد قالت قبل ذلك (فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده. لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين. واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين).

وتقول: (فحمي غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسّرهما في أسفل الجبل) "32: 19".

وجاء فيها: (والآن إن غفرت خطيتهم وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت فقال الرب لموسى من أخطأ إلي أمحوه من كتابي) "32: 24".

وتقول: (ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما).

وتقول: (وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب

ماء فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر) .

فهذا ما ورد في القرآن الكريم وفي التوراة السامرية وفي التوراة العبرانية عن قصة الألواح أو اللوحين اللذين كتبت فيهما وصايا الله سبحانه .

لماذا الألواح وليس اللوحين

ذكر القرآن ألواحاً ولم يذكر لوحين ، وذكرت التوراة العبرانية لوحين من حجر والتوراة السامرية ذكرت لوحين من جوهر .

قد يكون الفرق بين ما أورده القرآن الكريم وما ورد في كتابي التوراة السامرية والعبرانية شكلياً حسب رأي بعض الدارسين والباحثين .

ولكن المدقق في الأقوال التوراتية يرى أن اللوحين كانا في يد موسى عندما نزل من الجبل ، ثم عندما طرحهما كانا في يديه الاثنتين ، وتتفق التوراة السامرية والعبرانية في ذلك وفي كلتا الحالتين فإن ما كتب في اللوحين هو حسب قول الكتابين السامرية والعبرانية عبارة عن كلمات وحسب العبرانية العشر كلمات .

وهذا يعني أن ما دوّن في اللوحين لم يكن سوى شيء قليل من التعاليم والتشريعات بينما نرى أن ما ورد في أسفار موسى الخمسة ما يحتاج لألواح كثيرة لأجل تدوينه ، فهناك سفر العدد واللاويين والتثنية عدا عن قسم كبير من سفر الخروج . وربما قالوا : إن ما دوّن في اللوحين ليس ما هو موجود في أسفار موسى الخمسة ، إنما أنزلت الأسفار تباعاً وليست دفعة واحدة . لكن حقيقة التشريع المباشر الذي راح موسى يلقيه على أتباعه يبين أن الألواح حوت هذه التعاليم والتشريعات ، وقول التوراة (إن اللوحين كانا في يده) يبين أنهما لوحان صغيران يقدر الرجل على حملهما ، هذا إذا افترضنا أنهما من حجر ، وإذا كانا من خشب فقد يكونان أكبر قليلاً ولكن التوراة تقول : (الكلام كان محفوراً عليهما) .

وعندما تقول : (على جانبيهما) فإن ذلك يعني أن اللوحين منقوشان على وجهين وليس على وجه واحد . بمعنى أن هناك أربعة وجوه نقش الكلام عليها . فهل تتسع هذه الوجوه لتدوين الأسفار الخاصة بموسى والتي فيها أساس التشريع الديني لبني إسرائيل؟

على كل حال فإن التوراة البالغ عدد أسفارها تسعة وثلاثين سفراً لم تنزل على

موسى ولذلك فإنها لم تدون في اللوحين أو الألواح . إنما الذي أنزل حسب كلام التوراة كلمات ووصايا .

أما ما جاء في القرآن الكريم فتوضحه الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأعراف 145] .

فالألواح حوت مواعظ عن كل شيء مما يحتاجون إليه من أمر الدين والدنيا ، وهذه المواعظ هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين والتفصيل هو تبيان للأحكام . والواقع أننا لو نظرنا إلى ما جاء في الأسفار الأربعة والثلاثين التي كتبت بعد أسفار موسى الخمسة لا تحتوي أحكاماً أو مواعظ . بل تحتوي تاريخاً دوّنه كتبة التوراة . وسنعود لهذا الأمر تفصيلاً في صفحات لاحقة حيث نناقش مضمون التشريع المنزل .

وعندما نعود إلى قول التوراة : إن موسى كسّر الألواح وأن الله أعاد كتابة التشريع الموسوي على لوحين جديدين ثم أعطاهما لموسى نرى أن موسى عليه السلام لن يقدم على كسر الألواح بعد أن مكث أربعين ليلة وأربعين نهاراً وهو في تربية روحية فريدة ولا يعقل أن يفرط بهما مهما كان السبب .

والحق أن قول القرآن الكريم : (وألقى الألواح) لا يعني أنها تكسرت تماماً ، وتبين آية أخرى ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ إن قول التوراة بأن الله عاد فكتبها على لوحين جديدين مرفوض والأصح ما جاء في أقوال المحدثين الذين نقلوا عن رسول الله ﷺ بعضاً مما قاله بهذا الشأن ، فقالوا كانت سبعة ألواح فرفع منها ستة أسباع بسبب الكسر وبقي سبع واحد فرفع منها ما كان من أخبار الغيب وبقي منها من المواعظ والأحكام الحلال والحرام[1] .

ويؤيد هذا القول أن معنى قوله : ﴿ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ أي التي ألقاها على الأرض ، ويعني قوله : ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ . أن النسخ عبارة عن النقل والتحويل ، فإذا نسخت كتاباً

---

(1) محمد طه الدرة ، تفسير القرآن وبيانه وإعرابه ـ المجلد الخامس ص 86 .

من كتاب حرفاً بحرف فقد نقلت ما في الأصل إلى الفرع.

وقال عطاء في ذلك: فيما بقي منها، وذلك أنه لم يبق منها إلا سبعها وذهب ستة أسباعها ولكن لم يذهب من الحدود والأحكام شيء.

وهذا القول يفسر ما جاء في سفر التكوين. فهذا السفر الذي ينسب إلى أسفار موسى دخل عليه التحريف والتخريف والتأليف؛ لأن الألواح التي تكسرت فُقد منها ما يتحدث عن الغيب والأمور الغيبية. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن ذهاب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه أربعين يوماً ثم تسليمه اللوحين تم حسب قول التوراة العبرانية في الإصحاح 31 ـ 32 من سفر الخروج. وحسب السامرية في الإصحاح 34 وهذا يعني أن ما دُون في التوراة في سفر الخروج من الإصحاح الأول وحتى الإصحاح الثلاثين كتب قبل أن تنزل الألواح فكيف دُونت واعتبرت من أسفار موسى الخمسة التي أنزلت عليه؟ هل كتبها قبل أن تنزل الرسالة عليه أم أن هذه الإصحاحات ليست مما نزل على موسى لأن ليس بها لا أحكام ولا تشريع ولا حلال ولا حرام؟

وهذا يقودنا أيضاً إلى عدم الاقتناع بأن سفر التكوين كما دوّنه التوراتيون هو من أسفار موسى الخمسة لأنه كتب قبل أن تنزل الرسالة على موسى حسب الترتيب التوراتي.

ويبقى لدينا ثلاثة أسفار هي العدد والتثنية واللاويين وجزء أقل من النصف من سفر الخروج.

أما كيف احتوى سفر التكوين على قصص الخلق وآدم وأولاده وإبراهيم وإسحق وإسماعيل ويعقوب وأولاده والأسباط ويوسف. فإن ذلك جاء من خلال التناقل الشفهي بين بني إسرائيل، ولا ريب أن موسى وهارون عليهما السلام ظلا يعلّمان بني إسرائيل التشريع وقصص الكون والخلق والأنبياء الأولين حسبما علمهما إياها رب العالمين، وذلك من خلال استمرار الوحي والتعليم الإلهي لموسى، وليس شرطاً أن يكون ذلك مما كُتب في اللوحين أو الألواح.

وإذا تذكرنا بدء الوحي على سيدنا محمد ﷺ يحضرنا أنه عليه الصلاة والسلام تلقى أول ما تلقى قوله تعالى: ﴿اقرأ﴾ ثم تتتابع الآيات ويبدأ التدوين والحفظ منذ تلك اللحظة أي منذ تلقي الوحي أول مرة، بينما نرى أن التكوين وقسماً كبيراً من الخروج وضع حسب الترتيب التوراتي وليس حسب ما نزل على موسى في البداية.

صحف موسى

أشار القرآن الكريم في سورة الأعلى إلى صحف إبراهيم وموسى ، وقد وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ تشير إلى ما حوته هذه الصحف ، وقد أشكلت لدى كثير من المسلمين هذه المسألة ، حتى بات بعضهم يقول : إن صحفاً أنزلت على موسى قبل أن يأتيه الله الكتاب ، وبعضهم قال : إنها جزء من التوراة ، واختلفت الآراء حول ذلك .

فهل صحف موسى ﷺ مختلفة عن الكتاب الذي أنزل عليه؟

وهل من علاقة بين هذه الصحف والتوراة؟

ما هي تعاليم هذه الصحف أو ما مضمونها؟

يقول تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى 14-19] . وأشار المفسرون المسلمون إلى أن السورة ـ الأعلى ـ نزلت كلها في صحف إبراهيم وموسى وأشار بعضهم إلى أنها نزلت بمعانيها وليس بلفظها .

وقد أخرج عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر عن أبي ذر ﷺ قال : قلت يارسول الله ! كم أنزل الله من كتاب قال : مائة كتاب وأربعة كتب : أنزل على شيث خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة ، وعلى إبراهيم عشر صحائف ، وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف ، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان .

وتتمة الحديث تقول : قلت يا رسول الله ! فما كانت صحف موسى قال : كانت عبراً كلها ، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، ولمن أيقن بالموت ثم يضحك ولمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن إليها ، ولمن أيقن بالقدر ثم ينصب . ولمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل قلت : يا رسول الله ! هل أنزل عليك شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى قال : يا أبا ذر ! نعم : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [(1)] .

---

(1) السيوطي : الدر المنثور في التفسير المأثور ـ الجزء السادس ـ في تفسير سورة الأعلى .

فإذا استندنا إلى حديث رسول الله ﷺ فإننا نـدرك أن هـذه الصحف قد نزلت على موسى قبل التوراة، وهذا ما يتوافق مع القرآن الكريم؛ حيث إن القرآن الكريم أشار إلى تنزيل الكتاب على موسى خاصة، ثم أنزل التوراة الحقيقية.

لكن يبقى السؤال المطروح هو: ما علاقة الألواح بهذه الصحف، وهل الألواح تعني الصحف نفسها أم أن المضمون الذي حوته الألواح هو مضمون ما حوته الصحف فقط؟

الواقع أن هناك توافقاً تاماً بين ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً﴾ [الأعراف 145] وبين ما جاء في حديث رسول الله ﷺ في الحديث "كانت عبراً كلها" فالعبرة والموعظة تتجهان نحو تربية النفس على عدم حب الدنيا طالما أن الموت قريب وهذه هي طريقة الأنبياء جميعاً في تبليغ الدعوة.

ومع ذلك فإن هناك احتمالاً لابد من طرحه.

لقد أنزل الله سبحانه الكتاب على موسى في ألواح، وجرى ذلك بعد أن مكث موسى عليه السلام أربعين نهاراً يتعبد وهو صائم، ونزل عليه الكتاب بزمن محدد ومكان محدد وهذا الزمن وهذا المكان تشير إليهما آيات القرآن الكريم. لكن موسى عليه السلام بُلغ بالنبوة والدعوة قبل نزول الكتاب عليه، فذهب هو وأخوه هارون إلى فرعون وجادله، وقد بينت آيات القرآن الكريم مضمون هذا الجدال ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۝ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝﴾ [البقرة 51-54]

فالآية أو الآيات تشير أولاً إلى أن موسى وهارون أوحي لهما ثم جاءت الآيات لتبين دعوة موسى للتوحيد من خلال حديثه عن رب العالمين وفضله على البشر.

والواقع أن الكتاب أنزل على موسى بعد خروج موسى من مصر. فالأمور التي أوحى بها الله لموسى ولأخيه كانت سابقة على تنزيل الكتاب.

من هنا يمكن لنا أن نفترض أن مضمون هـذا الوحـي هـو مضمـون صحـف موسـى ، حيث كانت هذه الصحف تضـم وحيـاً لأمـور محـددة فيهـا موعظـة ودعـوة إلـى التوحيـد وليس فيها تشريع . وطبيعي أن التشريع نزل على موسى بعد أن تخلص من حكم فرعون وظلمه وبعد أن استقر بنو إسرائيل في سيناء وهم آنذاك يحتاجون لهذا التشريع .

فالصحف السابقة على الكتاب وليس فيها تشريع إنما هي مواعظ وعبر ، وقد تكـون ضمـت إلـى الكتـاب بعـد أن تم نسـخها وتدوينهـا وربمـا حذفهـا التحريفيـون اليهـود عنـد التدوين .

الكتاب والتوراة.. فصل في أسبقية التنزيل

تعترضنا في هذا الفصل عدة مسائل قد تبدو مستعصية متداخلة تصعب الإجابة عليها فالقرآن الكريم أورد كلمة الكتاب المرتبطة بموسى متجاورة مرتبطة بهذا النبي، وأورد كلمة التوراة غير مرتبطة به، ويتضح من خلال السياق أن الله سبحانه خص موسى بكتاب ولم يخصه بالتوراة مع أن الآيات الكريمة أكدت على تنزيل الكتاب وتنزيل التوراة.

فهل الكتاب هو التوراة أم أنه غيرها؟ أم أن التوراة مشتملة على كتاب موسى عليه السلام أم أن التوراة أنزلت على عدد من الأنبياء وليس موسى وحده؟ هل كتاب موسى هي الأسفار الخمسة التي وردت متتابعة في كتاب العهد القديم منذ السفر الأول حتى الخامس؟

وهل عدم اعتراف السامريين ببقية أسفار العهد القديم نابع من كونها لا تخص النبي موسى عليه السلام ولذلك جاءت توراتهم مقتصرة على أسفار موسى الخمسة؟ وإذا كانت التوراة تورد في آخر سفر من الأسفار الخمسة الأولى أن موسى عليه السلام قد مات ولم يعرف بنو إسرائيل نبياً مثله، إذاً على من نزلت بقية الأسفار وعددها أربعة وثلاثون سفراً؟

لقد درج المفسرون والعلماء المسلمون على جعل التوراة كتاب موسى عليه السلام على اعتبار أن التوراة أعم وأشمل، وأكد جميعهم على ما جرى من تحريف في التوراة. وقد تنبه لذلك ابن حزم الأندلسي في كتابه المهم (الفصل بين الملل والأهواء والنحل) وكذلك ابن القيم الجوزية في كتابه المهم (دليل الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى). ومع كل هذا التنبه بقيت أمور في غاية الأهمية والخطورة لم يتناولوها على اعتبار أن هدفهم الأساسي إيضاح ما جرى من تحريف في التوراة، ومن ثم إيضاح أساليب الرد المنطقي المعتمد على الحجج الدامغة على كتبة التوراة ومن تبع ذلك الضلال والتحريف ممن يسمون اليوم باليهود.

وعند العودة إلى الأسئلة التي طرحناها في البداية نجد أنفسنا وجهاً لوجه مع آيات القرآن الكريم التي خصصها الله سبحانه لذكر الكتاب وذكر التوراة، في أي سياق جاءت وما مضمون ما في الكتاب والتوراة حسب ما أورده القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ

ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [البقرة 51–54] .

فقد وردت كلمة الكتاب في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [البقرة 53] وقد جاء في أول الآية قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ ﴾ وهذا يدل على أن الله سبحانه آتى موسى الكتاب في سياق حدث محدد. وهذا الحدث هو مكوث موسى أربعين ليلة تمهيداً لتلقي الرسالة، وفي غيابه ارتد بنو إسرائيل فعبدوا العجل. ثم يأتي قوله: (عفونا عنكم) ثم يأتي قوله: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾. ثم يأتي عتاب موسى لقومه بسبب اتخاذهم العجل والطلب منهم الاستغفار.

وهذا السياق يعيدنا إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ [الأعراف 150].

وإلى قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [الأعراف 154].

فسياق الآيات الكريمة يدلنا على أن الحدث واحد. ولعل أهم ما ترشدنا إليه الآيات أن الألواح هي المادة التي كتب عليها الكتاب، وبمعنى آخر لقد حوت الألواح الكتاب الذي آتاه الله موسى. وهذا يعني أيضاً أن الكتاب ليس كتاباً مسطوراً بالمعنى الحرفي للكلمة، إنما هو التعاليم والأحكام التي فرضها رب العالمين على موسى وقومه، وقد جاءت مسطورة على الألواح ثم بثها موسى عليه السلام لقومه، وطالما أن الآيات الكريمة أوضحت أن الله سبحانه كتب على الألواح تلك التعاليم والمواعظ والأحكام. والواقع يقول لنا: إن موسى عليه السلام لم يعد بحاجة إلى الألواح بعد أن نسخت التعاليم والأحكام بعد أن حفظها موسى، والسياق القرآني يشير إلى وجود كتاب موسى وإلى توراة أنزلت ولم يعد هناك ذكر للألواح لأن الحديث الذي حوى تنزيل التعاليم على الألواح لم يبق

بل تلاحقت السنون والأيام وظل موسى يدعو قومه ويعلمهم ما يوحى إليه من ربه ومكث فيهم عشرات السنين وهو في حال الدعوة لم ينقطع .

ومما يدل على أن قوله تعالى : ﴿ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ يعني الكلام الإلهي المنزل من السماء وليس الكتاب المادي تكرار قوله تعالى في كثير من مواضع القرآن الكريم ، وجميعها يأتي في سياق التأكيد على أن الله سبحانه كلف موسى برسالة سماوية وكتاب فيه من التعاليم والأحكام ما يصلح لحياة بني إسرائيل العقيدية والاجتماعية .

لماذا أردفت الآية الكريمة كلمة الفرقان بعد الكتاب ؟

قال المفسرون : إن معنى الفرقان هنا هو الكتاب الفارق بين الحق والباطل فهو من الترادف . وقيل : المراد بالفرقان المعجزات التي أجراها الله تعالى على يد موسى مثل العصا واليد وغير ذلك من المعجزات .

فإذا تنبهنا إلى كلمة فرقان وورودها في القرآن الكريم وجدنا أنها قد وردت في عدة مواضع ، وعلى وجه التحديد وردت في سبعة مواضع .

منها ما يخص المسلمين تحديداً في قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة 185] .

وقوله تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران 3-4]

وقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝ ﴾ [الفرقان 1] .

وقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝ ﴾ [الأنفال 29] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾ [الأنفال 41] .

وقد خص القرآن الكريم كلمة الفرقان لموسى في موقعين :

الموقع الأول في قوله : ﴿ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ [البقرة 53] .

والموقع الثاني في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنبياء 48] .

ومن خلال سياق الآيات الكريمة ندرك أن الفرقان ما يفرق به بين الحق والباطل وسمي القرآن فرقاناً لأنه فرق بين الحق والباطل وليكون نذيراً للعالمين .

أما قوله تعالى : ﴿ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ إذا اتقيتم يدل على أن الله سبحانه يمنح المتقين فهماً عميقاً يميزون به الحق من الباطل . وأعتقد أن المقصود بكلمة فرقان في الآيتين الخاصتين بموسى تعني أن الله سبحانه آتى موسى فهماً نبوياً خاصاً ليميز به بين الحق والباطل . فيكون الفهم إضافة على الكتاب الذي أنزله الله على موسى ، ولا تعني كلمة فرقان أنه شيء مكتوب مختلف عن الكتاب ، إنما هو فهم أوحي به إلى موسى إضافة لكتابه .

الكتاب بعد موسى بين أيدي بني إسرائيل

جاء في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية وهو آخر أسفار موسى الخمسة الأولى (فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكلّ عينه ولا ذهبت نضارته فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوماً) "تثنية 34 : 5 ـ 8" .

وتقول : (ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعلمها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه وفي كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التي صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل) "تثنية 34 : 10 ـ 12" .

إن إعلان التوراة أن موسى مات ولم يقم في بني إسرائيل نبي مثله يعني أن ما تمتع به لم يتمتع به أحد من بعده . ويعني أيضاً أن الوحي لموسى قد انقطع ، أو أن كلام الله سبحانه قد توقف . وهذا يعني أن ما أنزل على موسى وما آتاه الله من كتاب اكتمل عند موته . وهذا

يعني أن ما أنزل على موسى حسب نص التوراة هو الأسفار الخمسة الأولى. والواقع أن ما أنزل على موسى بدأ في سفر الخروج وانتهى بسفر التثنية، لأن ذهاب موسى وتلقيه كلمات ربه تم في ما بعد الإصحاح الثلاثين من سفر الخروج، وقد ذكرنا ذلك سابقاً.

وبعد ذلك فقد امتلك بنو إسرائيل التعاليم التي بثها كتاب موسى وعرفوها جميعهم لأن موسى مكث بينهم منذ بدء الخروج وحتى موته أكثر من أربعين عاماً، وقد يصل مكوثه إلى ثمانين عاماً إذا تذكرنا أن بني إسرائيل ظلوا في التيه أربعين سنة وهذا التيه فرض الله عليهم بعد مكوثهم في الصحراء مدة زمنية طويلة قد تصل أيضاً إلى أربعين سنة أخرى.

أما السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما مصير كتاب موسى بعد موته؟ هل ظل بشكل مكتوب أو منسوخ؟ هل بقيت بقية الألواح، واحتفظوا بها هل انحرفوا عنها أو زادوا أو حذفوا؟

تورد التوراة أن موسى عليه السلام أُمر أن يضع ما يسمى تابوت العهد. فصنعه رجاله من الأحبار والكهنة ورؤساء العشائر. ثم تقول التوراة: (وأخذ الشهادة وجعلها في التابوت) "خروج 40: 20".

ويورد قاموس الكتاب المقدس: (وكان في التابوت الوعاء الذي يحتوي على المن وعصا هارون التي أفرخت ولوحا العهد وكان عليهما وصايا الله العشر المكتوبة بإصبع الله ثم وضع بجانبه كتاب التوراة. كما ورد في سفر التثنية ومن ثم يسمى التابوت أحياناً تابوت الشهادة).

ويتابع القاموس قوله: ولم يكن وعاء المن وعصا هارون في ملك سليمان وذكر ذلك في سفر الملوك الأول الإصحاح الثامن الفقرة 9.

نستنتج من هذا الذي ورد في التوراة ما يلي:

1 - تابوت الرب حوى وعاء يحتوي على المن وعصا هارون، ولوحا العهد المكتوب عليهما الوصايا العشر المكتوبة بإصبع الله.

2 - ثم وضع بجانبه كتاب التوراة.

3 - في عهد الملك سليمان كان قد فقد من التابوت وعاء المن وعصا هارون.

ويستشف من هذا الكلام أن لوحي الشهادة قد كتبت عليهما الوصايا العشر. ولوحا الشهادة غير التوراة. حيث قالت التوراة ذلك.

وهذا يعني أن ما أنزل في اللوحين هو غير ما كتب في التوراة إذ أن اللوحين احتويا على الوصايا العشر فحسب، وأن ما أنزل على موسى عند لقاء ربه في سيناء هو تلك الوصايا وليس التوراة.

ومع ذلك فإن لآيات القرآن الكريم القول الفصل في ذلك.

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [هود 110].

ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [فصلت 45].

والمعنى واضح إذ يقول لنا: إننا آتينا موسى الكتاب فآمن به قوم وعملوا بتعاليمه وكفر به قوم حيث حرفوا به وبدلوا وغيروا ولم يعملوا بتعاليمه، ولولا كلمة الله التي سبقت وهو تعذيب المحرفين يوم القيامة لقضي بينهم بإنزال ما يستحقونه من عذاب.

ومن خلال ما قالته التوراة نعرف أن لوحين وعصا ووعاء وتوراة وضعت في التابوت جميعها وأُغلق عليها ولم يعد أحد يراها.

فإذا نظرنا في سفر يشوع وهو السفر اللاحق مباشرة لسفر التثنية أي السفر الخامس من أسفار موسى نرى أن يوشع يأمر أتباعه بالغزو والقتل والاحتلال، وجميع ما جاء في هذا السفر يشكل ملحمة دموية يقودها يشوع وأتباعه ولا ندري أهي أحداث وقعت أم أنها اختراع اخترعها مدون التوراة أيام السبي البابلي؟

المهم في الأمر أن الله سبحانه قال في كتابه العزيز: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ﴾. وهذا يعني أن اختلافاً وقع بين طرفين أو أطراف من أتباع موسى حول هذا الكتاب. وهذا الاختلاف قد يكون حول التعاليم وقد يكون حول طبيعة الكتاب وما فيه من أجزاء أو وصايا.

وهذا الاختلاف يؤكد أن كتاب موسى تعرض للتفسير المخالف لمضمونه ولما أراده الله سبحانه.

والواقع أن تابوت العهد نفسه تعرض للنقل عدة مرات ثم تعرض للخطف من قبل أعداء بني إسرائيل ثم أعيد وعندما أراد سليمان فتحه وجده ناقصاً. بمعنى أن الأشياء التي حفظت فيه كانت قد تعرضت للسرقة نهائياً. وحسب نص التوراة أن العصا ووعاء المن لم يكونا فيه حين فتحه سليمان. ويوحي كلام التوراة أن ما بقي فيه هو كتاب التوراة واللوحان اللذان كتب عليهما الله الوصايا العشر. وقد جاء في نص من سفر الملوك الأول: (لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر) "8 : 10" وهذا يعني أيضاً أن التوراة كانت قد فقدت مع العصا ووعاء المن. وبمعنى آخر حسب قول التوراة لم يبق إلا كتاب موسى المدون على اللوحين ولا ندري هل بقي على حاله لأن الزمن بين موسى وسليمان طويل جداً ولأن اللغة التي أنزل الله بها كتاب موسى ليست هي اللغة التي كانت يتحدث بها بنو إسرائيل زمن سليمان.

وقد تكرر ورود كلمة كتاب مرتبطة بالنبي موسى عليه السلام في عدد كبير من المواقع، وقد بين الله سبحانه وتعالى مضمون ما حوى هذا الكتاب من خلال كلمات جامعة شاملة فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [القصص 43].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾ [البقرة 87].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [الأنعام 154]

وقال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ [الإسراء 2].

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [هود 17].

وقال تعالى: ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ [الأحقاف 12].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [المؤمنون 49].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الفرقان 35].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [السجدة 23].

فهذه الآيات تبين أن الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام هو كتاب تشريع أو هو أول كتاب تشريع ديني للناس. فبعدما أهلك الله القرون الأولى كفرعون وعاد وثمود وأقوام أخرى كقوم شعيب أنزل الله الكتاب على موسى ليكون هدى ورحمة. وورد في الحديث النبوي الشريف أنه بعد نزول كتاب موسى لم يهلك الله قوماً قط. وكأن هذا الكتاب جاء ليكون الشاهد على بني إسرائيل فيما إذا صلحوا أو فسدوا. وتوضح الآية الثانية أن الرسل تتابع طريقها بعد أن أنزل الله كتاب موسى، ليكون هذا الكتاب المادة الأساسية التي يسير على نهجها أنبياء بني إسرائيل، ومن الأنبياء الذين تتابعوا بعد موسى داود وسليمان وعيسى عليهم السلام. وتوضح آيتان أن كتاب موسى آتاه الله لنبيه ليكون إماماً للناس وقدوة وهدى ورحمة، لا ليكون موجهاً للحروب والقتل والغدر وتدمير المدن والقرى أو حرقها، كما فعل بنو إسرائيل في سفر يشوع وغيره من الأسفار.

آتينا .. وأنزلنا

قبل أن ندخل في دراسة مضمون كتاب موسى الذي آتاه الله سبحانه وقبل أن نعمد إلى المقارنة بين مضمونه ومضمون التوراة العبرانية والسامرية يلفت نظرنا لفظ التوراة الذي ورد في تسعة عشر موضعاً من القرآن الكريم.

وسنتعرض لدراسة هذه المواضع جميعها وعلاقتها بالسياق العام للآيات قبلها وبعدها لكننا هنا نتوقف عند بعض الآيات منها التي أوردت قوله تعالى أنزلنا أو ما اشتق منها.

1 - يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [آل عمران 65].

2 - يقول تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [آل عمران 93].

3 - يقول تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة 44].

4 - ويقول تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ ﴾ [آل عمران 3].

ومنذ البداية يلفت نظرنا ارتباط الفعل (وآتينا) بكتاب موسى عليه السلام وارتباط ﴿ أَنزَلۡنَا ﴾ ومشتقاتها بالتوراة.

فالذي نفهمه من السياق أن الكتاب أتاه الله موسى وخصصه به لكن التوراة لم تخصص لموسى كلها؛ بمعنى أن الكتاب الذي أتاه الله موسى هو جزء أساسي من التوراة ولكن التوراة أشمل وأكبر من الكتاب وهي تخص النبيين الذين أسلموا ليحكموا من خلالها للذين هادوا.

وطالما أن التوراة أنزلت بعد موسى وإبراهيم وإسحق والأسباط فإن قوله تعالى : ﴿يحكم بها النبيون الذين أسلموا﴾ تخص الأنبياء الذين أتوا على مراحل بعد موسى ﷺ وهؤلاء، وهم داود وسليمان وعيسى وأنبياء آخرون كلفهم الله بهداية بني إسرائيل وهم أنبياء وليسوا رسلاً، بمعنى أنهم لم يجمعوا بين النبوة والرسالة.

وعندما ندقق في الفعل ﴿ ءَاتَيْنَا ﴾ واقترانه بموسى ﷺ نرى أن الكتاب الذي خُص به موسى هو التعاليم والأحكام التي كُلف موسى بتنفيذها؛ بمعنى أن هذا الكتاب هو ما كان يحتاج لتعاليمه بنو إسرائيل وليس غيره، وما في التوراة التي هي أشمل من الكتاب لم يكن بنو إسرائيل مستعدين لتقبله في عصر موسى. والناظر في تعاليم وأحكام أسفار موسى يرى أن التشريعات التي حواها كانت تناسب الظرف الجغرافي والتاريخي والنفسي الذي عاشه بنو إسرائيل.

ولو عدنا إلى الآيات الكريمة التي جاءت على ذكر الألواح وكتاب موسى لرأينا أن الله سبحانه منح موسى الكتاب دفعة واحدة، حيث كُتبت الأحكام والمواعظ في الألواح وتسلمها موسى وحملها ليشرحها لبني إسرائيل؛ بمعنى أنها لم تنزل مفرقة على فترات كما أنزل القرآن الكريم.

لقد عرفنا من خلال سياق آيات القرآن الكريم أن موسى ﷺ عندما كُلف بالذهاب إلى فرعون لم يكن قد آتاه الله الكتاب. وآتاه الله الكتاب بعد أن هرب بنو إسرائيل من ظلم فرعون واستقروا في سيناء.

وتقول التوراة إن موسى عاش مئة وعشرين سنة. وقد يكون هذا صحيحاً إلى حد كبير.

وكلف موسى بالرسالة وآتاه الله الكتاب في سيناء. ولكن موسى ﷺ راح يطبق تعاليم الكتاب على بني إسرائيل ويرشدهم الدين، وبين امتلاك موسى الكتاب وموته وانقضاء مهمته فترة زمنية طويلة. يدل عليها قول الله تعالى: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المائدة 21] إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المائدة 26].

فما بين إتيان موسى الكتاب وهذه الحادثة فترة زمنية طويلة . وهذه الفترة لم ينقطع فيها الوحي عن موسى وكذلك تكليم الله له سبحانه . وما يكلمه الله به أو يوحي إليه ليس كلام عبث أو أي كلام ، إنما هو استمرار للتعاليم ومعالجة الظروف المستجدة وما كلمه الله به وما أوحي إليه ظل ساري المفعول حتى وفاة موسى .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن يقول : هل دوّن ما أنزل على موسى في هذه الفترة؟ هل يشكل ما أنزل عليه التوراة أو جزءاً منها؟ وطالما أن الوحي لم ينقطع عنه ـ وهذا طبيعي بالنسبة للأنبياء الرسل ـ فلماذا آتاه الله الكتاب مدوناً على ألواح بينما ما أنزل عليه بعد الكتاب لم يدوّن ولم يكتب من قبل الله سبحانه وتعالى؟

ويمكن لنا أن نفترض أن ما أوحي إلى موسى بعد الكتاب يشكل مادة شفهية كان يلقنها موسى لقومه يوماً بيوم حتى انقضاء حياته ، لقد أنزلها الله سبحانه على فترات فشكلت الجزء الأكبر من كتاب التوراة ، ولكن الكتاب الذي آتاه الله موسى في الألواح ليس هو بالتحديد كتاب التوراة . وليس له علاقة بما أنزله الله سبحانه على موسى في فترة ما بعد الكتاب .

وهنا لابد أن نتوقف عند بعض الآيات لتضح أمامنا أبعاد الإتيان والتنزيل .

يقول تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة 46] .

فقد آتى الله سبحانه عيسى الإنجيل ليكون خاصاً به مقترناً برسالته كما آتى موسى عليه السلام الكتاب ليكون خاصاً به مقترناً برسالته . ولم يخص موسى بالتوراة لأنها أشمل من الكتاب وأوسع ولأنها أنزلت بعده .

وإذا كان بنو إسرائيل قد اختلفوا في الكتاب المدون الذي أنزل على موسى عليه السلام فكيف حالهم مع ما أنزل على موسى شفاهية ولم يدوّن؟

يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [فصلت 45] .

فما دوّن وكان مكتوباً في زمن موسى عليه السلام اختلف فيه بنو إسرائيل وفي أحكامه فما بالنا بالذي فعلوه من تحريف وتلفيق فيما أنزل على موسى شفاهية ولم يدوّن؟

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [آل عمران 84].

فقد خصت المسلمين أنزل علينا ـ وخصت بالإنزال إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط، والذي أنزل عليهم هو وحي يرسخ لديهم العقيدة التوحيدية الشاملة، وما أنزل عليهم ليس كتاباً مدوناً إنما هو وحي شفاهي.

بينما خص موسى وعيسى بالإتيان وكذلك النبيين من بعد موسى والمقصود هنا الأنبياء الذين أتوا بعده، وهؤلاء الأنبياء أوتوا ما أوتي موسى، وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء 163] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ [سبأ 10] وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ﴾ [النمل 15].

كيف نفهم مدلول التوراة في سياق آيات القرآن الكريم؟

ورد ذكر كلمة التوراة في تسعة عشر موضعاً من القرآن الكريم وكل موضع ارتبط بسياق معين وبقرائن خاصة.

يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [آل عمران 65].

فقوله تعالى فضح لمزاعم أهل الكتاب وادعائهم بأن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً فالتوراة أنزلت بعد إبراهيم بمدة زمنية طويلة فما علاقته بالتوراة وما علاقته بأهل الكتاب.

ويقول تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران 93].

وفي هذا السياق أيضاً تحدّ لأهل الكتاب لأنهم ادعوا أن يعقوب حرم أشياء على بني إسرائيل، والواقع أن كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرمه إسرائيل على نفسه فلمَ يحرمون الأشياء التي كانت حلاً لهم، فالتحريم وُجد في التوراة التي أنزلت بعد يعقوب وليس ليعقوب دخل بها.

ويقول تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٌ مُّقۡتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة 66].

وهذا يعني أن أصحاب الكتاب لم يحكموا بما أنزل الله ولم يقيموا الأحكام التي وجدت في التوراة والإنجيل. ولو أقاموها لفاضت نعم الله عليهم.

ويقول تعالى: ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَـٰنًا وَكُفۡرًاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴾ [المائدة 68].

فالخطاب لرسول الله ﷺ، ويعني: قل لهم إنكم لستم على شيء من الدين حتى

تقيموا أحكام التوراة والإنجيل وما أنزله الله عليكم. وطالما أنهم كذلك فلن يؤمنوا بما أنزل على رسول الله ﷺ. بل إن ما أنزل إليك سوف يزيدهم طغياناً وكفراً لأنهم لا يريدون أن يقيموا أي حكم من أحكام الله. وهناك مواضع أخرى ذكرت التوراة فيها لتدل على أن من حمّلوا التوراة ولم يقوموا بتنفيذ أحكامها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ولا يفقه ما يحمل على ظهره.

ومنها أيضاً ما يتحدى به القرآن بني إسرائيل في أمور أخرى كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف 157].

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المائدة 43].

لكن الذي يستوقفنا هو ورود كلمة التوراة في آيات أخرى لها مدلولات خاصة في سياق ما نتحدث عنه.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ [المائدة 44].

فالله سبحانه أنزل التوراة فيها هدى ونور يحكم بها أنبياء بني إسرائيل داود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى وكذلك يحكم بها الربانيون والأحبار من خلال ما حفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء.

فموسى عليه السلام وكذلك هارون طبقا أحكام الكتاب الذي آتاه الله لموسى وفي هذا الكتاب أحكام وتشريعات صلحت في تلك الفترة الزمنية التي عاشها بنو إسرائيل، ولما تغير الظرف أصبح من الطبيعي أن تتوسع الأحكام. وما أُنزل على موسى من تعاليم بعد أن آتاه الله الكتاب حُفظ شفهياً وراح يطبقه ربانيو بني إسرائيل وأحبارهم إلى أن ظهر

الأنبياء اللاحقون كداود وسليمان وإلياس. فراحوا يطبقون أحكام الكتاب الأول الذي خُص به موسى وأحكام ما بعد الكتاب. ولا شك أن هؤلاء الأنبياء رسل أيضاً عليهم تبليغ الرسالة، وقد أوحى الله لهم بأمور أخرى كان لها علاقة مباشرة بأحكام الكتاب وأحكام ما بعد الكتاب، وهي التي شكلت فيما بعد كتاب التوراة العبرانية الذي كتبه عزرا أيام السبي البابلي. مضافاً إليه ما أسعفه به خياله وما أمده به شفاهيةً أحبار بني إسرائيل وزعماؤهم الدينيون.

وكلمة التوراة هنا يقصد بها ما يسمى إطلاق الكل على الجزء. والواقع أن الآية الكريمة تقول: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة 45].

وهذه الأحكام موجودة في كتاب موسى. ولكن القرآن الكريم قال كتبنا فيها أي في التوراة، وهنا يتضح ما قلناه وهو إطلاق الكل على الجزء. وقد عُرفت التوراة فيما بعد موسى ولم يبق الكتاب وحده هو مصدر التشريع لبني إسرائيل، إنما ضُم إليه ما أوحى به الله للأنبياء بعد موسى.

وهذا ما يقودنا إلى آيات أخرى توضح الأمر بشكل جلي.

❖ يقول تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة: 46].

❖ ويقول تعالى: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [آل عمران 50]

❖ ويقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف 6]

فعيسى عليه السلام كان آخر أنبياء بني إسرائيل، بعثه الله سبحانه ليقيم حكم الدين على اليهود، ولكن عيسى عليه السلام بُعث وكان اليهود قد امتلكوا ما يسمى كتاب التوراة مدوّنا. لأن الفرق الزمني بين تدوين التوراة ومبعث عيسى لا يقل عن خمسمائة عام. والتوراة التي أضحت بأيديهم هي التوراة المحرفة وليست التوراة التي أنزلها الله على الأنبياء السابقين لعيسى.

والآيات الثلاث السابقة جاءت على ذكر التوراة ولكنها كررت قوله تعالى: ﴿مصدقاً لما بين يديه من التوراة﴾ فالتوراة التي كان يعرفها عيسى عليه السلام غير التوراة التي كان قد كتبها أحبار اليهود. ولذلك جاء الحرف ﴿منَ﴾ ليؤكد أن عيسى يعرف مضمون الكتاب الذي أنزل على موسى ويعرف محتوى مَا أنزل بعد موسى من تعاليم أنزلت وسُميت التوراة، فمصدقاً لما بين يديه من التوراة تؤكد التبعيض ولا تؤكد الكل لأن ما يملكه اليهود من كتاب التوراة ليس كله صحيحاً إنما هو محرف؛ فما يعرفه عيسى هو ما يؤمن به، وهو ما علمه إياه الله من خلال الوحي، فهو مهيمن على ما جاء فيه ولا يستطيع اليهود إنكاره لأنهم يدركون أنه الصحيح وما دونوه هو المحرف.

ومضمون الآيات يوضح لنا طبيعة ما حواه إنجيل عيسى عليه السلام، فهو وكتاب موسى عليه السلام من مصدر واحد وغايتهما أيضاً واحدة. ففيهما هدى ونور ورحمة ولا خلاف بينهما قطعاً، لكن الخلاف الكبير والتناقض الصارخ يقع بين حقيقة ما أُنزل والتحريف الذي نفذه أحبار بني إسرائيل.

بين كتاب وكتاب

يلفت نظرنا ورود كلمة كتاب في عدد من الآيات القرآنية الكريمة وهي لا تعني التوراة أو كتاب موسى ولا تعني الإنجيل ولا تعني القرآن الكريم. إذاً ما معنى هذا الكتاب وعلى ماذا يدل؟

يقول تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [المائدة 110].

ويقول تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [آل عمران 48].

ففي الآيتين وردت كلمة الحكمة، والكتاب، والتوراة، والإنجيل.

فالكتاب هنا ليس التوراة وليس الإنجيل. فما هو هذا الكتاب؟

الواقع أننا لا نستطيع معرفة المقصود بالكتاب دون الرجوع إلى آيات أخرى وردت فيها كلمة الكتاب ولم تعنِ أي كتاب معروف كالقرآن والتوراة والإنجيل.

يقول تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة 213].

ويقول تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد 25].

ففي الآيتين السابقتين يرد قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ وقوله (وأنزلنا معهم الكتاب) فالكتاب الذي نزله الله سبحانه خص الأنبياء جميعاً. والكتاب الذي علمه الله سبحانه وتعالى لعيسى عليه السلام ليس الإنجيل وليس التوراة كما نصت عليه الآيتان السابقتان فهذا الكتاب خاص بالله سبحانه أوحى به للأنبياء المرسلين دون البشر، ولا

يعلم أسراره إلا هم وبعض من خصهم الله بعلمه وهم قليل ونادرون.

يقـول تعـالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل 40].

ويتضح من ذلك أن الكتاب المقصود هنا ليس من الكتب المنزلة المعروفة، أي كتاب موسى والتوراة والإنجيل والقرآن الكريم.

وما في هذا الكتاب ليس بالضرورة أن يكون موجوداً في الكتب المنزلة. فما يوحيه الله سبحانه للأنبياء أعم وأشمل. وهذا الكتاب هو في اللوح المحفوظ الخاص لله سبحانه وتعالى بمنح تعاليمه للأنبياء كي ينفذوا الرسالة ويؤدونها.

وقد توقف بعض المفسرين عند قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الإسراء 4]. فقالوا: الكتاب هنا هو التوراة.

والواقع أن ما توحي به الآية أن الكتاب ليس التوراة إنما هو الكتاب الذي خصه الله سبحانه لنفسه إذ أن قوله قضينا يعني أننا حكمنا في علمنا المسبق أن بني إسرائيل سيفسدون في الأرض ويعلون علواً كبيراً.

والعلم الغيبي خاص لله سبحانه وهو في كتاب اللوح المحفوظ الخاص أيضاً لله تعالى. يقول تعالى: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [طه 52].

ويقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ ﴾ [الحج 70]

وهناك عشرات الآيات التي تشير إلى هذا الكتاب الخاص بعلم الله وليس له علاقة بأي كتاب منزل.

الفصل الثاني

أين هو كتاب موسى؟ أين هي التوراة؟

لا شك أن الكتاب الذي أتاه الله موسى عليه السلام كان هدى ورحمة وكان إماماً وأساساً لعقيدة بني إسرائيل. وآيات القرآن الكريم أوضحت أن هذا الكتاب يحوي مواعظ وأحكاماً كثيرة.

والتوراة التي أنزلها الله سبحانه ليست سوى أحكام ومواعظ لا تختلف عن مضمون كتاب موسى. لكن التوراة كاسم انسحبت على عدد من الكتب التي اختلفت فيما بينها في مضمونها وشكلها. فهناك: 1 ـ التوراة السامرية. 2 ـ والتوراة العبرانية. 3 ـ والتوراة اليونانية أو السبعينية.

1 ـ التوراة السامرية: لا يؤمن السامريون إلا بأسفار خمسة ويسمونها أسفار موسى وهي سفر التكوين وسفر الخروج وسفر العدد وسفر اللاويين وسفر التثنية.

2 ـ التوراة العبرانية: وفيها تسعة وثلاثون سفراً.

فإضافة لأسفار موسى الخمسة يوجد أسفار أخرى تبلغ أربعة وثلاثين سفراً وهي:

1 ـ سفر يشوع. 2 ـ القضاة. 3 ـ راعوث. 4 ـ صموئيل الأول.

5 ـ صموئيل الثاني. 6 ـ الملوك الأول. 7 ـ الملوك الثاني. 8 ـ أخبار الأيام الأول.

9 ـ أخبار الأيام الثاني. 10 ـ عزرا. 11 ـ نحميا. 12 ـ استير.

13 ـ أيوب. 14 ـ المزامير. 15 ـ الأمثال. 16 ـ الجامعة.

17 ـ نشيد الأنشاد. 18 ـ أشعياء. 19 ـ إرمياء. 20 ـ مراثي إرميا.

21 ـ حزقيال .	22 ـ دانيال .	23 ـ هوشع .	24 ـ يوئيل .
25 ـ عاموس .	26 ـ عوبيديا .	27 ـ يونان .	28 ـ ميخا .
29 ـ ناحوم .	30 ـ حبقوق .	31 ـ صفنيا .	32 ـ حجي .
33 ـ زكريا .	34 ـ ملاخي .		

3 . **التوراة اليونانية:** إضافة للأسفار السابقة فإنهم يزيدون خمسة أسفار أخرى هي طوبيا ويهوديت . والحكمة . ويشوع بن سيراخ وباروخ والمكابيين الأول والثاني .

ويقول السامريون : إن الأسفار العبرانية الأربعة والثلاثين لا نعترف عليها ؛ لأن نص التوراة الحقيقية يقول : إن بني إسرائيل لا يعرفون ولم يعرفوا نبياً بعد موسى مثله ، فكيف إذاً يُطلق على الأسفار الزائدة أسفار الأنبياء؟

على أيّ حال فإن ما يتداوله اليهود اليوم كتاب يطلقون عليه التوراة ، وهذا الكتاب دوّن على يد عزرا أيام السبي البابلي ولا ندري هل ضُم فيه كتاب موسى أم أنه لم يضم؟ على أن البحث عن كتاب موسى عليه السلام بين نسخ التوراة تكتنفه الصعوبة البالغة لأنه حين يُدرس التوراة دراسة معمقة يجد كتاباً يخالف كل تعاليم الوحدانية ويشوه صور الأنبياء جميعاً وتتناقض تواريخه وتعاليمه وأحكامه مع بعضها مما يؤكد أن هذا الكتاب المسمى التوراة ليس هو التوراة التي أنزلها الله سبحانه ولا تضم في ثناياها كتاب موسى عليه السلام .

ومع المقارنة بين ما أشار إليه القرآن الكريم وبين ما جاء في هذه التوراة نجد الاختلافات جذرية وتشير إلى نفسها دون كثير عناء .

يقول تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ﴾ [الأعراف 145] .

ويقول تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [الأعراف 154] .

ومع العودة إلى الآيات التي ورد فيها كتاب موسى نجد أن هذا الكتاب آتاه الله موسى رحمةً وهدى وإماماً وموعظة .

أما عندما نراجع الأسفار الخمسة التي نسبت إلى موسى ﷺ وهي التكوين والخروج والعدد واللاويين والتثنية فإننا ملزمون أولاً بمعرفة نسبتها إلى النبي موسى من عدمها ومن ثم لابد من مراجعة أسلوبها ولغتها وتاريخ كتابتها والتحقق من كاتبها، ومن ثم مقارنة مضمونها مع مضمون كتاب موسى الذي أشار له القرآن الكريم في عدة مواقع.

من المعروف أن اليهود يضعون قواعد صارمة لنشر دينهم وكتبهم، فالتوراة العبرانية لم يترجمها اليهود ولم يفكروا يوماً بنشرها، وأثبتت الأخبار التاريخية أن الذين ترجموا التوراة من العبرانية هم المسيحيون الذين أتوا بعد عيسى ﷺ باعتبارهم كانوا من اليهود العبرانيين. وقد ورد في الإصحاح الثالث والعشرين (حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون).

وقد فهم تلاميذ المسيح أن هذا القول يعني حفظ التوراة والإنجيل معاً ونشرهما. ولما كان المسيح ﷺ ينتسب من ناحية أمه إلى بني إسرائيل العبرانيين فقد أهملوا التوراة السامرية واعتمدوا التوراة العبرانية، وكان لهم الدور الأول في نشر تلك التوراة على الرغم من أن اليهود لم يرغبوا ولم يعملوا على نشر التوراة أو ترجمتها؛ لأنهم يعتقدون أن اليهودية دين خاص بقبائل إسرائيل ولا يجوز أن يطلع على عقيدتهم أي من الغرباء أو أي منتسب لدين آخر. وعندما قام المسيحيون بترجمة التوراة العبرانية إلى اللغة اليونانية وغيرها من اللغات لعبت في الترجمة الأهواء والأذواق، وطبيعي أن ترجمة أي كتاب إلى لغة أخرى غير لغته يفقده كثيراً من الدقة وكثيراً من الدلالات.

ولهذا حينما نقارن بين التوراة العبرانية المترجمة والتوراة السامرية سنجد مئات من الاختلافات اللفظية والتاريخية وكذلك في سمات الشخصيات، خاصة شخصيات الأنبياء.

متى دونت التوراة؟

لقد أصبح من المتفق عليه لدى الدارسين والباحثين في التوراة والكتب القديمة الخاصة باليهود أن تدوين التوراة تم على يد عزرا الكاتب أيام السبي البابلي.

ومنذ وفاة موسى ﷺ وحتى سبعمائة سنة ظلت التوراة التي أنزلها الله وكذلك كتاب موسى مخفيين أو ضائعين. وتشير الدراسات أن التوراة الحقيقية قد فقدت قبل السبي البابلي

وليس بعده أو بسبب هجوم نبوخذ نصر على القبائل الإسرائيلية ولعل أكثر الاحتمالات لسبب إخفاء التوراة وكتاب موسى هو أن بني إسرائيل أنفسهم هم من أخفوهما. وقد تنبأ موسى عليه السلام بأن بني إسرائيل سوف يزيغون عن طريقه ويحرفون كلام الله.

وفي سفر التثنية ما يشير إلى ذلك. فقد جاء على لسان موسى في هذا السفر ما نصه: (وقال الرب لموسى هو ذا أيامك قد قربت لكي تموت ادع يشوع وقفا في خيمة الاجتماع لكي أوصيه فانطلق موسى ويشوع ووقفا في خيمة الاجتماع وقال الرب لموسى ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الأجنبيين في الأرض التي هو داخل إليها في ما بينهم ويتركني وينكث عهدي الذي قطعته معه).

ويقول: (فعندما كمّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً. خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هو ذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي اجمعوا إليّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأُشهد عليهم السماء والأرض لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ويصيبكم (في آخر الأيام) "تثنية 31: 24ـ 29".

وحسب نص التوراة فإن موسى قال لبني إسرائيل إنني أصبحت ابن مئة وعشرين عاماً ثم تحدث لهم عن هذه التوراة وأوصاهم أن يحفظوا ما فيها.

إن النص السابق يشير بوضوح أن موسى قبل أن يموت بأيام كتب لبني إسرائيل هذه التوراة حسب ما جاء في النص. وهذا يعني أن كتاب موسى الذي آتاه الله في سيناء سبق كتابة هذه التوراة بثمانين سنة.

وبعد موت موسى عليه السلام تسلم كتاب التوراة اللاويّون أي أولاد هارون ولم تنشر نسخ منها في بني إسرائيل، لكن التوراة تشير إلى أن يشوع نسخ نسخة خاصة به نقلاً عن نسخة النبي موسى عليه السلام. واحتفظ بها لنفسه، ولم يطلع عليها أحد غيره، ولا أحد يعرف ماذا حدث لنسخة موسى لأن التوراة لا تأتي على ذكرها بعد موت موسى، وفي زمن سليمان عليه السلام لم يرد ذكر أيضاً لهذه التوراة ولا لتوراة يشوع.

وتشير التوراة أنه في عهد الملك يوشيا بن آمون 641 ـ 611 ق . م أي بعد موسى بـ 700 سنة أرسل الملك المشار إليه أحد موظفي قصره واسمه شافان بن أصليا ابن مشلام إلى ما يسمى معبد أورشليم ليحسب مع كاهنه الأعظم حلقيا النقود التي دخلت ما يسمى الهيكل من الزائرين لكي تصرف على تعميره وترميمه فيجد الكاهن كتاب التوراة في بيت الرب ويعطيه لشافان فيقرأه ثم يذهب به إلى الملك وقال (قد دفع إلى حلقيا الكاهن كتاباً وقرأه أمام الملك فلما سمع الملك كلام كتاب التوراة مزق ثيابه).... إلى آخر النص .

وهذا ما يشير إلى أن كتاب التوراة ظل ضائعاً أو مخفياً طوال سبعمائة سنة وعثر عليه بالصدفة . وقد يكون هذا الكلام تلفيقاً من كاتب التوراة أو قد يكون شافان قد اتفق مع الكاهن على كتابة هذا الكتاب لحاجة القوم له . أو قد يكون الكاهن نفسه قد ألف هذا الكتاب لغاية في نفسه .

فبعد سبعمائة سنة من موت موسى ماذا جرى لما كتبه؟ إذا كان كُتب بالفحم فما أسرع أن يمحى وإذا كان قد نقش بالإزميل على حجر فهو بالتأكيد ليس كتاباً إنما وصية صغيرة أراد موسى من ورائها أن يذكر قومه بالاستقامة مع الله ، على أيّ حال فإن قول التوراة بأن هذا الكتاب هو التوراة فيه من التناقض الصارخ ما يكفي لرفضه ؛ إذ كيف يعقل أن يعثر على التوراة بعد انقضاء هذه المئات من السنين وقد جاءت أسفار طويلة قبل هذا الحديث؟ هل أعادوا ترتيب الأسفار ترتيباً جديداً أم أن ما سبق العثور على هذا الكتاب ليس سوى كلام من تأليف من دوّن التوراة في السبي البابلي؟

وخلال هذه المئات من السنين ظل بنو إسرائيل بدون كتاب يسترشدون به . وقد كان الأنبياء والكهنة يقودونهم في عبادتهم ومعاملاتهم دون كتاب . وتورد نصوص التوراة أن ملك الفرس كلف عزرا أثناء السماح لبني إسرائيل بالعودة لاستعمار فلسطين بكتابة التوراة بعد أن أعطاه صلاحيات كبيرة جداً .

وقد جاء ما يشير لذلك في سفر عزرا . حيث يقول :

(وهذه صورة الرسالة التي أعطاها الملك ارتحشتا لعزرا الكاهن الكاتب كاتب كلام وصايا الرب وفرائضه على إسرائيل . عن ارتحشتا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء) "عزرا 7/ 11 ـ 12" .

والمدقق في حياة المسبيين من بني إسرائيل يجدهم قد عاشوا ما بين الـ 50 والـ 70 عاماً دون أن يكون بين أيديهم كتاب موسى أو التوراة أو أي كتاب آخر يستندون عليه في صلواتهم وتعبدهم ومعاملاتهم.

وتورد التوراة أن عزرا عندما عاد إلى القدس راح يقرأ عليهم سفراً يسمى سفر شريعة موسى وقد قرأه على عامة الشعب واستغرقت قراءته سبعة أيام إن هذا يذكرنا بالتوراة التي عثر عليها الكاهن وأعطاها للملك حلقيا حيث قرأت في جلسة واحدة لم تستغرق بضع دقائق بينما تستغرق قراءة سفر شريعة موسى سبعة أيام. وهذا يعني أن الكتابين لا يمتان لبعضهما بأية صلة.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل كان عزرا يملك كتاب التوراة مسبقاً أم أنه عثر على سفر شريعة موسى مخفياً عند بعض المسبيين أم أنه هو نفسه ألف هذا الكتاب المسمى التوراة؟ ثم كيف استطاع تأليفه وفيه من الأسفار الكثير الكثير؟ ويرى بنو إسرائيل أن عزرا هو الذي أعاد كتابة التوراة التي حوت الأسفار الخمسة، فهل كان سفر شريعة موسى يعني هذه الأسفار الخمسة؟ أم أن هذا السفر منفصل عن تلك الأسفار وله خصائصه ولغته؟

يرى بعض الباحثين والدارسين للعهد القديم أن موسى كتب بنفسه بأمر الرب سفراً يسمى "سفر حروب الرب" يحتوي على قصة الحرب ضد العماليق. وهناك إشارة إلى سفر آخر يسمى سفر العهد قرأه موسى أمام بني إسرائيل عندما عقدوا عهداً مع الرب ويرجح بعض الباحثين أن هذا السفر متضمن في الإصحاح العشرين من سفر الخروج الحالي. وهنالك ذكر لسفر يسمى توراة الرب أو توراة الله ثم شرح موسى الشرائع التي سنها وأخذ من الشعب ميثاقاً جديداً بأن يظلوا خاضعين للشريعة ثم كتب ذلك كله في سفر توراة الله. ثم قطع يشوع عهداً مع بني إسرائيل بعد موت موسى وكتبه فيما يسمى سفر توراة الرب.

ولكن سبينوزا يطرح سؤالاً يقول: أين سفر الله أو توراة الرب؟

ويجيب: "لما لم يكن لدينا أي سفر يحتوي على عهد موسى وفي نفس الوقت على عهد يشوع فيجب أن نعترف ضرورة بأن هذا السفر قد فقد، ونستنتج إذاً أن سفر توراة الله هو الذي كتبه موسى لم يكن من الأسفار الخمسة الحالية بل كان سفراً مختلفاً كلية"[1].

(1) سبينوزا، الرسالة ص272 نقلاً عن كتاب محمد عبد الله شرقاوي. مقارنة الأديان.

ويرى سبينوزا بناء على ما جاء في الأسفار الحالية أن سفر توراة موسى (توراة الله) الذي كتبه موسى كان صغيراً جداً. لأن واضع التوراة الحالية ذكر أن موسى أعطاه الأحبار ثم طلب قراءته أمام الشعب في أوقات معلومة. وهذا يدل على أنه كان أقل حجماً بكثير من الأسفار الخمسة، إذ كان من الممكن قراءته كله في مجمع عام بحيث يفهمه الجميع[1].

وما قاله الدارسون حول موثوقية الأسفار الخمسة وكاتبها يذكرنا بما جاء في القرآن الكريم عند الحديث عن كتاب موسى وألواح موسى إذ أن موسى ﷺ علّم بني إسرائيل أحكام وتشريعات ما أنزل عليه آنذاك في ظرف زمني ومكاني محدد.

لقد قرر العلماء والتاريخيون أن عزرا هو الذي كتب التوراة أو دونها بعد أن جمع القصص وبعض الأحكام التي كان يحفظها كبار السن من بني إسرائيل.

ولكن إذا كان عزرا قد كتب التوراة بأمر من ملك الفرس فهل كان مضمون التوارة العقيدي يخالف العقيدة التي كان عليها ملك الفرس؟ وكيف سمح بذلك دون أن تكون له قيمة كبرى في هذا الكتاب؟ ودون أن يُدخل عزرا اسم هذا الملك في متن النص التوراتي ويمجده؟ الواقع أن النص التوراتي يشير لنا بوضوح إلى ما فعله عزرا، والواقع أن عزرا عندما لبى دعوة كورش الملك الفارسي ومن بعده من خلفه أراد أن يجعله قديساً كبيراً حتى بلغ مقام المسيح المنتظر.

ففي سفر إشعياء يرد النص التالي: (هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمماً وأحل أجزمة ملوك لأفتح المصراعين فلا تغلق الأبواب إنني أمشي أمامك وأمهد الهضاب وأحطم مصراعي النحاس) "إشعياء 45: 1 ـ 3".

ومن المعروف أن الفرس لم يكونوا موحدين بل كانوا وثنيين ولكن كاتب التوراة أراد أن يكافئ كورش ومَن بعده على ما فعله لبني إسرائيل في السبي البابلي فرفعه إلى درجة القديسين.

ثم إن التقديس لملوك الفرس يستمر حتى زمن عزرا حيث أنه بعد أن كتب ما يحلو

---

(1) سبينوزا، الرسالة ص273.

له من التوراة قام بقيادة قافلة كبيرة من المسبيين إلى فلسطين. وهناك ألقى على بني إسرائيل ما دوّنه وسماه سفر الشريعة.

وقد جاء في سفر عزرا ما يشير إلى أن هذا الكاتب دمج بين شريعة بني إسرائيل وشريعة الملك الفارسي.

فقال: (وكل من لا يعمل بشريعة إلهك وشريعة الملك فليقض عليه عاجلاً إما بالموت أو بالنفي أو بالحبس) "عزرا 7: 26".

والواقع أنه "ليس من المعقول أن يقدم عزرا شريعته على شريعة الملك وإلا لعزل فوراً وحكم عليه بالخيانة. وفي ظل هذا المنصب كتب عزرا التوراة وقرأها على بني إسرائيل وقد عكس في التوراة الظروف الاجتماعية والحياة الفكرية للشعب اليهودي والعقائد الوثنية التي كانت حاكمة على المجتمعات المحيطة بهذا الشعب والذي اكتسب الكثير من عاداتها وتقاليدها وعقائدها"[1].

وفي جميع الأحوال فإن عزرا الذي كتب التوراة لا يعرف عنه إلا أنه من نسل هارون حسب ما جاء في التوراة، وكان يعرف الكتابة ويعمل عند ملك الفرس، أما من أين أخذ هذه النصوص والقصص المدونة في التوراة فهناك التباس وغموض كبيران حول ذلك. وكل ما قاله الدارسون لا يعدو كونه افتراضات وتوقعات ليس أكثر.

(1) محمد علي برو العاملي، الكتاب المقدس في الميزان ص 81 ـ 82.

أسلوب الغائب والحاضر

من الأمور الملفتة للنظر في أسلوب كتابة الأسفار الخمسة وما دوّنه عزرا وغيره من أحبار اليهود وبني إسرائيل وجود صيغ وتراكيب وجمل تشير بوضوح إلى أن كاتب هذه الأسفار ومدوّنها شخص آخر غير النبي موسى عليه السلام. ويمكن أن نرى في هذه الأسفار عدة أساليب لغوية مما يدل على أن كل أسلوب يرجع إلى كاتب واحد غير الكاتب الآخر الذي كتب بأسلوب مخالف للأسلوب الأول.

يقول رحمة الله الهندي: "وهذا الأمر لا يظهر من موضوع من مواضيع التوراة بل تشهد عبارته أن كاتبه غير موسى، وهذا الغير جمع هذا الكتاب من الروايات والقصص المشتهرة فيما بين اليهود، ميز بين هذه الأقوال بأن ما كان في زعمه قول الله أو قول موسى أدرجت تحت (قال الله) أو قال موسى وعبر عن موسى في جميع المواضيع بصيغة الغائب. ولو كان التوراة من تصنيفه لكان عبر عن نفسه بصيغة المتكلم ولا أقل من أن يعبر في موضع من المواضع لأن التعبير بصيغة المتكلم يقتضي زيادة الاعتبار، والذي يشهد له الظاهر مقبول ما لم يقم على خلافه دليل قوي، ومن ادعى خلاف ذلك الظاهر فعليه البيان"[1].

وقد جاء في التوراة: (فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم) "التثنية 34: 5 ـ 6".

فهذا النص لا يمكن أن يكون وحياً أوحي به إلى موسى لأن الكلام هنا لمدوّن أسفار موسى، ويتضح ذلك من قوله: فمات موسى، إذ كيف يضمون هذا الكلام إلى سفر التثنية ويزعمون أن أسفار موسى الخمسة تضم سفر التثنية. فهل يعقل أن موسى بعد أن مات يقول عن نفسه أن موسى قد مات ودفن ولم يعرف إنسان قبره؟

ومن أمثلة ما يعبر عن أن كاتب التوراة رجل آخر غير موسى قول التوراة: (وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض) "التكوين 12: 5" وهذا يدل على أن كاتب التوراة كتبها بعد التسرب الإسرائيلي إلى أرض كنعان. وقد تكررت العبارة كثيراً ومثلها كثير خاصة

---

(1) رحمة الله الهندي: إظهار الحق ص 62.

عندما يتحدث كاتب التوراة في سفر التكوين عن تنقل إبراهيم، أو عن الملوك، أو عن يعقوب وبقية الشخصيات النبوية الوارد ذكرها في سفر التكوين.

وإذا راقبنا سفر التكوين حتى آخره لا نجد ذكراً لموسى فيه، وكأن الكاتب دوماً يتحدث واصفاً ما جرى ولم ترد إشارة إلى أن هذا السفر كان وحياً أو كلاماً من الله لموسى، وعندما ندخل سفر الخروج نجد صيغة الكلام نفسها تقوم على السرد والوصف فنرى مثلاً: وذهب رجل من بيت لاوي وأخذ بنت لاوي فحبلت المرأة وولدت ابناً. فهل كان هذا الكلام هو حديث موسى أم هو كلام الرب؟

وتقول: وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى.. فقوله وحدث في تلك الأيام يدل على أن الكاتب يتحدث عن زمن غابر بعيد عن زمنه وليس لموسى علاقة بذلك.

ثم نرى: فنهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن. فهل يتحدث موسى عن نفسه بهذا الأسلوب فالمفترض أن يقول فنهضت وأنجدت وسقيت.

وقوله: فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل. فأعطى موسى صفورة ابنته.

وقوله: وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان.

وفي جميع الأسفار وخاصة سفر الخروج نرى كاتب التوراة يتحدث بأسلوب الغائب حيث يكتب. فقال موسى. فقال الله أو قال الرب.

وهذا يدل على أن كاتب التوراة يتحدث عن زمن مضى بعيد عنه فهو يتحدث على سبيل السرد القصصي التاريخي، ولو كانت هذه الأسفار وحياً أو كلاماً صادراً عن الله لتغير الأسلوب من الحديث باسم الغائب إلى الحديث باسم الحاضر أو المتكلم.

إن مادة هذه الكتب واسعة جداً وقد نشأت وصيغت على امتداد قرون كثيرة، ولذلك فهي بعيدة كل البعد عن كتاب موسى ووحي الله سبحانه وتعالى. إذ لو كانت وحياً لتحدث موسى عليه السلام أنه تلقاها مباشرة من الله ودوّنت وظلت على حالها، ولكنها لم تدوّن ولم تبق على حالها بل هي مخالفة كلية لما نزل على موسى من كتاب.

يقول رحمة الله الهندي: "لا يقدر أحد أن يدعي بالنسبة إلى بعض الفقرات وبعض الأبواب أنها من كلام موسى، بل بعض الفقرات تدل دلالة بينة أن مؤلف هذا الكتاب لا

يمكن أن يكون قبل داود عليه السلام. بل يكون إما معاصراً له أو بعده. وعلماء المسيحية يقولون بالظن ورجماً بالغيب إنها من ملحقات نبي من الأنبياء. وهذا القول مردود لأنه مجرد ادعائهم بلا برهان؛ لأنه ما كتب نبي من الأنبياء في كتابه أني ألحقت الفقرة الفلانية في الباب الفلاني من الكتاب الفلاني، ولم يثبت ذلك بدليل قطعي"[1].

ويدعي بعض علماء اليهود أن عزرا كتب التوراة بالإلهام؛ بمعنى أن الله ألهمه التوراة وهذا يعني أن كتاب موسى وتوراته بعد أن انعدما كتبه عزرا بالإلهام مرة أخرى والواقع أن عزرا لم يعد إلى كتاب موسى ولو شفاهية عندما دون توراته، ولو كان ما كتبه عزرا إلهاماً لما وجدنا اختلافاً واضحاً بين نسخ التوراة السامرية والعبرانية واليونانية.

يقول السامريون: "إن عزرا هو الذي كتب هذه التوراة وأنه حرف كلام الله وغيّر وبدّل عمداً، بمحض إرادته ولم تكن التوراة ضائعة فكتبها بل استبدل الحق بالباطل".

ويقول أبو الفتح بن أبي الحسن السامري في تاريخه: "إن الفرس لما سمحوا لليهود بالعودة إلى ديارهم طلبوا منهم أن يتّحدوا تحت رئاسة واحدة وتكون لهم عاصمة واحدة ليسهل التعامل معهم فأصر بنو مملكة إسرائيل (السامرة) أن تكون الرئاسة فيهم وأن يكون هيكلهم في نابلس وهو القبلة وأصر بنو يهوذا (القدس) أن تكون الرئاسة فيهم وأن يكون هيكلهم في القدس، واشتد العداء بينهم من أجل ذلك فغيّر فريق القدس نصوص التوراة التي عنده لصالحه وخلفوا الخط العبري. ويتابع قوله: إن تحريف التوراة قد تم على يد اليهود العبرانيين بعدما منع السامريون العبرانيين من بنائهم الهيكل بواسطة ملك فارس بعد الرجوع من سبي بابل مباشرة وباعتراف السامري فإن عزرا وزربابل هما اللذان ابتدعا التوراة الجديدة، عزرا لأنه من نسل الكهنة أبناء هارون وكذلك زربابل لأنه من نسل داود من سبط يهودا من النسل الملكي الحاكم"[2].

---

(1) رحمة الله الهندي، إظهار الحق ص62.

(2) أحمد حجازي السقا، نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة ص 75 ـ 76.

رأي علماء اليهود بنسب التوراة

لم يقتصر الشك في نسب التوراة على العلماء العرب والمسلمين إنما كان لعلماء اليهود وبعض أحبارهم آراء غاية في الأهمية، فهم من عرف لغة التوراة وخفاياها وتفسيراتها وقد بلغ بعضهم أعلى مراتب العلم اللاهوتي اليهودي، ولم تكن آراؤهم نتيجة هوى أو تعصب أو بسبب ضغوط سياسية أو دينية. ولعل ما يدلل على قوة حججهم مناقشتهم لنصوص التوراة مناقشة عميقة تعالج المعنى واللفظ والتاريخ وجميع الحيثيات الأخرى.

وقد عرف من هؤلاء السموأل بن يحيى المغربي المتوفى سنة 570 هـ أي في القرن الحادي عشر ميلادي، ومنهم الحبر الأكبر صموئيل الأورشليمي الذي كتب ما يُسمى الرسالة السبيعية، ومنهم المؤرخ اليهودي السامري أبو الحسن الصوري، وهناك من العلماء المحدثين من سلك نفس الطريق كالفيلسوف سبينوزا.

❖ **السموأل:**

وهو أشهر القدامى فهو ابن أحد الأحبار تتلمذ على يديه وعرف الكثير من أسرار التوراة والعقيدة اليهودية، ثم هاجر من المغرب باتجاه الشرق حتى استقر في فرغانه واهتدى للإسلام وألف كتابه المشهور "غاية المقصود في إفحام اليهود" وعلى الرغم من صغر كتابه إلا أنه يقسمه إلى فصول، كل فصل يحمل عنواناً يدل على فحواه وهو الرد على التوراتيين وإظهار تحريفهم للتوراة.

وقد كان للسموأل رأي في نسب هذه التوراة فيرى أنها كتاب عزرا وليس كتاب موسى عليه السلام. ويؤكد أن كافة علماء اليهود وأحبارهم لا يقرون بنسب هذا التوراة إلى موسى أو أنها نزّلت عليه.

ويُرجع السموأل حجته بأن هذه التوراة ليست كتاب موسى إلى سببين رئيسين:

السبب الأول: طبيعة تدوين هذه التوراة وما حوته من أساليب كتابية متنوعة.

والسبب الثاني: الظروف الخارجية والداخلية التي مر بها بنو إسرائيل عبر مئات السنين منذ انقضاء عهد موسى عليه السلام وحتى أواخر أيام السبي البابلي.

ويرى السموأل أن موسى عليه السلام صان التوراة وأخفاها عن بني إسرائيل ولم ينشرها بينهم وإنما سلمها إلى بني عشيرته من اللاويين، ويورد السموأل دليلاً من التوراة حيث يرد فيها قولها: (وكتب موسى هذه التوراة ثم دفعها إلى الأئمة أولاد ليوي) وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم لأن الإمامة وخدمة القرابين وبيت المقدس كانت موقوفة عليهم.

ويقودنا - أي السموأل - إلى ما قلناه سابقاً بأن موسى لم يكن على ثقة ببني إسرائيل وقد أوردنا نصاً من التوراة يقول فيه موسى: إنهم وهو حي ارتدوا عن دينه فكيف يكون حالهم بعد موته؟

ويرى السموأل أن موسى عليه السلام لم يبذل من التوراة لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها (ها أزينو) فإن هذه السورة من التوراة هي التي علمها موسى بني إسرائيل (وكتب موسى هذه السورة وعلمها بني إسرائيل). وأيضاً فإن الله قال لموسى: (وتكون لي هذه السورة شاهداً على بني إسرائيل). وأيضاً فإن الله قال لموسى عن هذه السورة لأن هذه السورة لا تنسى من أفواه أولادهم.

والواقع أن السموأل يلفت انتباهنا إلى عدة مسائل:

1 - فمن المعروف أن هارون مات قبل موسى عليهم السلام. ومعنى ذلك أن موسى سلم نسخة من كتابه أو من التوراة إلى أبناء أخيه هارون واعتبر أنها تخصهم ولا تخص غيرهم من بني إسرائيل.

2 - بعد موت موسى وحسب نص التوراة عهد إلى اللاويين بحفظ تابوت العهد وما فيه مما ترك موسى وهارون، فهل بقي هؤلاء على عهدهم في حفظهم لهذا التابوت ألم يخفه بعضهم، ألم يُسرق ويبدل ما فيه؟ وإلا ما معنى أنه ظل ضائعاً مئات السنين حتى اكتشف يوماً على عهد أحد ملوكهم؟ هذا إذا صحت رواية الاكتشاف.

3 - تعرض بنو إسرائيل عبر تاريخهم القديم إلى سلسلة متلاحقة من التشريد بسبب سوء عقليتهم وسوء نواياهم وجرائمهم وقد وصلت الشدائد عليهم حداً أُسروا فيه وسلبوا وأحرقت كل كتبهم وما لهم من أملاك.

وإذا عدنا إلى السموأل بن يحيى المغربي نراه يورد أموراً كثيرة وفي عدة مواقع من كتابه تشير بوضوح إلى تبديل التوراة وإلى أسباب هذا التبديل.

يقول: "علماؤهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم، لا يعتقد أحد

من علمائهم وأحبارهم أنها المنزلة على موسى البتة لأن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل ولم يبثها فيهم وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد لاوي ودليل ذلك قول التوراة: "(ويحتوب موشى إث هتورا هزوث وتيناه الهكوهنيم بني ليوى) وتفسيره وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى الأئمة بني ليوى، وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم لأن الإمامة وخدمة القرابين وبيت المقدس كانت موقوفة عليهم. ولم يبذل موسى من التوراة لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها ها أزينو، فإن هذه السورة من التوراة هي التي علمها موسى بني إسرائيل ذلك قوله (ويحتوب موشا إث هشيرا هروث وتلمذاه لبني إسرائيل) وتفسيره وكتب موسى هذه السورة وعلمها بني إسرائيل".

وأيضاً فإن الله قال لموسى عن هذه السورة شاهداً على بني إسرائيل، وأيضاً فإن الله قال لموسى عن هذه السورة (كي لوتشاخاح بغي ررعو) وتفسيره لأن هذه السورة لا تنسى من أفواه أولادهم، ويعني أن هذه السورة مشتملة على ذم طباعهم وأنهم سيخالفون شرائع التوراة وأن السخط يأتيهم بعد ذلك وتُخرب ديارهم ويشتتون في البلاد. قل: فهذه السورة تكون متداولة في أفواههم كالشاهد عليهم الموافق لهم على صحة ما قيل لهم.

فهذه السورة لما قال الله عنها إنها لا تُنسى من أفواه أولادهم دل ذلك على أن الله علم أن غيرها من السور تنسى. وأيضاً فإن هذا دليل على أن موسى لم يعط بني إسرائيل من التوراة إلا هذه السورة فأما بقية التوراة فدفعها إلى أولاد هارون وجعلها فيهم وصانها عن سواهم. وهؤلاء الأئمة الهارونيون الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها قتلها بخت نصر على دم واحد يوم فتح بيت المقدس.

ولم يكن حفظ التوراة فرضاً ولا سنة بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة فلما رأى عزرا أن القوم قد أُحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التي تحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم، ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة وزعموا أن النور إلى الآن يظهر على قبره الذي عند بطائح العراق لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ دينهم. فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليس كتاب الله. وهذا يدل على أنه ـ أعني الذي جمع هذه الفصول التي بأيديهم ـ رجل فارغ جاهل بالصفات الإلهية. فلذلك نسب إلى الله تعالى صفات التجسيم والندامة على ماضي أفعاله، والإقلاع عن مثلها وغير ذلك. ومما

يستدل به على بطلان تأويلاتهم وإفراطهم في التعصب وتشديد الإصر ما ذكروه في تفسير هذه الآية: (ريشيت بكوري إذ ماتحا تأبي بيث آدوناي الوهيما لوتسل كدي باحليب أمّو) وتفسيره بكور ثمار أرضك تحمل إلى بيت الله ربك لا تنضج الجدي بلبن أمه. والمراد من ذلك أنهم أمروا عقب افتراض الحج عليهم أن يستصحبوا إذا حجوا إلى القدس أبكار أغنامهم وأبكار مستغلات أرضهم، لأنه كان فرضاً عليهم قبل ذلك أن يبقى سخولة البقر والغنم وراء أمهاتها سبعة أيام، ومن اليوم الثامن فصاعداً يصلح أن يكون قرباناً لله.

فتوهم المشايخ البلهُ المترجمون لهذه الآية والمفسرون لمعانيها أن المشرع يريد الإيضاح هذا إيضاح الطبيخ في القدر، وهبهم صادقين في هذا التفسير فلا يلزم من تحريم الطبخ تحريم الأكل إذ لو أراد المشرع الأكل لما منعه مانع من التصريح بذلك، وما كفاهم هذا الغلط في تفسير هذه اللفظة حتى حرموا أكل سائر اللحم باللبن وهذا مضاف إلى ما يستدل به على جهل المفسرين والنقلة وكذبهم على الله وتشديد الإصر على طائفتهم.

ويورد السموأل سبباً آخر لكتابة توراة جديدة من قبل عزرا فيقول: "فإن عندهم أن موسى جعل الإمامة في الهارونيين فلما ولي طالوت (شاؤل) وثقلت وطأته على الهارونيين وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم انتقل الأمر إلى داود، بقي في نفوس الهارونيين التشوق إلى الأمر الذي زال عنهم، وكان عزرا هذا خادماً لملك الفرس خطياً لديه. عمل لهم هذه التوراة التي بأيديهم، فلما كان هارونياً كره أن يتولى عليهم في الدولة الثانية داودي فأضاف في التوراة فصلين طاعنين في نسب داود أحدهما قصة بنات لوط، والآخر قصة ثمار. ولقد بلغ لعمري عرضه فإن الدولة الثانية التي كانت لهم في بيت المقدس لم يملك عليهم فيها داوديون بل كانت ملوكهم هارونيين. وعزرا عندهم ليس بنبي وإنما يسمونه عزرا هسوفير؛ وتفسيره الناسخ".

إذاً فالأسباب التي يوردها السموأل منها ما هو سبب شخصي أملته الظروف الشخصية لكاتب التوراة كي يدون على هواه، ومنها أسباب أخرى تعود إلى الظروف العامة التي عاشها بنو إسرائيل ومنها الحرب المستمرة عليهم بسبب عنصرهم الفاسد في التاريخ، ومنها ما نصت عليه التوراة من أن موسى لم يسمح لبني إسرائيل الاطلاع على كتابه.

❖ أبو الفتح بن أبي الحسن السامري:

وأبو الفتح يهودي سامري مؤرخ. كتب كتاباً تحت عنوان – التاريخ مما تقدم عن الآباء

وقد طبع كتابه في ألمانيا سنة 1865 وله أصل ألماني ومقدمة باللاتينية وبعض الملاحظات باللغة العبرية وقد ترجم إلى العربية ، ويقول أبو الحسن السامري أنه كتبه في نابلس سنة 756 هـ .

يورد أبو الحسن السامري رأي السامريين بعزرا وبتوراته وكيف حرّف التوراة الأولى ثم كيف أن الفرس عندما سمحوا لليهود بالذهاب إلى فلسطين طلبوا منهم أن يتحدوا تحت رئاسة واحدة وتكون لهم عاصمة واحدة ليسهل التعامل معهم فأصر بنو مملكة إسرائيل (السامرة) أن تكون الرئاسة فيهم وأن يكون معبدهم في نابلس هو القبلة ، وأصر بنو مملكة يهودا (أورشليم) أن تكون الرئاسة فيهم وأن يكون معبدهم في القدس هو القبلة . واشتد العداء بينهم من أجل ذلك فغيّر فريق أورشليم نصوص التوراة التي عنده لصالحه وخلفوا الخط العبراني .

ويقول أبو الحسن السامري في تاريخه :

اجتمع أولاد يهوذا الذين كانوا على نهر كوش جميعهم إلى حران وكذلك بني جايل وبنو حنانيا وبنو بنيامين وبنو زكرى وبنو طوبية وبنو شمعون وجاؤوا من بابل بشعب عظيم وهم بنو مردى ثم كتبوا إلى قوم آخرين فجاء الجميع إلى حران وجاء معهم كتب من زربابل بين سلسال مقدم يهوذا إلى عبدال الإمام وإلى غزي ابن شمعون رئيس بيت يوسف : يقول فيها : الواجب أن تفعلوا أنتم وجماعتكم ما نقوله لكم ، وهو أن نذهب إلى إيلياء ونكون كلنا شعباً واحداً ، فكتب عبدال وجماعته إلى زربابل وجماعته يقولون لهم : الواجب أن تأتوا أنتم وذراريكم بإخلاص ونية وطهارة سريرة وصحة عقيدة ونصعد إلى الأرض التي منّ الله بها علينا ، وعلى آبائنا من قبلنا ونجيء إلى جبل البركة ومحل السكينة الذي قد فرض الله علينا وعلى آبائنا تأدية وظائف عبادته عليه ، وأن تحمل قرابيننا إليه ونبني فيه مذبحاً ونفعل كما أمر الله في شريعته .

ويتحدث أبو الحسن السامري عن حوار جرى بين الطرفين ، أي السامريين والعبرانيين بشأن القبلة على أن تكون في نابلس ثم يذكر أن الملك في ذلك الزمان اقتنع بوجهة نظر السامريين ، فمنع العبرانيين من بناء هيكل في القدس .

يقول أبو الحسن السامري : "وعرف الملك صحة قولهم ومنع البناء في بيت المقدس وهدم ما كان اليهود قد عمروا فيه . وعظمت العداوة بين السامريين وبين اليهود وتزايدت البغضة بينهم .

ومن عظم ما جرى على قلب اليهود كذلك قام عـزرا وزربـابل ووضعـوا لهـم خطـاً غير الخط العبراني وجعلوا الحروف سبعة وعشـرين حرفـاً وتطرقـوا إلـى الشـريعة المقدسـة ونقلوها بالخط الـذي ابتدعـوه وحذفـوا كثيراً مـن سـور الشـريعة المقدسـة بسـبب السـورة الرابعة من العشر كلمات وذكر هرجرزيم وحدوده فيها وزادوا وأنقصوا وبدلوا وحرفوا.

ويتابع قوله: إن تحريف التوراة قد تم على يد اليهود العبرانيين بعدما منـع السـامريون العبرانيين من بنائهم لهيكل سـليمان في أورشـليم بواسـطة ملـك فـارس بعـد الرجـوع مـن سبي بابل مباشرة"[1].

❖ **رأي الحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي:**

نرى أن أعمدة وأركان هذه الشريعة الموسوية التي كانت مسندة عليهـا وفيهـا قوامهـا واستيلاؤها قد انهدمت بالكلية وانعدمت مثل إبادة الملك والرياسة وعـدم وجـود الأنبيـاء وإبطـال الكهنـوت وخـراب الهيكـل السـليماني وهـدم المذبـح واندثـار الذبـائح ومحـق الأسباط وما يتعلق بهم لأن هذه الأعمدة والأركان كان قد ربـط بهـا الله سـبحانه وتعـالى جميع ما يلزم من القضايا الدينية المشروعة في التوراة، حتى والأحكام المدنية فإذا انعدمت هذه اللوازم الركنية وبطلت كما هو مشاهد الآن نستدل من انعدامهـا علـى بطـلان الديانـة جميعها بحيث تعلق الديانة بها، ويرى هذا الحبر أن الله سبحانه لم يتكفـل بحفـظ التـوراة كما تكفل بحفظ القرآن فقال: ويظهر من ذلك أن الله سبحانه وتعالى قـد اسـتخدمها إلـى أزمنة معلومة محدودة غير راض بخلودها لا بل إنه راض بانقضائها وتبديلها.

لأنه لو كـان قصـد الله خلـود هـذه الشـريعة الموسـوية وحفظهـا ودوامهـا لمـا كـان هـو ذاتـه سبحانه ربطها في كذا قضايا تنظر إبادتها وإعدامها عيانـاً ظـاهراً في كـل حـين وآن، عنـد العـالم والغبي والعاقل والجاهل والشـيخ والشـاب وجميعهـم بالسـواء قـد ينظـرون بأنهـا قـد أعدمـت وبطلت ومضى على بطلانها مئات كثيرة مـن السـنين، وكـل عـاقل يرغـب ثـواب الآخـرة قـد يستدل على الانتقال منها إلى شريعة نبينا محمد المصطفى ﷺ هو أمر ضروري ولازم.

ويرى هذا الحبر أن الذي ألجأ الأحبار والحاخامـات اليهـود إلـى صنـع تشـريع جديـد يختلف عن تشريعات التوراة كون ترك اليهود لليهودية والعـزوف عنهـا إلـى ديانـة أخـرى

---

(1) السموأل بن يحيى المغربي. غاية المقصود في الرد على اليهود صفحة 45 ـ وصفحة 72.

فيقول: وإذ رأى الأحبار والحاخاميم الكثير من جماعتهم اليهود الموجودين في تلك العصور تابعين لدين هذين الرجلين النبيين العظيمين (محمد وعيسى) عليهما الصلاة والسلام وما بقي عندهم إلا قليل من الناس كما هو مشاهد، فقد شرعوا في عمل تحريفات وتأويلات وتفسيرات مخالفة لمضامين الشهادة الواردة في التوراة بحقها.

واخترعوا آراء مستحدثة قد رأوا أن يبقوا الباقين في دينهم إلى الآن. ومع ذلك لما كنت أتردد عندكم (اليهود) كنت أرى أن بعضاً منكم مذبذبون، ومنقسمة آراؤهم في الكثير مما ذكرته، وهم من الأناس العقلاء، وبعض منهم عارفون الحق لكنهم مربوطون في وظائفهم الدينية والأموال والأولاد والعيال وبعضهم مغفلون غير مبالين من دخولهم تحت هذه اللعنات المذكورة التي يلتزم بالدخول تحت نيرها جمهورهم بلا محالة بحيث غير ممكنهم عمل الوصايا المربوطة على من لم يعملها هذه اللعنات.

ثم ومن أقوى هذه الآراء المستحدثة قد اخترعوا لهم رأياً أبتر ليس له عندهم سند في التوراة مطلقاً لا من موسى عليه السلام ولا من الأنبياء وهو التقميص (التقمص) أعني أن الإنسان اليهودي عندما يموت وهو غير مكمل الوصايا المشروحة ومديون إلى الكثير منها ووقع تحت هذه اللعنات فيلزمه الرجوع إلى الدنيا ثاني مرة أو ثالث مرة أو إلى أكثر من ذلك إلى أن يكمل كل الوصايا ويتخلص من جرثومة هذه اللعنات رويداً رويداً، ثم لما فحصت ودققت وتوصلت إلى معرفة هذه القواعد الدينية ورأيتها أنها حديثة وليس لها سند في التوراة كما تكلمت سابقاً فقلت لنفسي، ويه ويه! ما الذي يحملك على قعودك في هذه الشريعة غير الممكن إتقانها والعمل بها، لا بل وممتنع أيضاً وأنك مع جماعة اليهود أبناء جنسك واقعون تحت قصاصاتها المحررة في التوراة.

ويخلص هذا الحبر اليهودي الذي أسلم إلى نتيجة مهمة مفادها: أن الله الذي أنزل أحكام التوراة قادر على هدمها، وهذه إشارة إلى نسخ التوراة بنزول القرآن الكريم. فيقول: من هنا أدركت أن الذي بناها بحكمته هو الذي هدمها بحكمته، واحد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون إذ أن مقاصد الحكمتين بعيدة عن معرفة عقولنا[1].

---

(1) إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي. الرسالة السبعية في إبطال الديانة اليهودية، ملحق على كتاب غاية المقصود في الرد على اليهود للسموأل بن يحيى المغربي.

آراء بعض العلماء اليهود الحديثين

تعرفنا في الصفحات السابقة على ثلاثة آراء لأحبار يهود ومؤرخين خبروا التوراة ودرسوها وتعرفوا عن كثب على تحريفها وإخفاء كتاب موسى عليه السلام. ونستكمل هذه الآراء والتحليلات من خلال العلماء اللاحقين الذين هم يهود في الأصل لكنهم أدركوا أن هذه التوراة المعاصرة بعيدة كل البعد عما جاء به النبي موسى فهي مؤلفة من قبل كتاب جرى التحقق منهم ومن أساليبهم الكتابية وغاياتهم الدينية والسياسية.

❖ **رأي الباحث م. ريجسكي:**

الذي ترجم آراءه الدكتور آحو يوسف من الروسية إلى العربية يقول: إن محرري التوراة المتأخرين الذين جمعوا قائمة الكتابات المقدسة بذلوا جهدهم لكي يختاروا من مجمل الأدبيات النبوية فقط تلك النبوءات التي كان مضمونها وأفكارها تنسجم على أكمل وجه مع المشروع الديني الذي كان قد تكرس عندئذ، ثم اعتبرت تلك المؤلفات وحدها نبوءات حقيقية وكتابات مقدسة أما البقية فقد طواها النسيان والمحررون والنساخ المتأخرين كانوا يحشرون في مؤلفات نبي قديم ما ـ بلا استحياء يذكر ـ مقاطع يرونها مناسبة من تأليف مؤلف آخر عاش بعد ذلك النبي بزمن طويل.

ويتساءل ريجسكي عن مصير الكتاب الذي عثر عليه حلقيا الكاهن زمن الملك يوشيا عام 622 ق. م فيقول: ما الذي جرى لهذا الكتاب فيما بعد؟ من المستبعد تماماً أن يكون الكاهن الأول حلقيا (بعد أن تم استخدام سفر الشريعة الذي عثر عليه استخداماً بالغ النجاح) قد سمح لهذا السفر أن يبقى في نسخة واحدة مجهولة يغطيها الغبار على رف المكتبة داخل المعبد ويقول: في أي مكان من العهد القديم يحتمل أكثر أن نعثر على سفر الشريعة؟ واضح أنه في ذلك الجزء الذي حصل فيما بعد على تسمية تورا ـ القانون. فقد قيل عن الكتاب الذي عثر عليه حلقيا أنه أعطي بيد موسى، وهذا يعني أنه كان يمكن أن يصبح أحد الكتب الخمسة (الأسفار الخمسة) أو جزءاً من أحد تلك الكتب. إنه يعبر بشكل واضح خصوصاً عن الأفكار التي تم تجسيدها في إصلاحات يوشيا الملك. إنه كتاب التثنية حيث يتم التعبير بإلحاح عن المطالبة باعتبار يهوه إلهاً وحيداً لإسرائيل وباجتثاث عبادة كل الآلهة الأخرى.

إن كلام هذا الباحث يعني أن سفر التثنية ليس كله لموسى إنما أدخل الكاهن حلقيا بعد توجيهاته التي أراد من ورائها أن يقوم الملك يوشيا بدور مهم بإعادة الاعتبار لعبادة يهوه وإبعاد الآلهات الصنمية التي عبدها بنو إسرائيل، ونسبها إلى موسى كي يقدسها القوم ولا يرفضونها. فلو أن حلقيا أعلن أنه مؤلفها فإنهم يرفضونها أما إذا ادعى أنها لموسى فإنهم ينصاعون لها.

وقد رفض اللاهوتي اليهودي ابن عزرا وهو من القرن الثاني عشر وكذلك الفيلسوف اليهودي سبينوزا من القرن السابع عشر وكذلك فولتير رفضوا جميعاً وبحزم فكرة أن يكون مؤلف الكتاب الذي عثر عليه حلقيا هو موسى.

وقد برهن العالم الألماني دي فيتيه من بداية القرن التاسع عشر بالدليل القاطع أن كتاب التثنية ما كان بوسعه أن يظهر في زمن موسى؛ أي في القرن الخامس عشر ق. م فالقوانين والأحكام المدونة في الكتاب تعني شعباً يعيش حياة حضرية مرتبة ويشتغل بالزراعة كما يملك مدناً كبيرة ونظاماً سياسياً جيد التطور، وكل هذه الأشياء لم تكن موجودة زمن موسى إذ كان في الصحراء وجماعته جماعة منقطعة عن كل شكل زراعي أو حضري.

ويفهم من ذلك أن ما كتب في سفر التثنية لا يتناسب مطلقاً مع واقع الحياة البدوية الخشنة التي كان يعيشها بنو إسرائيل في سيناء، وهذا ينسف مقولة نسب سفر التثنية لموسى عليه السلام.

وبالنسبة لكتاب (سفر الشريعة) الذي عثر عليه حلقيا وادعى الملك يوشيا أنه كتاب موسى، فيقول العالم الألماني دي فيتيه: فيما يخص حكاية اللقية "فإننا لا نستطيع معرفة وزمن وكيفية مجيء هذا الكتاب إلى معبد أورشليم وليست مستبعدة إمكانية أن يكون الكاهن حلقيا هو الذي جاء به. إنّ طريقة ظهور الكتاب شبيهة جداً بإجراء مدبر شارك فيه عدا حلقيا وشافان النبية خلدة"[1].

ويقول ريجسكي: "إن أكثر دارسي التوراة حتى اللاهوتيين منهم مضطرون للاعتراف بأن كتاب التثنية أو الأدق ذلك الجزء من كتاب التثنية الذي عثر عليه حلقيا في تلك السنوات أيام حكم يوشيا تم اختلاقه والادعاء بأنه مخطوطة قديمة"[2].

---

(1) ريجسكي: ترجمة آحو يوسف. أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية ص 144.

(2) ريجسكي: ترجمة آحو يوسف. أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية ص145.

ثم يتساءل ريجسكي قائلاً: لماذا وكيف كان النسيان والضياع في معبد أورشليم هما مصير الكتاب الذي كتب بيد موسى؟؟

يرى ريجسكي أن المقطع الذي ورد في سفر التثنية الإصحاح 31: 24 ـ 27 هو من تأليف حلقيا كي يبرر عدم ضياع كتاب موسى أو كي يبرر مشروعية وجوده، والمقطع يقول: (فعندما كمّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد يهوه قائلاً خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد يهوه إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هوذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون يهوه فكم بالحري بعد موتي). ويعلق ريجسكي قائلاً: إن سخافة هذا التفسير واضحة تماماً للقارئ المعاصر، لماذا كان يجب إخفاء الكتاب ـ الشهادة بطريقة جعلت من غير الممكن العثور عليه خلال عدة قرون؟

ويختم قوله في هذه النقطة: "لكن هذا المقطع من كتاب التثنية يصبح مفهوماً جداً إذا ربطناه بقصة اللقية عند حلقيا. لقد استخدم مدبر الإصلاح عام 622 طريقة معروفة من قبل حيث تم نسب الكتاب الذي كتبوه إلى نبي قديم هو موسى الذي كان التقليد الشعبي يرى فيه ليس مجرد شخص خلّص الأجداد من نير الفراعنة المصريين بل ومؤسس ديانة يهوه"[1].

ويرى ريجكسي: أن عزرا كرر ما كان قد فعله قبل قرنين الملك يوشيا والكاهن حلقيا أي أن عزرا ونحميا حصلا على اعتراف رسمي بأن الكتاب الذي جلبه عزرا هو قانون أوصى يهوه ذاته لموسى.

❖ رأي الفيلسوف باروخ سبينوزا:

في كتابه المهم رسالة في اللاهوت والسياسة والتي ترجمها الدكتور حسن حنفي ونشرته الهيئة العامة للكتاب في مصر سنة 1972 يطرح سبينوزا الفيلسوف اليهودي عدة قضايا هامة يتفحص من خلالها التوراة وأسفار موسى الخمسة كما ينسبها اليهود.

ولا تقتصر دراسته النقدية على الأسفار الخمسة بل يتابع فحصه في بقية الأسفار التي ينسبها اليهود للأنبياء.

---

(1) المرجع السابق ص 146.

يرى سبينوزا أن سفر توراة الله الذي كتبه موسى كان صغيراً جداً لأن واضع التوراة الحالية ذكر أن موسى أعطاه الأحبار، ثم طلب قراءته أمام الشعب في أوقات معلومة وهذا يدل على أنه كان أقل حجماً بكثير من الأسفار الخمسة، إذ كان من الممكن قراءته كله في مجمع عام بحيث يفهمه الجميع، ومعنى ذلك أن التوراة الأصلية ليست هي هذه الأسفار الحالية.

ويقول: وأخيراً لما كانت توجد نصوص كثيرة في الأسفار الخمسة يفترض أن يكون موسى كاتبها فإن أحداً لا يستطيع أن يؤكد عن حق أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة بل على العكس يكذب العقل هذه النسبة.

ويقدم سبينوزا أربع ملاحظات هامة:

1 ـ لا تتحدث الأسفار الخمسة عن موسى بضمير الغائب فحسب وإنما تُعطى عنه شهادات عديدة لا يصح البتة أن يكون هو الذي أعطاها عن نفسه ومن ثم لا يسوغ قطعاً أن يكون هو كاتبها. وهذه الشهادات مثل قوله:

(تحدث الله مع موسى. وكان الله مع موسى وجهاً لوجه. وكان موسى رجلاً حليماً جداً أكثر من جميع الناس).

2 ـ تمتد روايات التوراة في بعض الأحيان إلى ما بعد موسى. فيروي سفر الخروج: أن بني إسرائيل أكلوا المنّ أربعين سنة حتى وصلوا إلى أرض مسكونة على حدود بلاد كنعان أي حتى اللحظة التي يتحدث عنها سفر يشوع.

3 ـ يجب أن نذكر أيضاً أن رواية الأسفار الحالية لا تقص فقط قصة موت موسى ودفنه وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين عليه. بل تروي أيضاً أنه فاق جميع الأنبياء إذا ما قورن بالأنبياء الذين أتوا بعده. (ولم يقم من بعده نبي في إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه). وهذه شهادة لم يكن من الممكن أن يدلي بها موسى نفسه أو شخص آخر أتى بعده مباشرة، بل هذه شهادة شخص عاش بعده بقرون عديدة وقرأ عن أنبياء عديدين بعد موسى ولاسيما أن المؤرخ قد استعمل الصيغة المعبّرة (ولم يقم من بعده نبي في إسرائيل).

ويقول عن القبر: ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا.

4 ـ ويقول سبينوزا: يجب أن نذكر أيضاً أن بعض الأماكن لم تطلق عليها الأسماء التي

عرفت بها في زمن موسى بل أطلق عليها أسماء عرفت بها بعده بوقت طويل إذ يقال في التوراة: (إن إبراهيم تابع أعداءه حتى دان) تكوين. وهو اسم لم تأخذه المدينة التي تحمل اسمه إلا بعد موت يشوع بمدة طويلة. وقد قالت التوراة (سموا المدينة "دان" باسم أبيهم الذي ولد لإسرائيل وكان اسم المدينة قبل ذلك لاييش فكيف يذكر موسى وهو يقص قصة إبراهيم عليه السلام أنه جد في طلب أعدائه إلى مدينة دان وهي لم يُطلق عليها هذا الاسم إلا بعده بزمن طويل جداً.

ويتحدث سبينوزا عن بقية أسفار التوراة العبرانية كسفر يشوع والقضاة وصموئيل على ذلك أن سفر يشوع ليس من وضع يشوع إنما كتب بعد يشوع بقرون عديدة، ويدل على ذلك أسلوب الحديث، أي حديث من كتب التوراة عن يشوع.

وكذلك سفر القضاة فهو لم يكتب من قبل القضاة أنفسهم؛ لأن نهاية الرواية تكشف بوضوح أن مؤرخاً واحداً هو الذي كتبه كله إذ جاء فيه: (وفي تلك الأيام لم يكن لبني إسرائيل ملك وكان كل إنسان منهم يعمل ما حسن في عينيه). فلما كان مؤلفه يكرر دائماً أنه لم يكن هناك في عصره أي ملك لبني إسرائيل فلا شك أنه لم يكتب إلا بعد أن صار لبني إسرائيل ملوك. وأسفار صموئيل كذلك قد كتبت بعد صموئيل بعدة قرون لأن القصة تستمر بعد وفاته بوقت طويل.

وعليه، فإن سبينوزا يقرر أن القول بأن هذه الأسفار نزلت على موسى هو قول باطل وكذب، ويرى أن الذي كتبها مؤرخ واحد أراد أن يروي تاريخ إسرائيل القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هدم مدينة القدس لأول مرة، والذي يدل على ذلك وحدة الغرض في جميع الأسفار، وطريقة التسلسل في هذه الأسفار، أو طريقة ربطها ببعضها وتخلص المؤلف من سفر إلى آخر والمحتوى[1].

---

(1) سبينوزا. رسالة في اللاهوت والسياسة. نقلاً عن كتاب مقارنة الأديان لـ محمد عبدالله الشرقاوي.

الفصل الثالث

مضمون كتاب موسى عليه السلام مقارنة بمضمون أسفار موسى الخمسة

كيف نعرف مضمون كتاب موسى عليه السلام؟

إذا كنا قد تعرفنا على أن الله سبحانه وتعالى قد آتى موسى كتاباً ثم نزل التوراة بعد هذا الكتاب يجدر بنا أن نتوقف عند محتوى هذا الكتاب كما أشار له القرآن الكريم ونقارن ما جاء فيه بما أشارت له التوراة طالما أن قصة التنزيل في إطارها العام هي نفسها كما جاءت في التوراة والقرآن من حيث مكان التنزيل وصيام موسى عليه السلام أربعين يوماً وعبادة العجل من قبل بني إسرائيل في غيابه.

والواقع أن هناك عدداً كبيراً من آيات القرآن الكريم تحدثت عن كتاب موسى، فإذا تنبهنا لما ذكره القرآن الكريم عن الإشارات لمضمون ما جاء في الألواح وللأحكام التي فرضت على بني إسرائيل استطعنا أن نتعرف على مضمون ما أنزل على النبي موسى عليه السلام يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [الأعراف 154].

ويقول تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأعراف 145].

ففي الإطار العام فإن ما كتب في الألواح هدى ورحمة وموعظة وتفصيلاً للأحكام والتشريع لكنا إذا راجعنا الآيات الأخرى ـ وهي كثيرة ـ سنرى أن ما تضمنه كتاب موسى هو الأسس الأولى لعقيدة التوحيد.

وأولها: الاعتماد على الله وحده وعدم الإشراك به. وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ [الإسراء 2].

ثانيها: الدعوة للإيمان باليوم الآخر والتيقّن الإيماني منه وذلك في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام 154].

ثالثها: في الكتاب أحكام وتشريعات أعرض عنها بنو إسرائيل وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران 23].

وإذا نظرنا إلى الأحكام والتشريعات التي فرضت على بني إسرائيل فإننا سنجدها مبثوثة في القرآن الكريم، وهذه الأحكام لا وجود لها في الأسفار الأربعة والثلاثين التي تتبع ما يسمى أسفار موسى الخمسة ولا وجود لها في سفر التكوين وفي غالبية سفر الخروج.

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ [البقرة 83-84].

ففيه عدة أمور يمكن حصرها كالتالي:

1 ـ عبادة الله وحده ولا إشراك به.

2 ـ بر الوالدين والإحسان إلى ذي القربى والمساكين واليتامى.

3 ـ معاملة الناس معاملة حسنة .

4 ـ إقامة الصلاة .

5 ـ إيتاء الزكاة .

6 ـ النهي عن القتل وسفك الدماء .

ويقول تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [المائدة 12] .

فإضافة لما ورد في الآية السابقة نرى هنا الدعوة للإيمان بأنبياء الله ورسله والعمل على فعل الخير باعتباره إقراض الله قرضاً حسناً .

وقد كتب الله على بني إسرائيل كثيراً من المحرمات وحددها القرآن الكريم في كثير من الآيات ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [النحل 124] ففي الآية فرض السبت أن لا يعمل فيه بنو إسرائيل .

ويقول تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المائدة 32] .

ففي الآية إشارة إلى أن الله سبحانه قد كتب عليهم حكماً أن من يقتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحيا نفساً فكأنما أحيا الناس جميعاً .

ومن خلال ما تقدم يمكن لنا أن نتعرف على ما حوى كتاب موسى عليه السلام مرتباً حسب الأولويات في عقيدة التوحيد وهي :

1 ـ الإيمان بالله وحده .

2 ـ الإيمان بالرسل وتأييدهم .

3 ـ الإيمان باليوم الآخر .

وهذه الأمور الثلاثة هي ثلاثة أركان من أركان الإيمان التي عرفناها في الإسلام الحنيف، أما أركان الإسلام بالمعنى الشمولي الذي يعم الأنبياء المرسلين جميعهم فهي:

1 - إقامة الصلاة.

2 - إيتاء الزكاة.

أما المعاملات التي هي ترجمة للإسلام والإيمان فهي:

1 - بر الوالدين.

2 - النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

3 - معاملة الناس معاملة حسنة.

4 - الإحسان إلى ذي القربى واليتامى والمساكين.

ويضاف إلى ذلك ما حرم الله من الأكل والمشرب والسبت.

ويوضح ذلك بعض آيات القرآن الكريم:

يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة 85].

فقد كتب الله عليهم عدم إخراج بعضهم من ديارهم أو قتلهم.

ويقول تعالى: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران 50].

وهذا يعني أن هناك محرمات كانت مفروضة على بني إسرائيل فعندما جاء السيد المسيح عليه السلام أحل بعضها بأمر من وحي الله ليخفف عنهم.

الوصايا والأحكام في التوراة السامرية

تشير التوراة السامرية إلى لوحي الشهادة اللذين كتب الله فيهما لموسى أحكاماً وتشريعات وتشير هذه التوراة إلى أن الله كتب كلمات، وقد كررت الحديث عن هذه الكلمات مراراً وفي عدة مواقع.

فجاء في الخروج: (وقال الله لموسى إنني كاتب لك الكلمات هذه. فإن بسبب الكلمات هذه قطعت معك عهداً ومع إسرائيل) "خروج 34: 27".

لكن هذه التوراة تورد في السفر المسمى سفر التثنية الاشتراع تفصيلاً لكل الكلمات التي أشارت إليها.

فتقول: (والآن يا إسرائيل اسمع السنن والأحكام التي أنا معلمكم للامتثال حتى تحيوا). وتقول: (لا تزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم اليوم ولا تنقصوا منه حفظاً لوصايا الله إلهكم التي أنا موصيكم).

1 - وأول ما يطالعنا من هذه السنن والأحكام العبادة لله وحده وعدم الإشراك به. تقول: (لا يكن لك آلهة أخرى بحضرتي. لا تصنع لك نحتا وكل شبه مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لها ولا تعبدها إنني أنا الله إلهك القادر المعاقب) "التثنية 5: 7 - 9".

2 - وتأتي الوصية الثانية لتؤكد على حفظ حرمة السبت فتقول: (احفظ يوم السبت لقدسه كما وصاك الله إلهك).

3 - ترد بعدها وصية بر الوالدين فتقول: (أكرم أباك وأمك كما وصاك الله إلهك حتى تطول مدتك وحتى يحسن إليك على الأرض التي إلهك معطيك).

4 - وترد بعدها وصية لا تقتل ولا تفسق. لا تسرق. ولا تشهد على صاحبك شهادة زور. لا تتمنّ بيت صاحبك ولا تتمنّ زوجة صاحبك وحقله وعبده وأمته وبقره وحماره وكل ما لصاحبك.

وفي الإصحاح السادس تكرر التوراة السامرية وصايا كلمات موسى فتقول: (الله إلهنا

إله واحد. فلتحب الله إلهك بكل قلبك وبكل نفسك وبكل جهدك وتقول: احذر أن تنسى الله الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية من الله إلهك فلتخف وإياه تعبد وباسمه تقسم. ولا تضلوا تبع آلهة أخرى من آلهة الشعوب التي حولكم) "6: 12 - 14".

وفي الإصحاح العاشر من سفر التثنية تؤكد التوراة السامرية على العشر كلمات؛ أي الوصايا التي هي أساس التشريع الموسوي فتقول: (فكتب على اللوحين مثل الكتابة الأولى عشر الكلمات التي خاطبكم الله في الجبل من وسط النار) "10: 4".

وفي الإصحاح الرابع عشر من هذه التوراة يورد سفر التثنية بعض المحرمات والمحللات التي وصاهم موسى أن يتقيدوا بها. فتقول: (لا تأكلوا كل كريهة. وهذه البهائم التي تأكلون بقر وغنم وحملان وماعز وأيل وظبي ويحمور وأروى وأربض وتبتل وزرافة. وكل بهيمة مظلفة ظلفاً ومشقوقة شقا ظلفين ومصعدة اجترار من البهائم فإياها تأكلون إلا هذه لا تأكلوا من مصعدي الاجترار ومن مظلفي الظلف. الجمل والأرنبة).

وتقول: (كل طير طاهر تأكلون وهذا الذي تأكلون منه النسر والكاسر والعنقاء والحدأة والصداة على أجناسه وكل غراب على أجناسه وأولاد النعام والطاووس والشأف على أجناسه والنصص والبوم والصقر والشاهين والحشاف والقوق والرخم والعقاب والببغاء على أجناسه) "14: 18".

وتتابع الوصايا في سفر التثنية وفيها:

1 ـ ما يتعلق بأحكام الدّين وأحكام الحصاد والاسترقاق والصدقات والذبائح والقرابين والقصاص في القتل والاعتداء والشهود والمحاكم ومن ثم العقوبات الخاصة بالزنا والخيانات الزوجية وأحكام الزواج والطلاق، ثم تورد أحكام الحرب والقتال، وتورد أيضاً أحكام وعقوبات الأبناء الضالين العاقّين، وأحكام الطهارة والنجاسة للرجل والمرأة والأشياء المادية والحيوانات.

وتستمر التوراة السامرية بذكر كافة القضايا المرتبطة بالحياة الاجتماعية والزراعية والاقتصادية والقضايا الدينية. والواقع أن هذه الأحكام التي وردت في سفر تثنية الاشتراع تندرج في معظمها تحت القواعد الدينية التي نظمت لبني إسرائيل دينهم ودنياهم، على الرغم من أنهم نقضوها وخالفوها وحرّفوا أهدافها عن مسارها. وبشكل

عام نرى أن الكثير من هذه الأحكام يتشابه تماماً مع الأحكام التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، إلا ما يتعلق منها بأحكام الحرب والقتل للأغيار، فهي منافية لتعاليم الأنبياء جميعهم ومخالفة لأوامر القرآن الكريم، والديانات الإنسانية جميعها.

وإذا راجعنا سفر التثنية كما ورد في التوراة العبرانية لا نجد كبير فرق بين أحكامها وأحكام التوراة السامرية، فهما يتماثلان بإيراد هذه الأحكام والتشريعات، وهناك اختلافات في بعض الألفاظ؛ فلغة التوراة السامرية لغة غير منظمة وفيها ركاكة وضعف. وإذا كانتا تتفقان في إيراد هذه الأحكام فإن ذلك لا يعني أنهما غير مختلفتين، فهما تختلفان في قضايا جوهرية تمس العقيدة في صلبها وتمس مجرى الحوادث التاريخية التوراتية في أدق تفاصيلها.

كيف نفهم مضمون التوراة التي تحدث عنها القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم عن التوراة في تسعة عشر موضعاً ووردت آيات كريمة تشير إلى تحريف هذه التوراة وإخفاء بعض ما جاء فيها.

وإذا سرنا مع الآيات المشيرة للتوراة نرى بعضها وقد تحدث عن بعض الأحكام التي كتبها الله لبني إسرائيل، ونرى بعضها الآخر يشير إلى أن أحكاماً أخرى موجودة فيها حاول بنو إسرائيل إخفاءها.

وقد أشارت آية من كتاب الله العزيز إلى أن ما وُجد من أحكام وتشريعات في التوراة حكم بها الأنبياء الذين خصهم الله سبحانه لبني إسرائيل.

فقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة 44-45].

ويقول تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المائدة 43].

وتبين أحاديث رسول الله ﷺ وسيرته تلك الأحكام على ضوء آيات القرآن الكريم التي تتحدث تلك الأحكام.

فقد أخرج ابن مردويه عن البراء بن عازب قال: مر على رسول الله ﷺ يهودي محمم قد جلد فسألهم ما شأن هذا؟ قالوا زنى. فسأل رسول الله ﷺ اليهود: ما تجدون حد الزنى في كتابكم قالوا: نجد حده التحميم والجلد فسألهم: أيكم أعلم؟ فتركوا ذلك إلى رجل منهم قالوا: فلان فأرسل إليه فسأله: قال يجد التحميم والجلد فناشده رسول الله ﷺ

ماتجدون حد الزنى في كتابكم قال نجد الرجم ولكن كثر في عظمائنا فامتنعوا منهم بقومهم ووقع الرجم على ضعفائنا فقلنا نضع شيئاً يصلح بينهم حتى يستووا فيه فجعلنا التحميم والجلد. فقال النبي ﷺ: اللهم إني أول من أحيا أمرك إذا أماتوه فأمر به فرجم قال: ووقع اليهود بذلك الرجل الذي أخبر النبي ﷺ وشتموه وقالوا لو كنا نعلم أنك تقول هذا ما قلنا أنك أعلمنا. قال: ثم جعلوا بعد ذلك يسألون النبي ﷺ: ما تجد فيما أنزل إليك حد الزنى؟ فأنزل الله سبحانه: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة 43]. يعني حدود الله. فأخبره الله بحكمه في التوراة قال: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [المائدة 45][1]. وفي قوله تعالى: وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس.. الخ تبين لنا سيرة رسول الله ﷺ وأحاديثه مضمون هذه الأحكام.

فقد أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: لما رأت قريظة النبي ﷺ حكم بالرجم وقد كانوا يخفونه في كتابهم فنهضت قريظة فقالوا: يا محمد! اقض بيننا وبين إخواننا بني النضير وكان بينهم دم قبل قدوم النبي ﷺ. وكانت النضير ينفرون على بني قريظة ديّاتهم على أنصاف ديات بني النضير فقال: دم القرظي وفاء دم النضير، فغضب بنو النضير وقالوا: لا نطيعك في الرجم ولكنا نأخذ بحدودنا التي كنا عليها فنزلت ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة 50]. ونزل ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ وأخرج ابن المنذر من طريق ابن جريج عن ابن عباس ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ ﴾ قال في التوراة وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ قال كتب عليهم هذا في التوراة فكانوا يقتلون الحر بالعبد ويقولون كتب علينا أن النفس بالنفس.

وأخرج عبد بن حميد وأبو الشيخ عن قتادة "وكتبنا عليهم فيها قال في التوراة قال: إنما أُنزل ما تسمعون في أهل الكتاب حين نبذوا كتاب الله وعطلوا حدوده وتركوا كتابه وقتلوا رسله"[2].

---

(1) السيوطي: الدر المنثور في التفسير المأثور مجلد 2 صفحة 505 ـ 510 ـ 511.

(2) المرجع السابق نفسه.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران 50] فيفسره الحديث بقوله: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الربيع في قوله (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) قال: كان الذي جاء به عيسى ألين مما جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الإبل والثروب فأحلها لهم على لسان عيسى، وحرمت عليهم الشحوم فأحلت لهم فيما جاء به عيسى وفي أشياء من السمك وفي أشياء من الطير..."[1].

ومن خلال آية أخرى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ [التوبة 111] نستشف أن الجهاد قد فُرض على بني إسرائيل وهذا الجهاد ليس هو القتال العنصري كما تدعي التوراة الحالية، بل هو جهاد في سبيل نشر كلمة التوحيد، وجزاء من يقاتل في سبيل الله هو الجنة لجميع من يؤمنون بوحدانية الله ولا يحرفون الكلم عن مواضعه.

(1) السيوطي: الدر المنثور في التفسير المأثور - مجلد 2 - ص 62.

الفصل الرابع

بين التوراة العبرانية والتوراة السامرية

قلّت المقارنات بين التوراة العبرانية والتوراة السامرية حتى أن كثيراً من الدارسين لا يعرفون إلا القليل عن تلك الفروقات وذلك بسبب انتشار التوراة العبرانية وعدم انتشار الأخرى.

وقد برزت إلى الوجود أولى المخطوطات للتوراة السامرية في مدينة نابلس الفلسطينية عام 1978م وقد قام بتصويرها الكاهن السامري عبد المعين صدقة عن مخطوطة قديمة للتوراة السامرية كان قد ترجمها من اللغة العبرانية السامرية القديمة إلى اللغة العربية الكاهن السامري أبو الحسن إسحق الصوري وكتبها بخط يده أبو البركات، ولما صور هذه المخطوطة صوراً كثيراً وزعها على الراغبين في الاطلاع عليها تلبية لرغبة البروفسور زهير صالح الشنار بجامعة برلين.

ويقول الدكتور أحمد حجازي السقا، وقد حصلت على مخطوطة التوراة السامرية هذه من مدينة نابلس عام 1978. واكتفيت بطبعها على مثال طبعة البروتستانت للتوراة العبرانية.

وقد حصلنا على هذه الطبعة التي طبعت عام 1978م والتي نشرتها مكتبة دار الأنصار بالقاهرة، والتي أشرف على طباعتها الدكتور أحمد حجازي حفظه الله.

وقد أجرى الدكتور السقا مقارنة بين التوراة السامرية والتوراة العبرانية واتخذ في ذلك سبيل المقارنة اللغوية وبعض القضايا التاريخية وأعمار الأنبياء والحوادث.

وقد رأينا أن نجري مقارنة بين الكتابين في قضايا أخرى تدخل في صلب العقيدة

اليهودية وأهمها التجسيد لذات الله في العبرانية وعدمه في التوراة السامرية.

وباعتبار أن التوراة السامرية هي خمسة أسفار فقط، ويسمونها أسفار موسى الخمسة فإننا سنلجأ إلى مقارنة مضمونها بمضمون الأسفار الخمسة الأولى الواردة في التوراة العبرانية، وقد أشرنا من قبل إلى أن السامريين لا يعترفون على بقية الأسفار الأربعة والثلاثين الواردة في التوراة العبرانية بسبب عدم علاقتها بالأنبياء على حد قولهم.

وباعتبار أن الاختلاف يقع في أسفار خمسة فقد رأينا أن ندرس كل سفر على حده لنقارن ما ورد في الكتابين ومن ثم نعلق على مدى اقترابه من النص القرآن أو ابتعاده حتى نخرج بنتيجة مفيدة حول اتساع التحريف أو ضيقه في التوراة العبرانية وكذلك التوراة السامرية.

تصل الاختلافات بين التوراة السامرية والتوراة العبرانية حداً كبيراً، حتى أن كل سطر يحوي كلمات مختلفة بين كلتيهما. لكن الذي يهمنا من إيضاح هذه الاختلافات ما يدخل في القضايا العقيدية الصرفة.

الإصحاح الأول:

يأتي في التوراة السامرية: ورياح الله هابة على وجه الماء.

ويأتي في العبرانية: وروح الله يرف على وجه المياه.

ويأتي في السامرية: وكان ليلاً وكان نهاراً يوماً واحداً.

ويأتي في العبرانية: وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً.

ويأتي في السامرية: وقال الله يكون فلك في وسط الماء... وسمى الله الفلك سماء.

وفي العبرانية: ودعا الله الجلد سماء.

ويرد في التوراة السامرية: قولها القديم صفة الله تعالى وتكرر اللفظة مراراً لتؤكد على أن الله هو القديم بلا حدود. فتقول: في يوم صنع القديم الله سماء وأرضاً. إذ لم يمطر القديم الله على الأرض. وخلق الله القديم آدم تراباً من الأرض وغرس القديم جنانا في النعيم من قبل. وأنبت القديم الله من الأرض كل شجر شهي وأخذ القديم الله آدم وأقره في جنات النعيم.

بينما يرد في التوراة العبرنية: يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض. وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً. وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن. وأوصى الرب الإله آدم قائلاً...

فتورد التوراة السامرية لفظة القديم عشرات المرات وبالمقابل تورد التوراة العبرانية لفظة الرب الإله عشرات المرات. وهذا الاختلاف في هذه اللفظة يعيدنا إلى مسألة هامة

وهي أن الـذي ترجـم التـوراة العبرانيـة إلـى اللغـات الأوروبيـة ثـم إلـى العربيـة هـم كهنـة المسيحية ولفظة الرب أقرب إلـى مصطلحهـم مـن كلمـة القديم فلذلـك قـالوا الـرب ولـم يقولوا القديم تمشياً مع المصطلح الذي يستعملونه في الإنجيل.

والواقع أن الاختلاف هنا في صفة الله - الرب - القديم تعـود إلـى أن النـص الأصلـي للتوراة تُرجم حسب المعنى الذي يؤديه في اللغـة المترجم إليهـا، وهـذا أيضـاً يؤكـد لنـا أن المسيحية عندما تُرجمت التوراة فإنها راعت المعنى اليوناني للغة.

الإصحاح الثاني:

لعل أهم فرق في هذا الإصحاح قول التوراة السامرية عن زوج آدم امرأة بينمـا تقـول التوراة العبرانية حواء.

جاء في السامرية: وكوّن القديم الله الضلع الذي أخذ من آدم امرأة، ولذلـك تسـمى امرأة. وتقول: وكانا كلاهما عاريين آدم وزوجته ولم يحتشما.

وتقول العبرانية: وكانا كلاهما عريانيين آدم وامرأته وهما لا يخجلان.

وفي وصف الله سبحانه تقول السامرية: وسمعا صوت القديـم الله متسـايراً في الجنـان عند اتساع النهار. فاختبأ آدم وزوجته من حضرة القديم الله في وسط شجر الجنان.

وتقول العبرانية: وسمعا صوت الرب الإله ماشـياً في الجنـة عنـد هبـوب ريـح النهـار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة.

وجاء في السامرية: والثعبان كان أخبث من كل وحشية الصحراء.

وجاء في العبرانية: وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية.

الإصحاح الخامس:

تقول التوراة السامرية: هذا شرح نسبة آدم في يوم خلق الله آدم بصورة الملائكة خلقه.

وتقول العبرانية: يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله.

ونلاحظ الفرق بين قول الكتابين إذ أن خلق آدم في العبرانية على صورة الله يدل على لوثة الوثنية التي أدخلها مترجمو التوراة. بينما تكتفي السامرية بقولها بصورة الملائكة.

الإصحاح السادس:

تقول التوراة العبرانية: وحدث أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا.

وتقول السامرية: نظر بنو السلاطين بنات الناس إذ حسان هن فأخذوا لهم نسوة من كل ما اختاروا.

فنلاحظ الوثنية الواضحة في قول العبرانية إذ جعلت لله أبناء تزوجوا من بنات الناس بينما السامرية تأتي بلفظة السلاطين بمعنى أن البشر تزوجوا من بشر مع تفاوت في المرتبة الاجتماعية. ويتضح تأثر العبرانية بالأساطير البابلية التي تروي قصصاً عن زواج أبناء الآلهة من بنات البشر العاديين.

وتكرر العبرانية قولها بأن أبناء الله تزوجوا بنات الناس فأنجبوا الجبابرة بسبب هذا الزواج.

وفي الإصحاح نفسه تقول التوراة العبرانية: فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان.

فذات الله هنا مزاجية متقلبة ويقيسون تصرفه بمقياس بشري إذ هو يغضب ثم يحزن ثم ينوي أن يدمر الأرض.

ولا نجد ذلك في التوراة السامرية: إذ تقول في مناسبة هذه الحادثة: وتواجد الله لما صنع الناس في الأرض.

واختلفت التوراة السامرية عن العبرانية باسم الموقع الذي استقرت عليه السفينة فالعبرانية تقول: واستقر الفلك عل جبال أراراط.

وتقول السامرية: واستقرت السفينة على جبال سرنديب. وسرنديب هي سيلان اليوم أو سيرلانكا.

الإصحاح الثاني عشر:

تقول السامرية: وتجلّى ملاك الله لأبرام.

بينما تقول العبرانية: وظهر الرب لأبرام.

والواقع أن ملاك الله تجلّى لإبراهيم وليس الله ونلاحظ كم تسرف التوراة العبرانية بالوثنية بينما تتحاشى السامرية ذلك وهذا ما يخفف من تحريفاتها.

وتختلف التوراة العبرانية عن السامرية في ذكر المواقع التي جاء إليها إبراهيم.

فتقول العبرانية: ثم نقل من هناك إلى الجبل الشرقي بيت إيل ونصب خيمته وله بيت إيل من المغرب وعاي من المشرق.

بينما تقول السامرية: وانتقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت القادر ونصب مضربه. بيت القادر من الغرب والكفيّر من الشرق.

وعن لقاء إبراهيم بملك القدس تقول العبرانية: وملكي صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً وكان كاهناً لله العلي.

وتقول السامرية: والملك العادل ملك ساليم أخرج طعاماً وخمراً وهو إمام للقادر العلي.

الإصحاح السابع عشر:

تقول التوراة السامرية: ولما صار أبرام ابن تسعين وتسع سنين تجلى ملاك الله لأبرام وقال له أنا القادر الكافي.

وجاء في التوراة العبرانية: ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير.

وتقول العبرانية: فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم. بينما تقول السامرية: وارتفع ملاك الله عن إبراهيم.

الإصحاح الثامن عشر:

تقول العبرانية: وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حرّ النهار فرفع عينيه ونظر إذا ثلاثة رجال واقفين لديه فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك.

وتقول السامرية: وتجلى له الله في مروج ممرا وهو جالس بباب الخباء عند حمو

النهار فرفع عينيه ونظر وهو ذا ثلاثة رسل قائمين حوله .

ففي العبرانية يتصور كاتب التوراة أن واحداً من الثلاثة هو شخص الله وهذا تجسيد ووثنية بينما السامرية تحدد أنهم ثلاثة رسل أي ثلاثة ملائكة .

وجاء في السامرية : وعجبت سارة في سرها قائلة بعد بلائي تكون لي لذة ومولاي شيخ .

وجاء في العبرانية : بعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ .

وجاء في السامرية : وقام من هناك الرسولان وأشرفا على ظاهر سدُم .

وجاء في العبرانية : ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سادوم .

وفي قول العبرانية الأخير تأكيد على أن الثلاثة الذين قابلهم إبراهيم هم ثلاثة رجال بعد أن قالت في البداية أن شخص الله كان معهم .

وتقول العبرانية في آخر هذا الإصحاح : وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم إلى مكانه .

وتقول السامرية : فنار ملاك الله عندما انتهى من مخاطبة إبراهيم وإبراهيم عاد إلى موضعه .

ولا أدري ماذا تعني كلمة فنار في السامرية وقد تكون فسار وهذا أصح في السياق .

لكن الذي نراه اختلافاً جذرياً بين تأكيد العبرانية على أن الله هو الذي فرغ من الكلام بينما نرى أن الملاك هو الذي فرغ من الكلام عند السامرية .

الإصحاح التاسع عشر:

تقول السامرية : هو ذا الآن لي ابنتان لم يعرفا رجلاً أخرجهما الآن إليكم لتصنعوا بهما كالحسن عندكم . وهذا يعني أن يفعلوا بالبنتين كما يفعلون مع زوجاتهم ضمن الشرع وليس يعني ذلك أن لوطاً قدم ابنتيه ليزنوا بهما .

وتقول العبرانية : هو ذا لي ابنتان لم تعرفا رجلاً أخرجهما إليكم فافعلوا بهما كما يحسن في عيونكم . وهذا القول يعني أن لوطاً يقدم ابنتيه كي يمارس القوم معهما ما يحلو لهم ويتفق الكتابان السامرية والعبرانية في قصة زنى لوط بابنتيه دون أن يحس أو يشعر وهذا دليل على أن الكتابين احتويا ما يغضب الله ويلفق على الأنبياء ويشوه سيرتهم .

الإصحاح العشرون:

جاء في السامرية: فأتى ملاك الله إلى أبي مالك في حلم الليل. فقال له ملاك الله في الحلم أيضاً..

وجاء في العبرانية: فقال له الله في الحلم أنا.. فجاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل.

فنلاحظ الفرق في هذا القول إذ أن العبرانية ترى أن الله كلم أبا مالك، بينما السامرية تقول إن ملاك الرب كلمه. ففي القول الأول تجاوز لكثير من منطق العقيدة.

وهذا قدر واف من التناقضات اللغوية والعقيدية الموجودة في التوراة العبرانية والتوراة السامرية كي نحكم بأن التحريف قد لحق الكتابين، ولكن العبرانية أكثر التصاقاً بالوثنية من السامرية وهذا ما يناقض كلياً ما أنزله الله على النبي موسى عليه السلام. إذ من المستحيل أن ينزل الله على موسى ما هو مناقض لعقيدة التوحيد وما هو ضد تعاليمه.

وهناك من التناقضات الضخمة التي تفضح أسلوب التدوين التوراتي وقلة فهم من دونوا التوراة العبرانية والسامرية، بل إن ما يفصح عنه هذا التناقض الجهل الذي أصاب كلا الطرفين السامريين والعبرانيين.

وقد أورد الدكتور الشيخ أحمد حجازي السقا كثيراً من هذه التناقضات. وقد أشرنا إلى أن ما دوّناه من تناقض يضاف إضافة جديدة على ما جاء به الدكتور السقا، ومع ذلك فإننا نرى أن إيراد بعض أمثلته يزيد من إيضاح الأمر أكثر فأكثر.

يورد الدكتور السقا ثمانية عشر مثالاً لاختلافات ويورد ما وجده (ليكلرك) وهو من علماء النصارى الذين عقدوا مقارنات بين التوراة السامرية والعبرانية واستطاع أن يثبت عشرات من تلك التناقضات.

جاء في كتاب الدكتور السقا:

- المثال الأول في العبرانية: فرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع تكوين 2: 2. وفي السامرية: وكمل الله في اليوم السادس صناعته التي صنع.
- المثال الثاني: في السامرية: الزمان من آدم إلى طوفان نوح ألف وثلاثمائة وسبع سنين وفي العبرانية: ألف وستمائة وخمسون سنة.

ونلاحظ أن الفرق بين الرقمين ثلاث مائة وثلاث وأربعون سنة. وهذا يدل على أن هذا الكلام لم ينزّل على النبي موسى عليه السلام لما فيه من التناقض الكبير.

- ❖ المثال الثالث: وتقول السامرية: إن الزمان من طوفان نوح إلى ولادة إبراهيم تسعمائة واثنتان وأربعون سنة بينما تقول العبرانية: إن الزمان هو مائتان واثنتان وتسعون سنة ونلاحظ أن الفرق بين الاثنتين هو كبير جداً، إذ هو يصل إلى قرابة ستمائة سنة وهذا من التناقض الصارخ والذي يدل على أن من دوّن التوراة قدّر الزمان تقديراً حسب مزاجه وليس حسب توارد علمي محدد.
- ❖ المثال الرابع: تفيد العبرانية: بأن المدة التي أقام فيها بنو إسرائيل في مصر هي أربعمائة سنة بينما تقول السامرية: إن المدة هي 215 سنة واليهود القراؤون يقولون إن المدة هي 210 سنين.
- ❖ المثال الخامس: تختلفان في المكان المقدس الذي خصصه اليهود لعبادتهم. فالعبرانية تقول عنه: إنه جبل جرزيم بينما السامرية تقول: إنه جبل عيبال.
- ❖ المثال السادس: النص على يوم القيامة غامض في العبرانية وصريح في السامرية ففي التوراة العبرانية يقول الكاتب على لسان الله عز وجل: أليس ذلك مكنوزاً عندي مختوماً عليه في خزائني إلى النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم. وهذا يعني أن الله قد ينتقم في أي وقت وليس بالضرورة يوم القيامة.
- ❖ المثال السابع: في سفر التكوين عند الحديث عن يعقوب عليه السلام: كلمة جميع القطعان في العبرانية وجميع الرعاة في السامرية.
- ❖ المثال الثامن: الاختلاف عند الحديث عن قابيل وهابيل: ففي العبرانية: وكلم قايين أخاه هابيل وحدث أن كانا في الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله. وفي السامرية: فقال قايين لهابيل أخيه: نمضي إلى الصحراء وكان عند كوتهما في الصحراء قام قايين إلى هابيل أخيه فقتله. فعبارة نمضي إلى الصحراء ليست موجودة في العبرانية.
- ❖ المثال التاسع: بسمة بنت إسماعيل في العبرانية وفي السامرية محلث.
- ❖ المثال العاشر: ورد في العبرانية في سفر التثنية نص يشير إلى مجيء نبي مثل موسى. فيرد في السامرية مرتين في الخروج والتثنية ويرد في العبرانية مرة واحدة في سفر التثنية.
- ❖ المثال الحادي عشر: في السامرية: وتحت رجليه كصنعة المها وكجرم السماء من النقاء. فلما شاهدوا ملاك الله أكلوا وشربوا أما في العبرانية: فرأوا الله وأكلوا وشربوا.

❖ المثال الثاني عشر: في سفر الخروج في الإصحاح الثلاثين من الآية الأولى إلى الآية العاشرة في العبرانية محذوف من السامرية.

وفي الخروج: في العبرانية: فنزل الرب من السحاب. وفي السامرية: وانحدر ملاك الله في الغمام.

❖ المثال الثالث عشر: الآية الأولى في الإصحاح الثاني عشر من سفر العدد في العبرانية: وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية وفي السامرية: بسبب المرأة الحسناء وفي ترجمة اليسوعيين بسبب المرأة الحبشية.

وهناك خمسة أمثلة أخرى يأتي بها الدكتور حجازي إضافة لما أوردناه.

أما الاختلافات التي أوردها ليكلرك وهو من علماء النصارى المختصين بدراسة الكتاب المقدس فهي كثيرة وقد قسمها إلى أقسام:

❖ القسم الأول: الاختلافات التي فيها السامرية أصح من العبرانية، وهي أحد عشر اختلافاً.

❖ القسم الثاني: الاختلافات التي تقتضي القرينة والسياق فيها صحة ما في السامرية وهي سبعة اختلافات.

❖ القسم الثالث: الاختلافات التي توجد فيها زيادة في السامرية وهي ثلاثة عشر اختلافاً.

❖ القسم الرابع: الاختلافات التي حرفت فيها السامرية والمحرف محقق فطن وهي سبعة عشر اختلافاً.

❖ القسم الخامس: الاختلافات التي فيها السامرية ألطف مضموناً وهي عشرة اختلافات.

❖ القسم السادس: الاختلافات التي فيها السامرية ناقصة وهما اختلافان.

ويورد الدكتور حجازي الاختلافات بين التوراة العبرانية والتوراة اليونانية ويضمها في سبعة وعشرين اختلافاً، إما بزيادة كلمات أو بنقص أخرى، وقد اعتبرها اليهود محرفة لا يعتمد عليها ولذلك يرفضونها بينما يأخذ بها البروتستانت.

وأكثر من رفضها يهود فلسطين واعتبروها مزيفة لكثرة التحريفات والزيادة التي أوقعها النسّاخ وحسبوا اليوم الذي تمت فيه الترجمة من أيام نحسهم وهي تحتوي الأسفار غير القانونية (الأبوكريفا).

وقد ظهرت ترجمات كثيرة للتوراة بعضها شبيه بالعبرية وبعضها شبيه باليونانية

ومنها الترجمة السريانية (البشيتا) ومنها الآرامية (ترجوم) واللاتينية وهي المعروفة باسم فولجات وهي الترجمة الرسمية للكنيسة الرومانية[1].

وقد بلغت الدراسات النقدية لأسفار التوراة حداً كبيراً وخاصة من قبل الباحثين الغربيين وقد تناول معظمهم ـ بالكشف ـ عبارات أدخلت على التوراة مرة بعد مرة واستطاع العلماء والباحثون كشفها مستندين في ذلك على علوم عدة كالتاريخ والجغرافيا وغيرهما.

فهؤلاء العلماء جزموا أن بعض الجمل والعبارات ليست من كلام النبي موسى عليه السلام لكنهم لم يستطيعوا أن يبينوا اسم الملحق لها على سبيل التعيين بل نسبوا على سبيل الظن إلى عزرا[2].

يعلق آدم كلارك على ما جاء في سفر العدد 21: 3 فسمع الله دعاء آل إسرائيل وسلّم في أيديهم الكنعانيين فجعلوهم وقراهم... وسمى ذلك الموضع حرما.

يقول كلارك: إني أعلم أن هذه الآية ألحقت بعد موت يوشع لأن جميع الكنعانيين لم يهلكوا في عهد موسى بل بعد موته. ومن ثم لا يسوغ أن يكون موسى عليه السلام واضع هذه العبارة.

كما يعلق كلارك على ما جاء في سفر التكوين 22: 14 وما جاء في سفر التثنية 2: 12 وما جاء في سفر التثنية أيضاً 3: 11 بأن هذه العبارات لم يكتبها موسى في التوراة لكنها إلحاقية أي منحولة موضوعة. ولم يعيّن كلارك من وضعها أو ألحقها على وجه التحديد.

وهناك نماذج عديدة من العبارات الملحقة التي تنافي سياق النص.

منها: ورد في سفر الخروج 16: 35 وأكل بنو إسرائيل المنّ أربعين سنة حتى جاؤوا إلى أرض عامرة. أكلوا المنّ حتى جاؤوا إلى طرف مؤاب. هذه الآية ليست من كلام موسى لأن الله لم يمسك المنّ عن بني إسرائيل طيلة حياته. ولم يدخل بنو إسرائيل أرض كنعان في حياة موسى عليه السلام وعلق كلارك على ذلك قائلاً: ظن الناس من هذه العبارة أن سفر الخروج كتب بعد ما أمسك الله المنّ عن بني إسرائيل لكنه يمكن أن يكون عزرا ألحق هذه الألفاظ.

---

(1) د. أحمد حجازي السقا. نقد التوراة: أسفار موسى الخمسة ص137.

(2) محمد عبد الله الشرقاوي. في مقارنة الأديان. ص 132.

وجاء في سفر التكوين 13 : 18 ، 35 : 27 ، 37 : 14 لفظ حبرون عَلَماً على قرية في فلسطين كان اسمها في أيام موسى عليه السلام قرية أربع أو رابع ثم غير الإسرائيليون اسمها في زمان يشوع وأسموها قرية حبرون. وقد نص في سفر يشوع 14 : صراحة على الاسم الجديد لهذه القرية. وفي هذا دليل واضح قاطع على أن هذا الكلام كلام شخص آخر غير موسى عليه السلام وأنه كتبه بعد زمان يوشع[1].

وورد في سفر التكوين 14 : 14 لفظ دان عَلَماً على قرية كان اسمها قرية ليث وهي قد عمرت بعد زمان موسى. وبالتحديد في زمان القضاة بعد موت يشوع ثم أطلق عليها اسم دان وهذا مصرح به في سفر القضاة : 18 وفي هذا دلالة على أن موسى لم يكتب هذا الكلام وإنما كتبه شخص آخر جاء بعد وقوع هذه الحوادث.

يقول كلارك : تم كلام موسى على الباب السابق، وهذا الباب 24 من سفر التثنية ليس من كلامه ولا يجوز أن يقال إن موسى كتب هذا الباب أيضاً بالوحي لأن هذا الاحتمال بعيد من الصدق والحُسن بل ويجعل المطلب كله لغواً وإني أجزم بأن هذا الباب كان باباً أولاً لكتاب يوشع، والحاشية التي كتبها بعض الأذكياء من أحبار اليهود على هذا الموضع مرضية قابلة للقبول.

ثم ينقل كلارك - وهو يعلق على سفر التثنية الإصحاح العاشر - تقريراً مسهباً لـ (كني كات) خلاصته : أن عبارة المتن السامري صحيحة وعبارة المتن العبري غلط. وأربع آيات ما بين الخامسة والعاشرة أجنبية لو أسقطت لارتبطت العبارة ارتباطاً حسناً فهذه الآيات الأربع كتبت من غلط الكاتب ههنا، وكانت من الباب الثاني من كتاب الاستثناء ويعلق كلارك على تقرير كني كات هذا قائلاً : ولا ينبغي أن يتعجل في إنكار هذا التقرير.

---

(1) المرجع السابق ص 133 .

الفصل الخامس

بين الزبور والمزامير

ما يزال الغموض يلف الزبور الذي أنزله الله وآتاه للنبي داود ﷺ. وبسبب من عدم ورود تفاصيل حول هذا الكتاب المسمى بالزبور فقد زهد المفسرون والباحثون في العودة إلى البحث عنه أو عن مضمونه إن كان ذلك في أحاديث رسول الله ﷺ أو كان في كتب المفسرين والمؤرخين.

ومما زاد في الإشكال وجود ما يسمى بالمزامير المدونة في كتاب العهد القديم ـ التوراة ـ فهذه المزامير اعتبرها اللاهوتيون شعراً أنشده داود ﷺ خلال حياته وأضيف إلى ما أنشده مزامير نُسبت إلى ابنه سليمان ﷺ وإلى قورح وغيرهما من الشخصيات الدينية في بني إسرائيل.

ولعل هذا ما يدفع بنا إلى دراسة الآيات الكريمة التي ورد فيها اسم الزبور ودراسة ما نُسب إلى داود ﷺ من أقوال حتى نستطيع معرفة مضمونه ووضعه في مقابلةٍ موضوعية مع المزامير التي نسبت إلى داود وغيره من بني إسرائيل.

وبداية الأمر لابد لنا من طرح عشرات الأسئلة حتى تكون لنا مقدمة تفتح أمامنا أفق الإجابة والإحاطة بالموضوع من كافة جوانبه.

1 ـ ما علاقة الزبور بالتوراة؟.

2 ـ هل الزبور كتاب تشريع أم كتاب أدعية ومواعظ وحكم؟.

3 ـ ما الكتاب الذي اعتمده داود ﷺ في تطبيق التشريع والقضاء؟.

4 ـ هل أنزل الزبور أم آتاه الله لداود دفعة واحدة كما هو كتاب موسى؟.

5 ـ ما رأي السنة الشريفة في الزبور وهل هناك إشارات له ولمحتواه..

6 ـ أين هو الزبور الآن. هل هو موجود أم أُخفي أم اندثر؟.

7 ـ ما هي المزامير، هل هي تأليف بشري أم وحي إلهي..

8 ـ هل هي أناشيد وغناء أداها داود عليه السلام حسب ما تقتضيه الحالة الشعرية والوضع النفسي والموضوعي؟.

9 ـ لماذا تُنسب المزامير إلى داود وسليمان وقورح وغيرهم؟.

10 ـ ماذا تحوي هذه المزامير وهل هناك تقاطعات مع عقيدة التوحيد كما عُلّمناها من القرآن الكريم؟.

11 ـ لماذا يضمها اليهود العبرانيون في كتاب التوراة ـ العهد القديم ـ ويرفضها اليهود السامريون؟.

الزبور في القرآن الكريم والسنة الشريفة

وردت كلمة زبور في القرآن الكريم ثلاث مرات وهي مرتبطة بالنبي داود عليه السلام يقول تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء 163].

ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء 105].

وقد جاءت الآية الأولى في سياق الحديث عن عدد كبير من الأنبياء وذلك في قوله: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء 163].

ويقول تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الإسراء 55].

والزبور اسم الكتاب الذي أنزل على داود عليه السلام وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام، بل فيها تسبيح وتقديس وتحميد وثناء على الله عز وجل ومواعظ. وكان داود عليه السلام يخرج إلى البرية فيقوم ويقرأ الزبور ويقوم علماء بني إسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطيور على رؤوس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها، فلما قارف الذنب زال عنه ذلك وقيل له كان ذلك أنس الطاعة. وهذا ذل المعصية[1].

وقال المفسرون: إن الله سبحانه وتعالى كتب له في الزبور أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء وأن أمته خير الأمم لهذا خصه بالذكر.

---

(1) محمد طه الدرة. تفسير القرآن وبيانه وإعرابه ـ الجزء 3 ـ ص182.

وقد وردت الزبور معرفة بأل في سورة الأنبياء، وجاءت نكرة في سورتي الإسراء والنساء. وعليه فقد قال المفسرون: إن المقصود في الآية ولقد كتبنا في الزبور ليس الكتاب الذي آتاه الله لداود إنما المقصود به جميع الكتب التي أنزلت على الرسل، والمراد بالذكر اللوح المحفوظ الذي سجل فيه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة فيكون المراد بكتابة الزبور نسخ ما فيها من اللوح المحفوظ لأن جميع الكتب السماوية مسجلة في اللوح المحفوظ من قديم الأزل.

وهذا التفسير أسلم للسياق إذ أن تنكير زبور يعني آتينا داود كتاباً وليس الكتاب بحد ذاته، فالزبور مثله مثل أي كتاب أنزله الله سبحانه على أنبيائه.

متى أنزل الزبور على داود عليه السلام؟

الواقع ليس هناك ما يؤكد التاريخ الذي أنزل فيه الزبور على داود عليه السلام. لكن العودة إلى سيرة داود في القرآن الكريم تقرّب لنا هذا التاريخ.

فمن المعروف أن أول ذكر لداود جاء من خلال الحديث عن قتال دار بين طالوت وجالوت، ففجأة يبرز داود عليه السلام في السياق ويقتل جالوت. وقد أجمع المفسرون على أن داود عندما قتل جالوت كان فتى أو في مقتبل الشباب، ولم يكن لصغر سنه قد أوتي النبوة، وبالتالي لم يكن الزبور قد أنزل عليه. ونستطيع أن نستدل من خلال آيات القرآن الكريم على نبوة داود، وهناك آيات أشارت بصريح العبارة عن نبوته، وعلى الأرجح فإن النبوة التي منحه الله إياها اقترنت بالكتاب الذي آتاه الله له وهو الزبور.

وإذا عدنا إلى النص التوراتي نراه يقول: وكانت المدة التي ملك داود في حبرون على بيت يهودا سبع سنين وستة أشهر. . وفي أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين على جميع إسرائيل ويهودا. وهذا يعني أنه حكم أربعين سنة ونصف قبل أن يموت ويحكم بعده ابنه سليمان.

وتذكر التوراة (أن داود كان ابن ثلاثين سنة حين ملك وملك أربعين سنة) "صموئيل الثاني 5: 4 ـ 5".

ويرد في المزامير أن المزمور الثالث جاء تحت عنوان (مزمور لداود حين هرب من وجه أبشالوم) وحين يثور عليه ابنه أبشالوم ويهرب من وجهه يكون على رأس الملك منذ زمن بعيد إذ أن أبشالوم يكون رجلاً.

وإذا افترضنا أن المزامير تتقاطع مع الزبور فإننا نرى أنها ظهرت على لسان داود وقد تجاوز عمره الأربعين عاماً.

ومع أن هذا افتراض فإنه يقول لنا إن داود بدأ بقول المزامير وكان قد تجاوز الأربعين وفي هذا السن كان قد أوتي النبوة.

لقد ملك داود وهو في سن الثلاثين، ولكن الله سبحانه منحه أموراً أخرى بعد أن

آتاه النبوة فشدد ملكه، ومنحه نعمة القضاء بين الناس، وآتاه الحكمة، ثم سخر معه الجبال والطير يسبحون معه، يقول تعالى: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝ ﴾ [ص 017-020].

فقد اقتضت حكمة الله أن يكون داود نبياً وملكاً وقاضياً وحكيماً وفصيح اللسان. فالنبي له صفات وكذلك الملك، والملك يحتاج للقوة والمنعة فلذلك سُخر له الحديد ليصنع منه الدروع والسلاح وشدد ملكه بمؤهلات مادية واضحة حسب ما جاء في القرآن الكريم والنبوة تحتاج لمؤهلات فلذلك سخر معه الجبال يسبحن معه ربّ العالمين وكذلك الطير.

لقد مُنح داود القيادة والملك بعد طالوت وعندما بلغ الأربعين من عمره كُلف بالرسالة فشدد الله ملكه، وآتاه الحكم والقضاء وسخر له الجبال والطير.

وتشير آيات القرآن الكريم إلى أن داود عليه السلام قد حكم بكتاب موسى كما أوحى الله به. إذ يقول تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة 44].

فالأنبياء الذين يحكمون للذين هادوا بحكم التوراة هم الأنبياء الذين أتوا بعد موسى، وهم: داود وسليمان وزكريا ويحيى وإلياس وعيسى عليهم السلام وكلهم أنبياء من بني إسرائيل.

وباعتبار أن القضاء والحكم للناس يحتاج لتشريع فكان كتاب التوراة قبل أن تعبث به يد التحريف مصدر ذلك الحكم وذلك التشريع.

وعلى هذا فإن داود عليه السلام عرف كتاب موسى الذي أصبح جزءاً من التوراة الأصلية قبل أن يضيف عليها بنو إسرائيل أسفاراً ليس لها علاقة بها.

ومعرفة التوراة لدى داود سابقة على إتيانه الزبور لأن ما حفظه المؤمنون من كتاب موسى عرفه داود منذ حداثة سنه باعتباره كان يعيش بين ظهراني بني إسرائيل ثم تملك عليهم وهو في سن الثلاثين قبل أن يكلف بالنبوة وقبل أن يُشدد ملكه ويقضي بين الناس.

وإذا عدنا إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٩ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠ ﴾ [ص 17-20]. ندرك أن أول الآية يشير إلى نبوة داود واستغفاره: (إنه أواب) ثم يأتي القول: (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن) وكذلك الطير محشورة. فالجبال والطير مسخرات للتسبيح معه والدعاء. وقد أشارت عدة أحاديث نبوية إلى أن داود كان ينشد ويسبح والطير والجبال تشاركه النشيد، أو تستمع إليه إذ كان صوته جميلاً جداً، وما كان ينشده عبارة عن تسابيح وثناء على الله، وقد أشارت الأحاديث النبوية الشريفة أن هذه التسابيح والثناء وحمد الله هي أحد أوجه كتاب الزبور. وهذا يشير إلى أن الزبور أنزل على داود بعد أن كلف بالنبوة وليس قبلها إذ أن تسخير الجبال والطير لا يصح إلا مع النبوة.

وقد روى ابن كثير في البداية والنهاية أن الله سبحانه وتعالى قد وهب داود من الصوت العظيم ما لم يعطه أحداً، بحيث إنه كان إذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء يُرجع (يردد) بترديده ويسبح بتسبيحه، وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشياً، وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الآذان بمثله لتعتكف الجن والإنس والطير والدواب على صوته حتى يهلك بعضها جوعاً.

وجاء أيضاً: كان داود عليه السلام يأخذ العزفة (آلة موسيقية) فيضرب بها فيقرأ عليها فترد على صوته يريد بذلك أن يبكي وتبكي.

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "سمع رسول الله ﷺ صوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال: لقد أوتي أبو موسى من مزامير آل داود" وهذا على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه من هذا الوجه.

ويروي ابن كثير أن الإمام أحمد وغيره أوردوا أن الزبور أنزل في شهر رمضان وفيه من الحكم والمواعظ ما هو معروف لمن نظر فيه[1].

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية ـ المجلد الأول.

وأورد أنه كان يقرأ الزبور بسبعين صوتاً.

وقد ورد في كتاب النيسابوري قوله: "فمنها أنه أنزل عليه الزبور مئة وخمسين سورة، منها ذكر ما يكون من بختنصر وأهل بابل، وفي خمسين منها ذكر ما يلقون من الروم من أهل أبرون، وفي خمسين منها موعظة وحكمة، ولم يكن فيها حلال ولا حرام، ومنها الصوت الطيب والنغمة الطيبة اللذيذة والترجيع والألحان ولم يعط الله أحداً من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين لحناً حيث يعرق المحموم ويفيق المغمى عليه"[1].

---

(1) النيسابوري: قصص الأنبياء ـ ص281.

المزامير كما وردت في التوراة العبرانية

تخلو التوراة السامرية مما يسمى المزامير فهي خمسة أسفار تنسب إلى النبي موسى عليه السلام. ولا يعترف السامريون على هذه المزامير.

والمزامير كما أعدها الآباء اليسوعيون إنطوان أودو ورينيه لافنان وصبحي حموي عام 1980 راعت المبادئ الأدبية؛ منها الأمانة للأصل العبري ونص الترجمة العربية القديمة ولاسيما في استعمال المفردات الكتابية المسيحية المعروفة، والبساطة في اختيار المفردات والمحافظة على الإنشاء العربي التقليدي الذي ما يزال مشتركاً بين جميع البلاد العربية.

وحسب رأي الكنيسة فإن المزامير كلها شعر في العبرية وقد أبرز هذه الصفة الشعرية في صف الأسطر والتعبير عنها باعتماد معقول للتقديم والتأخير والإيقاع والقافية، وقد قرأ الأستاذ حسيب عبد الساتر النص الجديد وأدخل عليه طائفة من التحسينات[1].

وسنعود لدراسة ما طرأ على هذه المزامير من تغيير وتبديل وتحسين لنؤكد أنها ليست هي الزبور كما يظن بعض الناس. فإذا كان الله سبحانه قد آتى داود زبوراً فإن هذه المزامير لا تمثل الزبور قطعاً لما فيها من تغيّر وتبدل وتحريف.

في أواسط القرن الثاني قبل المسيح تُرجم النص العبري من المزامير إلى اليونانية لأجل اليهود المشتتين وهي الترجمة التي يقال لها السبعينية. وضع سفر المزامير بين سفر أيوب وأسفار الأنبياء. أما ترقيم المزامير في هذه الترجمة فلا يطابق تماماً ترقيم النص العبري. فهناك مزمور واحد في النص العبري يقسم إلى مزمورين وهذا يتكرر مرتين 116 ـ 147. على عكس ذلك مرتين أيضاً يُدمج مزموراً من المجموعة العبرية في مزمور واحد من الترجمة السبعينية 9 و10 و13 و14.

في المجموعة العبرية مزامير لا عنوان لها، تدخل عليها في الترجمة السبعينية تمهيدات جديدة 84 مزموراً تُنسب إلى داود، وأخرى إلى كتبة مختلفين إلى إرميا وحزقيال وزكريا وحجّاي وبني يوناداب، تضاف إليها أحياناً معلومات غير معروفة عن ظروف تأليف

(1) كتاب المزامير ـ دار المشرق ـ بيروت.

المزامير، وللمزامير مكانة خاصة لدى اليهود فهم يتلونها ويرنمونها ويتأملون فيها بكل المناسبات وفي طقوس المجمع اليهودي وفي منازلهم. وفي المسيحية تحتل المزامير مكانة مرموقة يُستشهد بها أكثر من مئة مرة في الأناجيل، وقد استوحى اليهود والمسيحيون المزامير في صلاتهم وحياتهم، وقد ألهمت هذه النصوص الكتابية منذ زمن آباء الكنيسة كثيراً من المواعظ والشروح.

وأصحاب الترجمة السبعينية للتوراة يفسرون على طريقتهم ما في العناوين العبرية من دلالات غامضة. أما ترجمتهم فتُمكّن من الوصول إلى نصوص تبدو أصح مما ورد في الأصل العبري وهذه الترجمة لا تزال الترجمة المعتمدة في الكنائس اليونانية وفي الترجمات الرسمية التي تحتفظ بها الكنائس الشرقية.

سفر المزامير

سفر المزامير هو مجموعة التسابيح التي تأتي بعد الشريعة والأنبياء، في مطلع القسم الثالث من التوراة قسم الكتابات قبل سفر أيوب وسفر الأمثال، وتشكل معهما مثلثاً متميزاً ينفرد في النص بطريقة خاصة في التحريك. تحتوي هذه المجموعة على مئة وخمسين مزموراً، ويشتمل سفر المزامير على خمسة أجزاء ينتهي كل منها بعبارة تبريك أو تمجيد. لكن هذا التقسيم العام يضم مجموعات جزئية على جانب أو قليل من الأهمية.

فيلاحظ المرء مجموعات من المزامير يختلف بعضها عن بعض بالأفضلية التي يوليها لأحد الاسمين الآلهيين، إما الاسم إله إسرائيل الخاص وهو يهوه، وإما الاسم إيلوهيم العام أي الله، ويلاحظ المرء أيضاً بالإضافة إلى ذلك مجموعات مزامير بحسب مواضيعها منها صلوات داود بن يسّى. ودفاتر بني قورح وآساف وأناشيد المراقي وأناشيد ملك الله وهلّل المثلث، حيث يتردد غالباً صدى الهتاف هلّلويا.

ومعنى ذلك أن المزامير جعلت في مجموعات جزئية ومستقل بعضها عن بعض، وغير متساوية في العدد قبل أن تضم في مجموعات كبرى واحدة.

ولعلها جمعت في أواخر القرن الثالث قبل المسيح. وفي هذا التكوين التدريجي للمؤلف ما يسوّغ وجود بعض الأمور غير العادية ولاسيما ترديد بعض القصائد مرتين. وفي خارج سفر المزامير نقع على مزامير منفردة ومبعثرة في أسفار أخرى ترقى إلى أزمان مختلفة.

وتحمل مزامير التوراة العبرانية باستثناء أربعة وثلاثين منها عناوين يختلف طولها وطبيعتها ويرقى عهد هذه النبذ وهي عبارة عن بطاقة هوية إلى زمن قديم، إذ إن الأولين من المترجمين اليونانيين لم يفهموا معناها فهماً دقيقاً، وحتى في أيامنا وعلى الرغم من الجهود التي بذلها المفسرون غالباً ما يكتفون بالتكهنات أو يلتزمون بالصمت.

وإذا أردنا إدراج القصائد في تاريخ بني إسرائيل فإننا نواجه عقبات كبرى تعترض طريقنا فقد تضم وثيقة متأخرة نسبياً تقاليد قديمة العهد، وقد يقدم مؤلفون حديثون على

إعادة التأليف لما تركه أسلافهم، فيتبنون أو يكيّفون مواد قديمة وقد يرصعون بكلمات منقحة جميلة أجزاء قديمة جداً وحتى بقايا من أدب الشعوب المجاورة إن أمكن الأمر وتنقسم المزامير إلى أنواع منها مزامير التسابيح، وأناشيد المُلك، وأناشيد صهيون. وهناك صلوات الاستغاثة والثقة والحمد، وهي صلوات فردية أحياناً وجماعية أحياناً أخرى، وهناك مزامير التعليم فيها من الحكم والأمثال ما يعلم الناس التربية والاستقامة....

المزامير وتاريخ جمعها

مثل المزامير، مثل التوراة، فقبل السبي البابلي لم تكن مدونة وعندما ظهر عزرا الكاتب جمع ما يسمى أسفار التوراة وجمع ما يسمى بالمزامير وضمها في كتاب واحد أطلق عليه اسم كتاب التوراة، ومن ثم بقيت المزامير في التوراة العبرانية كجزء منها. وهي ليست على علاقة بالأسفار الأولى أي أسفار موسى الخمسة عليه السلام.

وكما وُجهت انتقادات بالعشرات لكتاب التوراة فقد وُجهت انتقادات أيضاً للمزامير وذلك من حيث تاريخها ونسبتها ومحتواها وما كانت عليه وما أضيف عليها.

ويرى الفيلسوف سبينوزا أن المزامير قد جمعت وقسمت إلى خمسة أقسام - أسفار - بعد إعادة بناء المعبد، أي بعد مجيء المسبيين من بني إسرائيل من بابل إلى فلسطين ومحاولتهم المتعثرة لإعادة بناء ما يسمى هيكل الرب. ويعتقد سبينوزا أن أمثال سليمان قد جمعت في نفس العصر.

ويؤكد جميع الباحثين من أجانب وعرب أن كتّاب سفر المزامير عديدون وقد تناوبوا التدوين والتأليف في هذه المزامير فترة تمتد تواريخها من أيام النبي موسى عليه السلام إلى ما بعد السبي البابلي وهي على أقل تقدير حوالي ألف عام.

وقد سُميت المزامير لارتباطها بالمزمار وهو آلة نفخ تُتخذ من البوص وغيره، ومن ثم أصبحت هذه التسمية رمزاً على ترنيمات الحمد المنسوبة إلى الأنبياء في كتب العهد القديم. والشائع عند شراح كتب العهد القديم نسبة معظم المزامير إلى النبي داود عليه السلام. وإن كان لا خلاف على اشتراك عدة أشخاص في أزمنة مختلفة في كتابة المزامير وبالتالي في تدوينها، فهناك من يرى أن موسى عليه السلام لم يكتب غير المزمور رقم تسعين، ويرى آخرون أن داود أنشأ ثلاثة وسبعين مزموراً وأساف اثني عشر وحيمان واحداً هو المزمور رقم 88، وهناك مزامير كثيرة مجهولة النسب، كما أنه ليس بين جملة المزامير ترتيباً تاريخياً أو موضوعياً، والمفهوم أنها ليست مرتبة ترتيباً تاريخياً أو نبوياً.

وقد ظلت هذه المزامير فترة من الزمان مهجورة لا تستعمل في المعبد ولا يُتعبد بها. وقد تكون بأثر هذا الإهمال قد تعرضت للضياع أو التلف أو التحريف. ويقول فخري

عطية إن حزقيا هو الذي أعاد مزامير داود إلى مكانها من الاستعمال في الهيكل اعتماداً على قول الكتاب: وقال حزقيا الملك والرؤساء للاويين أن يسبحوا الرب بكلام داود وأساف الرائي[1].

وأهم ما يمكن أن نقوله بشأن هذه المزامير أنها ليست من الله إنما هي تأليف بشر ومنها الكثير الذي كتب في مناسبات محددة كما حددها كتاب التوراة.

وعلى سبيل المثال، المزمور الثالث الذي ألفه النبي داود حين هرب من وجه ابنه أبشالوم، ومنها أيضاً المزمور الذي ينسبونه إلى داود عندما غيّر عقله أمام أبي مالك فطرده وانطلق. أما المزمور الخامس والأربعون فهي لبني قورح وقد أكد علماء المسيحية أنه ترنيمة حب نظمت لأجل ظرف خاص هو زواج الملك أو ابنه، والشاعر الناظم معاصر لهما فتكلم عن أمور جرت أمام عينيه. والمزمور الستون ينسب إلى داود وأنه قاله حين كان يحارب (آرام صوبه) بين الفرات والعاصي.

(1) فخري عطية - دراسات في سفر المزامير - الجزء1 - ص4 - نقلاً عن كتاب التراث الإسرائيلي لصبري طعيمة.

كيف نتعامل مع المزامير؟

كيف نستطيع أن نعرف ما يتناسب مع شخصية داود النبوية وما لا يتناسب؟

وكيف يمكن أن نجري مقاربة ما بين ما جاء فيها، وبين التعاليم الدينية والأدعية والابتهالات الخاصة بالأنبياء؟

كيف ندرك المقارنة التاريخية بين تاريخ كتابة المزامير وما تشير هذه المزامير إلى تواريخ وأحداث؟

فإذا كانت المزامير تنسب لداود عليه السلام فإن هذا يعني أنها تنسب لتاريخ محدد وجد فيه هذا النبي. وإذا كانت المزامير تشير إلى أحداث حدثت بعد زمن هذا النبي فإن تناقضاً واضحاً يقع في ذلك.

المزمور الأول: عندما نقرأ المزمور الأول ونتمعن في معانيه نرى تقاطعاً واضحاً كبيراً مع ما جاء في القرآن الكريم فهو يركز على صنفين من البشر؛ صنف المؤمنين وصنف الأشرار، ثم يركز على عاقبة كل من الطرفين.

يقول هذا المزمور: طوبى لمن لا يسير على مشورة الشريرين، ولا يتوقف في طريق الخاطئين ولا يجلس في مجلس الساخرين، بل في شريعة الرب هواه وبشريعته يتمتم نهاره وليله. فيكون كالشجرة المغروسة على مجاري المياه تؤتي ثمرها في أوانه وورقها لا يذبل أبداً. فكل ما يصنعه ينجح، ليس الأشرار كذلك، بل إنهم كالعصافة التي تذروها الرياح، لذلك لا ينتصب في الدينونة الأشرار ولا الخاطئون في جماعة الأبرار. فإن الرب عالم بطريق الأبرار وإن إلى الهلاك طريق الأشرار.

فتعاليم هذا المزمور تعاليم أخلاقية وهي أقرب كثيراً إلى سلوك النبوة، ويقابلها في القرآن الكريم نفس التعاليم الأخلاقية.

فالنعمة والنعيم لمن لا يتبع الأشرار، ولا يسلك طريق الخاطئين، ولا يعاشر الساخرين. والمؤمن الحق مشغول بالتسبيح لله، وشجرة الخير لا تذبل أبداً وكذلك عمل

المؤمن وعمل الأشرار كالرماد تذروه الرياح، ويوم القيامة لكل مصيره، المؤمنون إلى النعيم والأشرار إلى الجحيم.

لننظر إلى قوله في المزمور - وبشريعته يتمتم. بمعنى يسبح لله وبدينه يحدث نفسه ليلاً ونهاراً. وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ [ص 18].

وقوله: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء 20].

وقوله تعالى: ﴿ سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم 11].

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم 24-25].

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم 18].

ولننظر في الوقت نفسه للمزمور حيث يقول: ليس الأشرار كذلك بل إنهم كالعصافة التي تذروها الرياح.

فإذا نظرنا بتمعن إلى هذه التقاطعات ندرك أن هذا المزمور هو مما يتناسب مع الزبور الخاص بالنبي داود عليه السلام. والتقاطع يدل على التواصل النبوي، وتواصل الوحي، ويدل على الروح الواحدة لتعاليم الأنبياء وأخلاقهم.

في المزمور الثاني: منحى آخر ومضمون آخر يتناسب مع روح ملك وليس روح نبي حيث إنه يرتبط بمفردات هي أقرب إلى الأمور الدنيوية، ويتضح أنها تستمد معانيها من روح التوراة وأتباعها.

يقول فيه: ملوك الأرض قاموا والعظماء على الرب ومسيحه تآمروا.

ويقول: فيه الساكن في السموات يضحك والسيد بهم يهزأ.

بغضبه حينئذ يخاطبهم وبسخطه يروعهم. إني مسحت ملكي. على جبلي المقدس

صهيون. أعلن حكم الرب. قال لي أنت ابني وأنا اليوم ولدتك.

سلني فأعطيك الأمم ميراثاً وأقاصي الأرض ملكاً. بعصا من حديد تكسّرهم.

ويقول: اعبدوا الرب بخشية وقبلوا قدميه برعده.

نلاحظ قوله: الساكن. أنت ابني. ولدتك. أعطيك الأمم ميراثا. وبعصا من حديد تكسرهم.. قبلوا قدميه.

فهذه المفردات حوت من التجسيد للإله ما لا يتناسب مع النبوة. وهي تذكر دوماً بالتجسيد الذي اعتمده بنو إسرائيل طوال حياتهم. ونلاحظ قوله: على جبل المقدس صهيون. والجبل المقدس لبني إسرائيل كان ذلك الجبل الذي تلقى عنده موسى عليه السلام كتابه في الألواح. أما كيف صار جبل صهيون هو الجبل المقدس فهذا ما يخص التوراة دون غيرها، فهي تقدس تارة ولا تقدس تارة أخرى. ولا يخفى على المرء المنحى السياسي الذي قصده المزمور. وهذا المنحى ركز عليه مدونو التوراة أيام السبي البابلي. ونعتقد أن ليس لداود عليه السلام علاقة بهذا المنحى ولا بذاك التجسيد الوثني.

في المزمور الثالث: حديث عن معاناة داود عندما فرّ من وجه ابنه أبشالوم الذي جمع بني إسرائيل ضد أبيه. ومن الطبيعي أن هذا المزمور ليس له علاقة بالزبور باعتباره خاص بشكوى داود من وضع خاص فهو الذي قاله ولم ينزل عليه.

في المزمور الرابع: ليس سوى اعتراف لداود بفضل الله عليه وأدعية لله أن يرحمه ويستمع له ووصايا منه للبشر بأن يبتعدوا عن الشر.

في المزمور الخامس: يأتي السياق بنفس الوتيرة وفيه من التعاليم الأخلاقية العامة ما يوحي بأن بعضه خاص بالعلاقة بين النبي داود وربه، لكنه يشير إلى مطلب من داود كي يدمر الله المجرمين والعصاة والذين يتآمرون وتكثر معاصيهم. وهذا يوحي أن بني إسرائيل كانوا عصاة مجرمين يتآمرون على النبي داود ويضايقونه.

في المزمور السادس: شكاوى كثيرة يطلقها داود للرب وتوحي بأن حالته النفسية وصلت درجة بالغة.

لكن في هذا المزمور ما يوحي إلى تدخل مؤلفي التوراة في كتابته. فلننظر إلى قوله:

فإنه ليس في الموت من يذكرك، ومن في مثوى الأموات يحمدك. وهذا يوحي أن الإنسان بعد موته يسير إلى الفناء، وهذه إشارة لضعف إيمان بني إسرائيل باليوم الآخر وانتقال أرواح الصالحين إلى حياة أجمل وأكثر سعادة.

وفي نفس المقام يأتي المزمور السابع: فهو شكاوى وتضجر ودموع ومضايقات يعيشها النبي داود حتى أنه يدعو الله أن يعجل بالانتقام من الذين يعترضون طريقه، ومرة أخرى يدخل التجسيد المنافي للوحدانية وعدم التشبيه. وهذا هو منهج كتبة التوراة وليس منهج الأنبياء.

يقول: قم يا رب في غضبك وانتصب بوجه حنق مضايقيَّ.

واستيقظ يا إلهي، فلتحط بكل جماعة الأمم واجلس فوقها في الأعالي.

ويبدو من خلال هذا المزمور طبيعة الإله التوراتي الذي تصوروه، ألصقوا به خيالهم وعواطفهم، وهذا مما ليس له علاقة بما أوحى الله به لنبيه داود في الزبور.

وفي المزمور التاسع: يعاود كتبة التوراة التأكيد على المضمون السياسي حين يقول:

اعزفوا للرب ساكن صهيون وأعلنوا في الشعوب مآثره.

لكي أحدث بجميع تسابيحك في أبواب ابنة صهيون.

وفي المزمور 10: نجد النفس التوراتي يطغى على المعاني بحيث نرى الله إلهاً مزاجياً يغيب متى يشاء ويظهر متى يشاء يقول: لماذا تقف يا رب بعيداً. وفي زمن الضيق تحتجب.

وفي المزمور 12: يقول: خلص يا رب فإن الصفيّ قد انقرض. والأمين من بني آدم قد زال. في هذا المقطع يأس كامل ولا أمل بالأمناء من بني البشر فهم قد انقرضوا. فهذا التقرير لا يدل على منهج النبوة. فالإنسان فيه الخير والشر ولو أن كل الأمناء والشرفاء انقرضوا لما بقي سبب للصراع بين الخير والشر. لأن الشر يكون قد ساد وتحكم.

في المزمور 13 يرد: إلام يا رب ألألأبد تنساني. إلام تحجب وجهك عني.

وهذا أيضاً مناف لطبيعة النبوة والإيمان لأن النبي على صلة دائمة بربه لا ينقطع عنه ولا الله سبحانه بغافلٍ عن نبيه ومخلوقاته.

في المزمور 14 : يقول : من السماء أطل الرب على بني آدم ليرى هل من عاقل يلتمس الله .

وهذا مناف لذات الله وعلمه المسبق فالله سبحانه ليس بحاجة كي يطل من السماء على بني آدم ليرى هل بقي عاقل يلتمس الله .

وفي نفس المزمور يرد : من صهيون من يأتي إسرائيل بالخلاص .

حين يرد الرب أسرى شعبه يبتهج يعقوب ويفرح إسرائيل .

فهذا النص يشير إلى أسر اليهود . وأسرُهم حدث بعد داود بعشرات السنين فمن حيث الوجهة التاريخية فإن هذا القول المنسوب إلى النبي داود يتناقض مع حادثة الأسر . ومن وجهة أخرى فإن النص يشير إلى نبوءة ، لكن هذا النبوءة تظهر فيها روح المؤلفين الإسرائيليين الذين دونوا المزامير ضمن التوراة بعد مئات السنين ، ويظهر أنهم أرادوا من ذلك ربط خلاص بني إسرائيل بنبوءات تنسب إلى داود وغيره من الأنبياء .

في المزمور 17 : يرد قوله : اللهم إني دعوتك لأنك تجيبني فأملِ أذنك إليّ واستمع قولي .

نلاحظ التجسيد والتجسيم في المقطع الثاني وهذه من طبيعة التأليف التوراتي التي درج عليها مؤلفو التوراة .

ويوقفنا المزمور 18 : فهو من أهم المزامير وأكبرها حجماً وأكثرها أفكاراً ، وهو يلخص مفاهيم التوراتيين الذين ينقلون هذه الأفكار والمفردات من مكان لمكان في أسفار التوراة .

❖ وأول هذه الملاحظات : أن هذا المزمور ينسب إلى داود عندما أنقذه الرب من أيدي جميع أعدائه ومن يد شاؤول ؛ أي أن داود في تلك الفترة كان شاباً ولم يكلف بالرسالة بعد فإذا صح أن المزمور لداود فهذا يعني أنه ليس له علاقة بالزبور الذي آتاه الله داود عندما كان قد كلف بالنبوة والدعوة .

❖ والملاحظة الثانية : أن كثيراً من مقاطع هذا المزمور منقولة من حيث المعنى عن حادثة تجلي الله لموسى في سيناء . فنرى مثلاً قوله :

تزعزت الأرض وتزلزت وأسس الجبال ارتعدت . ومن غضبه ارتجّت دخان صعد من أنفه . ونار آكلة من فمه . وجمر اتقد منه حتى السموات ونزل والغمام الكثيف تحت قدميه .

ركب على كروب وطار وحلق على أجنحة الرياح .

أقام من الظلمة حجاباً له . ومن ظلام المياه وظلمات الغيوم خيمة حوله .

أمام بهائه مرت الغيوم برد وجمر نار .

أرعد الرب من السماء وأطلق العليُّ صوته .

أرسل سهامه فبددهم وبروقه فهزمهم .

أعماق البحر انكشفت وأسس الكون انجلت . لصوت وعيدك يا رب ولهبوب ريح منخريك .

فنلاحظ في هذا المزمور صدى كلام التوراة في سفر الخروج وغيره من الأسفار والسمة الغالبة على معانيه وألفاظه التجسيد الأسطوري البعيد عن سمات الذات الإلهية . لاحظ قوله دخان صعد من أنفه ونار آكلة من فمه . وجمر اتقد منه فهذه صفات الآلهة الأسطورية التي استقاها كتبة التوراة من الأساطير الكنعانية الخاصة بالإله الوثني بعل .

ونلاحظ كيف تكررت صورة نزول الله في الغمام في هذا المزمور وفي سفر الخروج . وكذلك ركوب الله على كروب ثم طيرانه على أجنحة الرياح . كل ذلك مبثوث بصريح العبارة في سفر الخروج خاصة عند الحديث عن تلقي موسى رسالة السماء .

والواقع أن هذا المزمور الذي نسب إلى داود ليس سوى مقاطع مأخوذة من سفر الخروج وبعض الأسفار الأخرى .

نلاحظ قوله مثلاً : أعماق البحر انكشفت . فهي تدل دلالة واضحة على حادثة الخروج من مصر عبر البحر وليس لها علاقة بالواقع التاريخي الذي يعيش فيه النبي داود .

ونستنتج مما سبق ، أن هذا المزمور هو أقرب إلى التأليف الذي عمل عليه كتبة التوراة بعد داود بعشرات السنين وليس هو من كلام داود عليه السلام . وطالما كذلك فإن علاقة هذا المزمور بالزبور مفقودة ولا صلة بينهما ، لأن الزبور منزل من الله وليس هو من صنع داود .

ونتوقف عند المزمور 22 لنرى اليأس من رحمة الله ، ونرى كيف ينسب الملك داود حسب التوراة لله ما لا يليق به :

يقول: إلهي إلهي لماذا تركتني. هيهات أن تخلصني كلمات زئيري.

إلهي في النهار أدعو فلا تجيب وفي الليل لا سكينة لي.

ويدل المزمور على وضعٍ حرج بالنسبة لداود. فالأعداء أحاطوا به وكادوا يفترسونه ونتج عن هذا الضيق هذه الجمل التي تجاوز فيها حدود الأدب مع الله وكل ذلك حسب المزمور.

ويوقفنا المزمور 25: بما فيه من نفس نبوي صافٍ فهو أدعية لا يدخل فيها اليأس ولا يُجسّم الإله ولا يجسّد.

يقول فيه: إليك يا رب أرفع نفسي. إلهي عليك توكلت فلا أخزَ ولا يشمت بي أعدائي. فجميع الذين يرجونك لا يخزون.

يا رب طرقك عرّفني وسبلك علّمني. إلى حقك اهدني وعلمني. فإنك أنت إله خلاصي وإليك رجوت النهار كله.

وهكذا يسير هذا المزمور في نسق واحد من تمجيد الله والاعتراف بالذنوب والرجاء بالمغفرة.

نلاحظ قوله: من هو الذي يتقي الرب؟ فإنه يرشده في الطريق الذي يختار. وهذا المقطع يذكرنا بالآية الكريمة: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ [الطلاق 2] فالتقاطع يدل على الجذر الإيماني الواحد.

في المزمور 29: نجد ملامح صراع سياسي عسكري بين بني إسرائيل وسكان لبنان وخاصة صيدا. وهذا المزمور لا يتوافق مع ما أنزل على داود؛ لأن داود نفسه حسب ما دوّنه التوراتيون هو الذي قال هذا المزمور.

يقول: صوت الرب يحطم الأرز يحطم أرز لبنان. يجعل لبنان يقفز قفز العجل وسرين (صيدا) يثب وثوب ولد الثور.

صوت الرب يزلزل البرية. يزلزل الرب برية قادش.

أما المزمور 33: فنرى فيه ملامح الخلق الأولى التي أشار القرآن الكريم.

يقول: بكلمة الرب صنعت السماوات وبروح فمه صنع كل جيشها إنه قال فكان وأمر فوجد.

وهذا يذكرنا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس 82].

أما المزمور 34: فتقول مقدمته إن داود قاله عندما تظاهر بالجنون أمام أبيمالك فطرده وانصرف. فالتظاهر بالجنون لا يليق بمقام النبوة وهذه إحدى التلفيقات التوراتية.

وفي المزامير اللاحقة يغلب على الكلام الدعاء والاعتصام بالله وإبراز الضعف البشري أمام قدرة الله. ولكنّ بعض المقاطع التي يطغى عليها الحس السياسي والخاص لبني إسرائيل، حتى أن ذات الله اعتبرها الكلام الوارد في المزامير ذاتاً خاصة لقومٍ دون غيرهم.

يقول المزمور 48: جبل صهيون. أقاصي الشمال. مدينة الملك العظيم. الله في قصورنا أظهر نفسه حصناً. كما سمعنا كذلك رأينا. في مدينة رب القوات. في مدينة إلهنا. إن الله يوطدنا للأبد. جبل صهيون يفرح وبنات يهودا تبتهج من أجل أحكامك. طوفوا بصهيون ودوروا حولها واحصوا بروجها. علّقوا قلوبكم بأسوارها وتأملوا في قصورها.

فهذه المعاني ليست إلا من تأليف خيال مدوّن التوراة. فالنبي داود لم يكن حسب ما تصوره التوراة مهتماً بهذا الحس السياسي. إنما يدرك مهمته النبوية في الدعوة والقضاء بين الناس بالعدل والرحمة.

ويلفت نظرنا المزمور التاسع والأربعون: لما فيه من معانٍ أخلاقية دينية تتقاطع مع المعاني الأخلاقية الدينية التي يطرحها القرآن الكريم وهذه المعاني تتناقض مع تلك المعاني الواردة في المزمور السابق.

نلاحظ قوله: لا تخف إذا اغتنى الإنسان وازداد بيته مجداً فإنه إذا مات لا يأخذ شيئاً ولا ينزل مجده وراءه. أو قوله: الإنسان في الترف لا يفهم يشبه البهائم الصامتة.

وفي المزمور 50: نرى بعض المقاطع التي تتقاطع مع بعض معاني القرآن الكريم.

يقول فيه: إن جعت فلا أخبرك. فإن لي الدنيا وما فيها. وهل أنا من لحم الثيران آكل. وهل أنا لدم التيوس شارب؟ اذبح لله ذبيحة حمد.

افهموا إذاً يا من نسوا الله لألا أفترس ولا منقذ. من يقرب ذبيحة الحمد يمجدني ومن استقام طريقه أريه خلاص الله.

إن ذلك يذكرنا بقوله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج 37]

وانظر قوله في نفس المزمور:

إذا رأيت سارقاً ركضت معه ومع الزناة نصيبك. أطلقت فمك للشر. ولسانك يحوك الخداع. جلست فتكلمت على أخيك وشوهت سمعة ابن أمك.

ويستفاد منه التحذير من المغيبة والنميمة وتشويه سمعة الآخرين بالافتراء والكذب يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات 12].

أما في المزمور 51: فيتضح أنه ألف بعد داود عليه السلام بزمن طويل لأنه يتحدث عن دعاء الله كي يبني أسوار القدس بعد أن خربت.

يقول: أحسن برضاك إلى صهيون فابنِ أسوار أورشليم. حينئذ ترضى بذبائح البر وبالمحرقة والتقدمة التامة.

وكأن المؤلف يضع شرطاً على الله إن هو بنى أسوار أورشليم فإن بني إسرائيل سيقدمون ذبائحهم ويقدمون تقدماتهم على مذبح الله.

وكذلك المزمور 53: فإنه يفصح عن زمن تأليفه وقد نسبوه إلى داود زوراً وبهتاناً لاحظ قوله: من الذي يأتي من صهيوني بالخلاص لإسرائيل.

حين يرد الله أسرى شعبه يبتهج يعقوب ويفرح إسرائيل.

الواضح من هذا أن المزمور أُلف بعد أن وقع بنو إسرائيل في أسر أعدائهم، فالمؤلف هنا يتمنى أن يرى من ينقذ إسرائيل من الأسر.

أما المزمور 68: فإنه يجسد الحسّ العسكري التوراتي فمن خلاله يظهر مثل ربٍّ مقاتل محارب يقود الجيوش، ويتجسّد ويتجسّم كما تجسّد وتجسّم في سفر الخروج.

يقول: اللهم حين خرجت قدام شعبك عندما دست القفار. رجفت الأرض وقطرت السماء من وجه الله. إلى سيناء إله إسرائيل السيد يصدر أمراً يبشر بجيش جرار.

جبل باشان جبل الله جبل باشان جبل القمم.

أيتها الجبال الشامخات لماذا تحسدين الجبل الذي ابتغاه الله لسكناه. فالرب يسكنه على الدوام.

فكما نلاحظ أن الإله الخاص والذي تصوره كتبة التوراة هو إله يسكن جبلاً دون الجبال الأخرى. وهذا يذكرنا بما قالت به الأسطورة الكنعانية عن سكن الإله إيل أبو بعل في جبل خاص به.

ويأتي المزمور نفسه على ذكر الهيكل على الرغم من أن الهيكل يُنسب بناؤه إلى سليمان وليس إلى داود. من أجل هيكلك فوق أورشليم يحمل الملوك إليك الهدايا.

ومرة جديدة نتوقف عند المزمور 74: لنرى أن الحس التوراتي في التأليف لا يغادر المفردات والمعاني. فهي تتناسب تماماً مع الواقع النفسي الرديء الذي عاشه بنو إسرائيل في الأسر والاضطهاد.

يقول: اللهم لماذا للأبد نبذتنا ولماذا على غنم مرعاك اشتعل غضبك.

اذكر جماعتك التي منذ القدم اقتنيتها وسبط ميراث تلك افتديتها.

وجبل صهيون الذي سكنت فيه.

ارفع خطواتك إلى الأطلال الدائمة ففي القدس أتلف العدو كل شيء.

آياتنا لم نعد نراها ولم يبق نبي وليس عندنا من يعلم إلى متى.

فهذه المعاني تدل دلالة واضحة أن هذا المزمور ليس له علاقة بداود عليه السلام فهو يعبر عن حالة مزرية يعيشها بنو إسرائيل. فحسب النص: أن عدواً أتلف كل شيء، ولم يبق نبيٌ يوجه الشعب. وفي بداية المزمور نرى الاحتجاج الواضح على الإله لأنه حسب النص ترك شعبه ونبذه وتخلى عنه فريسة للأعداء.

وفي نفس المزمور يرد أن الرب حطم رؤوس لوياتان (وأعطيته للوحوش مأكلاً).

فهذا المقطع مأخوذ من الأسطورة البابلية وكذلك من الكنعانية، وهو أسطوري وليس حقيقي. فلوياتان هو التنين ذو الرؤوس السبعة، وهو الذي تصارع مع الله الخالق حتى قتله الله وفرق جسده على الوحوش الضارية.

وقد وردت الصورة أيضاً في سفر أيوب.

في المزمور 95، و96، و97: ترد عبارة الرب إله عظيم وعلى جميع الآلهة ملك عظيم، وعبارة ورهيب فوق جميع الآلهة، وعبارة متعال على الآلهة جميعهم، وهذا ما يزال يدل دلالة قاطعة على إيمان بني إسرائيل بوجود آلهةً غير الله على الرغم من أنهم يمنحون إلههم صفات هي أكبر من صفات بقية الآلهة، وهذا بالطبع منافٍ تماماً لطبيعة النبوة عند داود عليه السلام.

في المزمور 102: مرة أخرى يدلنا هذا المزمور على الوضع المزري الذي كان يعيشه بنو إسرائيل فهو ليس كلام داود عليه السلام إنما هو كلام من كانوا يعانون الأسر والمذلة.

يقول: ستقوم وترأف بصهيون. فقد حان أن تتحنن عليها وقد آن الأوان.

إن عبيدك أحبوا حجارتها وحنّوا على ترابها.

الرب من علو قدسه تطلع ومن السماء إلى الأرض نظر.

ليسمع تنهد الأسير ويطلق سراح أبناء الموت.

غير أن كاتب التوراة ومدوّن المزامير حاول أن يوحي أن المزمور من كلام داود عليه السلام فأدخل كلمات توحي بصيغة المتكلم، وهي خاصة بحالة فردية ليس لها علاقة بما قبلها، ونجد أن النصَ ينقطع ثم ينتقل إلى هذا النمط الجديد من الحديث، يقول فيه: في الطريق أوهن قوتي. وقصّر أيامي. أقول يا إلهي لا ترفعني في نصف أيامي إلى جيل فجيل سنوك.

وعندما نتوقف عند المزمور المئة وثلاثة: والذي يُنسب لداود عليه السلام نرى جواً آخر ونَفَساً آخر، هو من النوع الذاتي الخاص، والذي يلخص علاقة النبي داود بربه.

يقول: باركي الرب يا نفسي ويا جميع ما في داخلي اسمه القدوس. باركي الرب يا نفسي ولا تنسي جميع إحساناته. هو الذي يغفر جميع آثامك. ويشفي جميع أمراضك. يكللك بالرحمة والرأفة. الرب الذي يُجري البر والحق لجميع المظلومين. عرّف موسى طرقه وبني إسرائيل مآثره. الرب رؤوف رحيم. طويل الأناة وكثير الرحمة.

فهذه المعاني والألفاظ لا تفترق كثيراً عن معاني وألفاظ القرآن الكريم. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر 53] ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝ ﴾ [الشعراء 80] ﴿ لَيۡسَ

بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الأنفال 51] ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف 156] ﴿ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور 20].

ثم يقول الإنسان كالعشب أيامه وكزهر الحقل يزهر. هبت عليه ريح فلم يكن ولم يعد يعرفه موضعه.

لننظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الكهف 45].

ونلاحظ قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة 207] وقوله: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [غافر 31] ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت 46].

ونلاحظ بعض المقاطع في المزمور المئة وأربعة: الباسط السماء كالستارة. المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع أبد الدهور. أنت مفجر العيون في الوهاد. فتسيل بين الجبال. صنع القمر للأوقات والشمس عرفت غروبها. تلقي الظلام فإذا الليل فيه تسعى جميع وحوش الغاب. يخرج الإنسان إلى شغله وإلى عمله حتى المساء.

لننظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس 39]. وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا ﴾ [الأنبياء 32].

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر 21]. وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾ [النبأ 6-7].

أما المزمور 105: ففيه من التلفيق أكثر من وجه.

لاحظ ماذا يقول: يا ذرية إبراهيم عبده ويا بني يعقوب مختاريه.

هو الرب إلهنا في الأرض كلها أحكامه.

يتذكر للأبد عهده. الكلمة التي أوصى بها إلى ألف جيل.

العهد الذي قطعه مع إبراهيم. والقسم الذي أقسمه لإسحق.

والذي جعله فريضة ليعقوب وعهداً أبدياً لإسرائيل.

قائلاً (أعطيك أرض كنعان حصة ميراث لكم).

فهذا النص صدى لما قالته ولما دونه كتبة التوراة في سفر التكوين، وهو ملفق على إبراهيم وملفق على إسحق.

وإذا كان العهد أبدياً فلماذا رُحّل بنو إسرائيل لمدة سبعين عاماً بعيداً عن الأرض الفلسطينية التي احتلوها؟ ثم لماذا لم يستقم العهد لمدة ألفي عام منذ المسيح عليه السلام وحتى قيام الكيان الصهيوني؟

فالقصة كلها تلفيقة توراتية. ألفها كتبة التوراة ليصبح التوجه سياسياً ليس له علاقة بأي جانب ديني.

ونتوقف عند بعض المزامير ذات المنحى التاريخي؛ منها المزمور المئة وستة: فهذا المزمور يحوي الكثير من المقاطع فهو طويل من حيث حجمه ومن حيث الأحداث التي يتعرض لها. وعندما ندقق فيها نرى أنه صدى لبعض أسفار التوراة الأولى فهو أولاً اعتراف بما فعل بنو إسرائيل من إغضاب لله وللأنبياء وخروج عن عقيدة التوحيد.

يقول: قد خطئنا نحن وآباؤنا. الإثم والشر ارتكبنا.

آباؤنا في مصر لم يفطنوا لعجائبك ولم يتذكروا وافر مراحمك.

بل تمردوا على العلي عند بحر القصب.

سرعان ما نسوا أعماله ولم ينتظروا تدبيره.

في البداية اشتهوا شهوة وفي القفر جربوا الله.

فلبى طلبهم وأرسل الحمى في نفوسهم.

حسدوا موسى في المخيم وهارون قديس الرب.

صنعوا عجلاً في حوريب وسجدوا لصنم مسبوك.

واستبدلوا بمجدهم صورة ثور آكل عشب. نسوا الله مخلصهم صانع العظائم في مصر.

فنوى أن يبيدهم لولا أن موسى مختاره. وقف في الثلمة أمامه ليرد غضبه عن

إهلاكهم. ورفضوا أرضاً شهية غير مؤمنين بكلمته. وفي خيامهم تذمروا وإلى صوت الرب لم يستمعوا. فرفع يديه مقسماً ليسقطنهم في البرية.

ويسقطّن ذريتهم في الأمم ويبددنهم في البلاد.

فتعلقوا ببعل فغور وأكلوا ذبائح الموتى. وأسخطوا بأعمالهم فداهمتهم الضربة وعبدوا أصنامها فكان لهم ذلك فخاً. وذبحوا بنيهم وبناتهم للشياطين. وسفكوا دماً زكياً دم بنيهم وبناتهم. الذين ذبحوهم لأصنام كنعان. فتدنست الأرض بالدماء. وتنجسوا بأعمالهم وزنوا بأفعالهم.

مرات كثيرة أنقذهم لكنهم تمردوا على تدبيره وانحطوا بآثامهم.

فهذا المزمور يسجل وقائع التمرد العقيدي لبني إسرائيل طوال مئات السنين وتبدو نفسية بني إسرائيل واضحة تماماً من حيث عدم اقتناع أصحابها بعقيدة التوحيد، وميلهم الدائم إلى عبادة الأصنام والآلهة الوثنية التي صنعها البشر، وليس وراء هذا المزمور أي فائدة تذكر سوى ما ذكرته أسفار التوراة الأولى والتي تفصح عن انحراف عقيدي دائم لبني إسرائيل.

وفي المزمور 107: إشارة واضحة إلى أخلاق بني إسرائيل وانحرافهم ولا يخرج ذلك عما قرأناه في المزمور السابق.

يقول: كانوا مقيمين في الظلمة وظلال الموت أسرى البؤس والحديد.

لتمردهم على أقوال الله واستهانتهم بتدبير العلي.

فأذل قلوبهم بالعناء. سقطوا ولا معين.

كانوا مرضى في طريق معصيتهم وأشقياء في آثامهم.

ومن الملاحظات على هذا المزمور أن كل مقطع منه يتحدث عن منن الله على بني إسرائيل وإنقاذهم من ظروفهم الصعبة، وفي كل مقطع يتحدث المزمور عن سمة وفعل من سماتهم وأفعالهم المشينة.

ويلفت نظرنا ما حوته بعض المزامير من أقوال حكيمة تنم عن أخلاق نبوية واضحة، وتنم عن تواضع أمام الله.

فالمزمور 109 يقول على لسان داود: فإني بائس مسكين وقلبي في داخلي جريح من كثرة الصوم تنثني ركبتاي ومن الضعف يهزل جسمي.

انصرني أيها الرب إلهي وبحسب رحمتي خلصني.

أما المزمور 111: فيشير إلى الحث على طاعة الله سبحانه.

والمزمور 114: لا يخرج عن تلك الوصايا للإنسان كي يكون دائماً مع الله.

فيقول: طوبى للرجل الذي يتقي الرب ويهوى وصاياه جداً.

تكون ذريته في الأرض مقتدرة وجيل المستقيمين مبارك.

في بيته يكون المال والغنى وبرّه يدوم للأبد.

طوبى للرجل الذي يرأف ويقرض ويدبر بالحق أموره.

لا يخشى خبر السوء ثابت قلبه متكل على الرب.

قلبه ثابت فلا يخاف. وزّع وأعطى المساكين. فبّره يدوم للأبد وقوته تزداد مجداً.

فهذه المعاني هي أقرب إلى الوصايا التي يؤكدها مبدأ النبوة. وهي أقرب إلى شخصية النبي داود وعلى الأرجح أن مثل هذا المزمور ومثل هذه المعاني تقترب كثيراً كثيراً من منهج النبوة لسائر الأنبياء.

ويكاد المزمور 113 لا يبتعد عما سبقه في المزمور 112 حيث يبدأه بـ يا عبيد الرب سبحوا لاسم الرب سبحوا.

ليكن اسم الرب مباركاً من الآن وللأبد.

يُنهض المسكين من التراب. ويقيم الفقير من الأقذار. ليجلسه مع العظماء.

وفي المزمور 115: تمجيد لله الخالق الذي ليس مثله شيء لكن الذي يُلفت فيه الحديث عن الأوثان التي يتعبد لها بعض الناس.

فيقول: إن إلهنا في السماء. صنع كل ما شاء.

أوثانهم فضة وذهب صنعُ أيدي البشر. لها أفواه ولا تتكلم. لها عيون ولا تبصر.

لها آذان ولا تسمع. لها أنوف ولا تشم. لها أيد ولا تلمس. لها أرجل ولا تمشِ ولا بحناجرها تتمتم. مثلها يصير صانعوها وجميع المتّكلين عليها.

فهذه الأوصاف التي يذكرها المزمور لا تبتعد عما جاء به القرآن الكريم من وصف للأوثان وأصحابها.

وفي المزمور 117 : دعوة لكل الشعوب والأمم كي تطيع الله الواحد. وهنا نرى أن الله سبحانه ليس إله بني إسرائيل وحدهم كما يرد في كثير من المزامير التي ألفها كتبة التوراة.

يقول: سبحي الرب يا جميع الأمم وامدحيه يا جميع الشعوب. لأن رحمته علينا عظيمة وصدقُ الرب قائم أبداً. الاعتصام بالرب خير من الاتكال على البشر.

وفي المزمور 119 تتضح العلاقة بين النبي داود وبين ربه. فهو عبد ضعيف أمام الله، الله يطهّر قلبه ويلقي على فمه الحكمة وهو يتنعم بفرائض الله، ويدعو ربه أن يُبعد عنه طريق الكذب، ويبعد عنه الخزي والعار وطريق المتكبرين. وتلك المعاني جديرة بالنبي وبكل مستقيم مؤمن لا يحيد عن أوامر الله.

كيف تفصح المزامير عن العلاقة بين داود وبني إسرائيل؟

إذا صحت نسبة المزامير أو بعضها للنبي داود فإن فيها من الإشارات والتصريحات ما يفصح عن علاقة سيئة جداً بين النبي داود وبني إسرائيل، وهناك من الدلالات اللفظية ما يشير إلى ذلك.

وقد تكررت في هذا الاتجاه - اتجاه العلاقة السيئة - مفردات معينة. وكان تكرارها كبيراً لدرجة أنه قل أن لا ترد في مزمور. ويتضح من خلالها أن هناك أعداءً كثيرين لداود يحاولون الإيقاع به والتآمر عليه ومضايقته باستمرار. وهؤلاء الأعداء خارجيون وداخليون وقريبون جداً من النبي داود.

فنلاحظ كلمة مضايقيّ تتكرر في المزامير عشرات المرات وغيرها من المفردات التي تدل على حال يأس تلبست داود عليه السلام. وهذا اليأس هو بسبب هؤلاء الذين يتآمرون عليه ويضايقونه ولا يسمعون كلام الله.

وحين نرصد جميع المزامير نرى أن القسم الأعظم منها تلفه الشكوى والضيق، وقد أحصينا من المفردات الدالة على هذه الحالة الكثير الكثير.

نلاحظ مثلاً وليس على سبيل الحصر المفردات التالية:

مضايقيّ. خلّصني. شكواي. صراخي. يترصدونني. مؤامراتهم. أعدائي. الأشرار. مبغضيّ. مخاصمات الشعب. الحانقين. المعتدين. يسخرون مني. كلاب كثيرة أحاطت بي. زمرة من الأشرار. المرائين. أهل السوء الخاطئين. التضرع. انقذني. يسخرون بي. شباك.

وجاء في بعض المزامير:

وقف أحبائي ورفاقي متنحين عن ضربتي.

ووقف بعيداً أقاربي. طالبوا نفسي نصبوا الشباك.

وجاء أيضاً: جميع مبغضيّ عليّ يتهامسون والشر لي يضمرون.

وحتى صديقي الحميم رفع علي عقبه.

وورد أيضاً: عاري طول النهار أمامي. والخجل يغطي وجهي.

من صوت الشاتم والمجدف ومن وجه العدو والمنتقم.

فهذه المفردات وهذه المقاطع تدل دلالة قاطعة على أن علاقة سيئة كانت تحكم النبي داود ببني إسرائيل. وإذا أضفنا ما ورد في بعض المزامير من حديث عن أطباعهم السيئة وانقلاباتهم الدينية المتتالية أدركنا أن داود عليه السلام بريء مّما يزعمون من أنه يمثلهم أو يمثل ملكهم.

وقد صرح النص بأن صديقه الحميم وأن أقرب الناس إليه وأحباءه وقفوا يترصدون هلاكه أو أنهم كانوا يتخلون عنه في أوقات ضيقة، فإذا كان هذا هو حال أعز الناس إليه وأقربهم له فكيف ببني إسرائيل الذين ما تركوا نبياً من أنبيائهم إلا آذوه، أو قتلوه أو تخلوا عنه أو شوهوه؟

على أية حال فإن إطلالتنا السريعة على المزامير يُراد منها أن نكشف أن أكثرها يُنسب إلى داود، قد يكون هذا صحيحاً أو غير صحيح ولكن الصحيح والأكيد أن غالبية المزامير لا تتناسب مع منطق النبوة. وكما عرفنا من قرآننا الكريم فإن الزبور آتاه الله داود بمعنى أنه أوحى به له. فإذا كان الزبور كذلك فإن المزامير ليست وحياً من الله إنما هي كلام كان يقوله داود عليه السلام شعراً. والقلة القلة من المزامير يتناسب لفظها ومعانيها مع حال النبوة. ولكننا لا نجزم بأن هذه القلة القليلة من الزبور والله أعلم.

السحر واستخدام المزامير لضرر الناس

عُرف عن اليهود اهتمامهم البالغ بالسحر. وعلى مر التاريخ اعتقدوا أن النبي موسى ﷺ ما كان لينتصر على فرعون وسحرته لولا قدرته على الإتيان بمعجزات هي أشبه بالسحر، خاصة بما يتعلق بعصاه أو بيده التي أصبحت بيضاء حين أمره الله أن يدخلها في جيبه ويخرجها.

وتأتي قصة السامري الذي أخذ من أثر الرسول جبريل حين خروج بني إسرائيل من مصر، ومن ثم صناعته للعجل الذي عبدوه لتفتح أمامهم أحد أبواب السحر اعتماداً على بعض نصوص التوراة.

ثم يأتي تعلقهم البالغ بالسحر حين ظنوا أن النبي سليمان حكم الجنّ بسحره. وقد أورد القرآن الكريم مقالتهم في ذلك، وفنّد مزاعمهم التي ادّعت أن سليمان كفر لأنه استخدم السحر في الوصول لحكمه على القوى غير البشرية.

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة 102].

فاليهود اتبعوا الشياطين، يتعلمون منهم السحر ليفسدوا بين الناس، وقد عرف التاريخ اليهودي مسيرة استخدامهم السحر وتسخير كتبهم الدينية لأجل ذلك.

وقد عُرف عنهم استخدامهم لمزامير داود لتُسخر في السحر ظناً منهم أنها تضر وتنفع وهذا ما ينافي الزبور الذي آتاه الله للنبي داود ﷺ. فليس يعقل أن يُسخر داود كتاب الزبور للسحر الذي يضر بالعلاقة بين الناس ويفسدها، وإنما درج بعض أحبار اليهود

والعاملون بالسحر على استخدام المزامير المنسوبة لداود كأداة من أدوات السحر.

وقد ظهر كتاب تحت عنوان (استخدام المزامير في عمل السحر) وكان مخطوطاً باللغة العربية حققه وشرحه وترجمه إلى الفرنسية (نسيم هنري حنين) و(يتاري بيانكي) وطبعه المعهد العلمي للآثار الشرقية بالقاهرة. يتناول هذا الكتاب استخدام المزامير في السحر. ولما كان عدد المزامير هو مئة وخمسين مزموراً فإن هناك مئة وخمسين استخداماً سحرياً. وتزيد النسخة القبطية لكتاب المزامير مزموراً آخر لتصبح مائة وواحد وخمسين مزموراً. والمزمور الزائد هو أقوى المزامير في السحر كما يقولون.

في المزمور الثاني المعنون بـ: لماذا ارتجت الأمم.

يعلق عليه بالتالي: إذا كتب في ورقة ويعلق على ذراع من تريد فإنه قبول عظيم ومن كان له أعداء يقرؤه كل يوم عند طلوع الشمس على ماء ويستحم به أيضاً عند طلوع الشمس ثلاثة مرات ويذكر أسماءهم فإن الله يخلصه منهم.

في المزمور الثالث: يا رب لماذا كثر الذين...

إذا قرئ على دهن ورد وتدهن به الرأس الموجوعة فإنها تبرأ. يقرأه قبل طلوع الشمس على ماء وزيت ويغسل وجهه ويديه فإنه يغلب أعداءه.

وإذا قرئ على قدح ما من حمام النساء ثلاث مرات واقلبه في دار من كان بينهم السحر والخصام فإنهم يصطلحون ويزول الشر من بينهم.

في المزمور الرابع: إذا دعوتك يا رب.

تقرأه على قليل من طوبة 7 مرات يوم السبت وأنت صائم وترش في البيت فإنه يمتلئ من الرزق وتحل فيه البركة.

وإذا عملت وليمة تقرأ المزمور 3 مرات بكماله على جرة خمر وخبز تحرك الجرة فإن الله يبارك فيهم ولا يعوزك إلى شيء بقدرته.

ويلاحظ أن هذه المزامير التي ورد ذكرها تستخدم في قضايا غير ضارة، ولكن هناك مزامير تستخدم للشر على مستوى الفرد وعلى مستوى الجميع، ومنها المزمور 19 الذي يعنون، اعترف لك يا رب من كل قلبي.

فيقول: إذا أردت هلاك أحد فاقرأ المزمور 30 مرة كل يوم 3 مرات على اسمه واسم أمه فإن الله يهلكه دون الشهر (للمريض).

ومن ذلك أيضاً استخدام الخمر في المزمور العاشر، حيث يقول: إذا كان إنسان مسقى سماً فيملأ كأس خمر ويقرأ عليه المزمور ثمانية مرات، ويكون قد كتب هذه الأحرف في إناء مدهون أو إناء زجاج وإذا فرغت من قراءته تسكب عليه الخمر واغسله واسقيه منه فإنه يبرأ بإذن الله.

وقد نهى الإسلام عن استخدام النجس في المداواة.

ويقول: إذا كان لك عدو اكتب المزمور إلى عند قوله نار وكبريت وريح عاصف وادفنه في مقدم دار عدوك فإنك تنال منه مقصودك بإذن الله.

ويقول: إذا أردت فتح دكان أو مشغل فاقرأ المزمور 13 على كأس خمر من رأس الجرة واكتبه في قدرة واعمل في فم القدرة مرسين أخضر واقرأ عليه المزمور سبعة أيام كل يوم ثلاث مرات وأنت طاهر وتستحم بالماء التي بالقدرة وتوجه لمن تطلبه فإن الله تعالى يقضي حاجتك ويسهل عليك الأمور بقوته.

لقد أردنا من تلك الفقرات الإشارة إلى استخدام المزامير في السحر لنبين أن زبور داود كتاب منزل من الله سبحانه وتعالى ولا يجوز استخدامه في السحر، خاصة ذلك السحر الذي يؤذي.

ولم يتطرق المفسرون المسلمين إلى حديث ولو عابر عن استخدام زبور النبي داود عليه السلام في غير مرضاة الله. والسحر كما هو مجمعٌ عليه عمل خارج عن أوامر الله ونواهيه، لكن اليهود عُرفوا بأنهم استخدموا السحر واستمروا به حتى يومنا هذا.

الفصل السادس

الإسرائيليات إفساد لم يتوقف بعد

المصطلح والتعريف

أجمع العلماء من السلف الصالح على تعريف الإسرائيليات أنها كل ما ينسب إلى بني إسرائيل.

وفي هذا التعريف العام فإن كتاب موسى عليه السلام، وكذلك التوراة والتلمود تعتبر من الإسرائيليات أي ما يخص بني إسرائيل.

لكن معنى الإسرائيليات الذي نحن بصدده هو كل ما أدخل من حكايات إسرائيلية في تفاسير القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ وتراث المسلمين الديني.

ويرادف هذا التعريف والمصطلح مصطلح الموضوعات، وهو مأخوذ من وضع الشيء يضعه وضعاً إذا حطه وأسقطه. وأما في اصطلاح أئمة الحديث: فالموضوع هو الحديث المختلق المصنوع المكذوب على رسول الله ﷺ أو على من بعده من الصحابة والتابعين. وقد نسب إلى النبي ﷺ وإلى الصحابة والتابعين كثير من الإسرائيليات في بدء الخَلْق والمُعاد وأُخبار الأُمم المُاضية والْكونيات وقَصص الأَنبياء.

وغايتنا في هذا الفصل أن نكشف العلاقة بين الإسرائيليات وبين أصولها التوراتية والتلمودية المحرفة، وبالتالي غايتنا أن نكشف ماهية تلك التوراة المحرفة وعدم صلتها بما أوتي النبي موسى عليه السلام من كتاب وما أنزله الله سبحانه من توراة على أنبياء بني إسرائيل.

كيف دخلت الإسرائيليات؟

من المعروف أن موقف اليهـود بشـكل عـام مـن الرسـالة الإسـلامية ومـن سـيدنا محمد ﷺ كان موقفاً عدائياً منذ بدء الدعـوة. وهـذا العـداء أخذ أساليب كثيرة ومتنوعـة. فمنها ما كان مباشراً ومنها ما كان غير مباشـر. وعندمـا انكسرت شـوكتهم في المدينة ثـم في بقية المناطق حل فيهم الضعف ولـم يعـودوا قـادرين على فعـل شـيء أمـام انتشـار الإسـلام وقوته فانتقلوا إلى أسلوب عدائي جديد وهو الدس في الإسلام وتشويه صورتـه وذلـك مـن خلال التفاسير لآيات الله وكذلك من خلال الدس علـى حديـث رسـول الله ﷺ ، وحتـى لا تختلط الأمور ببعضها لابد أن ننـوه إلـى أن الـدس الخبيـث لـم يتوقـف وحتـى هـذه الأيـام. ولكن مع كل ذلك لابد أن نشير أيضاً إلى أن بعض المسلمين يحمّلون اليهـود الذيـن أسـلموا زمن رسول الله ﷺ دخول العديد مـن الإسـرائيليات في الـتراث الإسـلامي والواقـع أن يهـوداً آخرين غير الذين عرفنا سيرتهم هم من دسّوا ذلك الدس بقصد تدمير العقيدة الإسلامية.

أما الذين أسـلموا مـن اليهـود فـلا نعتقـد أن في قصدهـم ونيّـاتهم الـدس في الإسـلام لتدميره إنما هم نقلوا ما حفظوا عن أسلافهم اليهود من قصص وغيرها وقـد انتشـر بعـض ما رووه، وقد نبه المفسرون والعلماء إلى عدم الجزم بصحة ما نقل عن هؤلاء وكـان ذلـك استناداً على تنبيهات رسول الله ﷺ بشأن الأخذ أو عـدم الأخـذ عـن هـؤلاء اليهـود الذيـن أسلموا.

وقفة للرد

بعض الباحثين المعاصرين رأوا أن اليهود الذين أسلموا وعلى رأسهم عبدالله بن سلام ووهب بن منبه وكعب الأحبار أدخلوا في التراث الإسلامي الكثير من الإسرائيليات حتى بدا لهم أن هناك تقاطعاً كبيراً حدث بين التراث الإسلامي المابعد القرآني وبين التلمود.

ولعل أخطر ما طرح في هذا الجانب ما جاء به الباحث نبيل فياض في كتابه (مدخل إلى مشروع الدين المقارن).

يقول في الصفحة 59 من كتابه: إن كل من يمتلك إطلاعاً وافياً على الجوانب المثولوجية في التقاليد الإسلامية المابعد القرآنية والتقاليد الهاغادية يشعر بمدى التقاطع المذهل بين التراثين، وباستثناءات قليلة لا نمتلك دليلاً دقيقاً على أن هذا الطرف أخذ عن ذاك. مع ذلك فقد اقترحنا في أحد أعمالنا أن ثمة دوراً للربانيين اليهود الذين اعتنقوا أو أظهروا اعتناق الإسلام في إدخال هذا الكم الهائل من التراث الميثولوجي الرباني في التقاليد الإسلامية.

لقد غاب عن ذهن السيد فياض أن من أدخل غالبية الإسرائيليات يهود أو متنصرون ليس من بينهم هؤلاء اليهود الذين أسلموا.

ثم إن التقاطع بين الجوانب الميثولوجية الإسلامية والتلمود ليس تقاطعاً إسلامياً تلمودياً إنما تقاطع شعبي يستند إلى تراث شعبي سببه التراكم الثقافي الشعبي لدى شعوب المنطقة العربية منذ ما قبل الإسلام بكثير.

وتحت عنوان الرموز الثلاثة، تناول فياض بالتجريح عبدالله بن سلام وكعب الأحبار ووهب ابن منبه وطعن فيهم وفي رواياتهم. لكنه يجحف كثيراً ويماري الحقيقة حين يقول إن وهب بن منبه هو واحد من أهم المفسرين الأوائل للقرآن، وله تعود أعمال كثيرة استخدمت كمصادر تفسيرية هامة للقرآن وقصص الأنبياء.

ونعود لنقول إن رسول الله ﷺ نبهنا كثيراً بالنسبة للأخذ من أهل الكتاب وما دام الله سبحانه منّ علينا بالقرآن الكريم فلا داعي للتوقف كثيراً عند ما يخالفه من الإسرائيليات والموضوعات.

ونعتقد أن الأمة الآن أصبحت على مستوى من الوعي يمكنها ويمكن باحثيها وعلماءها من التمحيص والدراسات المتعمقة بحيث لا تفوت على عقول أبنائها مثل تلك الإسرائيليات التي تشوه العقيدة الإسلامية والتاريخ الإسلامي .

وإذا أردنا الإنصاف وعدم الوقوع في الباطل فإننا لابد أن نتحدث عن هؤلاء اليهود الذين أسلموا وحسن إسلامهم .

❖ عبد الله بن سلام : وكان من أعلم علماء اليهود بشهادتهم وكان من علماء الصحابة بعد إسلامه وقد شهد له رسول الله ﷺ بأنه من أهل الجنة ، ولإسلامه قصة ذكرتها وأجمعت عليها كتب السيرة .

فهو صحابي والصحابة عدول كلهم فمن المستبعد أن يصدر عنه كذب في الرواية ، وقد أجمع علماء الجرح والتعديل وأئمة علم الحديث على صحة ما نقله وصدق كلامه .

❖ كعب الأحبار : وقد أسلم في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وقيل في زمن سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ وقيل إنه أسلم في زمن النبي ﷺ. وقد روى عن النبي ﷺ ولكنه مرسل لأنه لم يلق النبي ﷺ وقد روى عنه أكبر الصحابة وأكثرهم علماً لم يُتهم كعب بالوضع والاختلاق .

❖ وهب بن منبه : وهو من خيار التابعين وُلد في آخر خلافة عثمان بن عفان ﷺ وقد أخرج له كبار علماء الحديث ورواته كالبخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

وقد قال العلماء إننا لا ننكر أن بسببه دخل في كتب التفسير إسرائيليات وقصص بواطل ، ولكن الذي ننكره أن يكون هو الذي وضع ذلك واختلقه من عند نفسه .

وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله : «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعدة من النار» (كتاب أحاديث الأنبياء) .

والمراد بحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج قال الإمام مالك : «المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن أما ما علم كذبه فلا» (فتح الباري ج6 ـ ص388) .

وقال ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل عليكم» صحيح البخاري .

وعن ابن عباس قال : "كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث تقرؤونه محضاً لم يشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم" .

وعلى هذا فإن الإسرائيليات القديمة والحديثة اختلقها عشرات اليهود على مدى أكثر من ألف وأربعمائة سنة . ومازلنا حتى اليوم نعاني من هذه الإسرائيليات .

إسرائيليات مصدرها شروح التوراة

لعل أكثر ما تعرض له من الدس اليهودي هو علم التفسير، وخاصة تفسير الآيات المتعلقة ببني إسرائيل والنبي موسى عليه السلام وكذلك الأنبياء الخاصين على بني إسرائيل. وكذلك ما رُوي عن قضايا خاصة ببداية الخلق.

1 ـ إسرائيليات في قصة التابوت.

2 ـ إسرائيليات في قصة قتل داود جالوت.

3 ـ إسرائيليات في قصة آدم عليه السلام وما نسب إليه من الشرك هو وزوجه.

4 ـ إسرائيليات في قصة التيه.

5 ـ إسرائيليات في سؤال موسى ربه الرؤية.

6 ـ إسرائيليات في الألواح وغضب النبي موسى وإلقائه إياها.

7 ـ إسرائيليات في سفينة نوح وأولاده.

8 ـ إسرائيليات في قصة يوسف.

9 ـ إسرائيليات في إفساد بني إسرائيل.

10 ـ إسرائيليات في قصة ملكة سبأ.

11 ـ إسرائيليات في قصة الذبيح وأنه إسحق.

12 ـ إسرائيليات في قصة النبي إلياس.

13 ـ إسرائيليات في قصة داود.

14 ـ إسرائيليات في قصة سليمان.

15 ـ إسرائيليات في قصة أيوب.

وهذه الإسرائيليات يعود مصدرها إلى التوراة المحرفة وما قال به أحبار اليهود في أزمنة مختلفة.

وهناك إسرائيليات تأخذ من التوراة جذر القصص ثم تلحقها شروح تلمودية وغيرها ومنها:

1 ـ قصة عوج بن عناق.

2 ـ قصة هاروت وماروت .

3 ـ المسوخ من المخلوقات .

4 ـ في بناء الكعبة .

5 ـ قصة يأجوج ومأجوج .

6 ـ قصة ذي القرنين .

7 ـ في قصة إرم ذات العماد .

8 ـ قصة خلق الدنيا وبدء الخلق وما يتعلق بعمر الدنيا .

9 ـ ما يتعلق بخلق الشمس والقمر .

10 ـ ما يتعلق بتعليل بعض المظاهر الكونية .

11 ـ شجرة طوبى .

12 ـ جبل ق المزعوم وحدوث الزلازل .

وفي القسم الثالث نتعرض لبعض ما يُسرب من إسرائيليات معاصرة خاصة أن الوسائل قد كثرت وتعددت وأصبحت أكثر خطورة . ومنها الإنترنت ومواقعها .

إسرائيليات في قصة التابوت:

وقع أكثرية المفسرين المسلمين في قصة طالوت وتنصيبه ملكاً على بني إسرائيل .

فقد ذكر الطبري والثعلبي والبغوي والقرطبي وابن كثير والسيوطي في تفسيرهم للآية : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾ [البقرة 248] أموراً بشأن التابوت أكثرها مستمد مما قالته التوراة وما جاء به أحبار اليهود ، فقد قالوا : إن التابوت كان من خشب الشمشاد نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين كان عند آدم إلى أن مات ثم عند شيث ثم توارثه أولاده إلى إبراهيم ثم كان عند إسماعيل ثم يعقوب ثم كان في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى عليه السلام . فهذا الكلام وإن كان محتملاً للصدق والكذب لكننا في غنية عنه ولا يتوقف تفسير الآية عليه .

وقد نقلوا عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير السكينة قوله : السكينة طست من ذهب كانت تغسل فيه قلوب الأنبياء أعطاه الله موسى عليه السلام والحقيقة أنه ليس في القرآن ما يدل

على شيء من ذلك ولا فيما صح عن النبي ﷺ. وهذه من أخبار بني إسرائيل التي نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين ومرجعها إلى وهب بن منبه وكعب الأحبار[1].

إسرائيليات في قتل داود جالوت:

وهو ما يتعلق بتفسير قوله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة 251].

فقد استند المفسرون على ما جاء في التوراة وتحديداً في سفر صموئيل الأول والثاني. حيث فصلت هذه التوراة قصصاً كثيرة حول علاقة داود بطالوت - شاؤول - ومركز القصص وجوهرها أن داود قتل جالوت بمقابل أن يزوجه طالوت من ابنته. وفي هذا الذي ذكروه الحق والباطل والصدق والكذب ولم يرد في القرآن والسنة وقد أعرض عنه ابن كثير حيث قال عند تفسيره للآية: ذكروا في الإسرائيليات أن داود قتل جالوت بمقلاع كان في يده رماه به فأصابه فقتله، وكان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويشاطره نعمته.

وعندما نقارن ما جاء في بعض التفاسير عند البغوي والثعلبي وغيرهما بما جاء في التوراة نرى تقاطعاً كبيراً. لحد التطابق. وهذا ما يجب الالتفات والتنبه إليه.

إسرائيليات في قصة آدم عليه السلام:

وقد جاءت خلال تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة 36].

ولم يرد في القرآن الكريم ذكر الحية التي أغوت زوجة آدم ولم يرد ما ورد في التوراة من أمور تفصيلية عن الله وآدم، بل إن ما ورد في قصة الخلق في سفر التكوين يقترب من الشرك بالله والتجسيد والتجسيم لذات الله، تعالى الله عن ذلك.

وقد أشاع كعب الأحبار في الحديث عن آدم عليه السلام. أموراً تخالف العقل والمنطق

---

(1) د. محمد أبو شهبة. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص 170 - 171.

والدين كقوله إن آدم أول من ضرب الدينار والدرهم، وأنه عندما هبط من الجنة كان مسوداً جسمه ثم بيّض الله جسده بصيامه ثلاثة أيام. وقيل عنه إنه كان يشرب الماء من السحاب. ومن الإسرائيليات ما لُفق عن ولدي آدم وقد ذكر قصتهما ابن جرير الطبري والثعلبي والسيوطي ومن ذلك أن الدم الذي على جبل قاسيون هو دم ابن آدم. وعن وهب أن الأرض تشفت دم ابن آدم المقتول فلعن ابن آدم الأرض فمن أجل ذلك لا تنشف الأرض دماً بعد دم هابيل إلى يوم القيامة.

ومن ذلك أيضاً ما نسب إلى النبي آدم من قول الشعر. وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر وقد روي عن ابن عباس قوله: من قال: آدم عليه السلام قد قال شعراً فقد كذب.

وما الشعر الذي ذكره بعضهم إلا منحول مختلق والأنبياء لا يقولون الشعر. ويقول الزمخشري: "رُوي أن آدم مكث بعد قتل ابنه مائة سنة لا يضحك وأنه رثاه بشعر وهو كذب بحت، وما الشعر إلا منحول ملحون وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر".

إسرائيليات في قصة التيه:

وفي قصة تيه بني إسرائيل في سيناء إسرائيليات كثيرة تستند في معظمها على ما جاء في التوراة العبرانية.

منها أنهم كانوا ستمائة ألف مقاتل. وأنهم أُعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم ينشأ الناشئ فتكون معه على هيئته. وسأل موسى ربه أن يسقيهم فأتى بحجر الطور وهو حجر أبيض إذا ما أنزل القوم ضربه بعصاه فيخرج منه اثنتا عشرة عيناً. وذكروا أن هذا الحجر من الجنة ولم يكن حجراً أرضياً ومنهم من قال إنه كان على هيئة رأس إنسان أو رأس شاة. وقيل كان طوله عشرة أذرع. وليس في القرآن ما يدل على ذلك وقولهم إنهم كانوا ستمائة ألف فهذا كذب مخالف للمنطق التاريخي وللحقائق وقد دخل أبناء يعقوب إلى مصر وعددهم سبعون نفراً فكيف صاروا بهذا العدد في مدة قليلة لا تتجاوز الخمسة أشخاص من يعقوب إلى موسى عليه السلام؟

❖ وفي قصة سؤال موسى ربه الرؤية زاد اليهود أضعاف ما هو حقيقي وقد وردت هذه الزيادات في التوراة وكلها تخالف الدين والمنطق والحديث التاريخي. فيقولون في هذه الزيادات إن الله أرسل الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق وأحاطت بالجبل

الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب، وأمر الله ملائكته أن يعترضوا على موسى فمرت الملائكة كثيران البقر ينبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد.

وهذه المرويات كلها من الإسرائيليات ومن كذبهم على الله وعلى الأنبياء وعلى الملائكة.

❖ ومن الإسرائيليات ما ذكره الثعلبي والبغوي والقرطبي والزمخشري والآلوسي حول ألواح موسى عليه السلام. فمرة هي من خشب وتارة من زبرجد وتارة من صخر وقالوا كانت الألواح عشرة أذرع على طول موسى. وقيل نزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يُقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى.

فكل هذه الروايات المتضاربة التي يردّ بعضها بعضاً، إنما هي من الإسرائيليات ولا تعود لرسول الله ﷺ.

❖ ومن الإسرائيليات ما ورد عن سفينة نوح وقد جاءت هذه الإسرائيليات في تفسير الطبري والسيوطي، فأوردت من أي خشب صنعت وما طولها وعرضها وارتفاعها وكيف كانت طبقاتها، ورووا أن سفينة نوح كان لها أجنحة وتحت الأجنحة إيوان. وذكروا أن طول السفينة كان 300 ذراع وعرضها كان خمسين ذراعاً. وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً. ومن رواياتهم أن الأسد الذي كان على السفينة عطس فخرج من منخره سنوران ذكر وأنثى وأن الفيل عطس فخرج من أنفه خنزيران ذكر وأنثى.

وما يروى أيضاً أن السفينة لما رست على الجودي كان يوم عاشوراء فصام نوح وصام معه كل من وما معه في السفينة من بشر وحيوان وحشرة. وهذه الخرافات ابتدعها اليهود منذ ما قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام نشرها أهل الكتاب الذين أسلموا بين المسلمين ونسبوا بعضها إلى النبي ﷺ زوراً وبهتاناً ودساً وكيداً للإسلام ونبيّه.

❖ ومما لفقه اليهود من إسرائيليات ما يتعلق بالنبي يوسف عليه السلام. فقد رووا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل في هم يوسف (وهم بها) قال: حل الهميان ـ السراويل وجلس منها مجلس الخائن فصيح به يا يوسف لا تكن كالطير له ريش فإذا زنى قعد ليس له ريش. ورووا أن البرهان الذي رآه يوسف أنه رأى صورة يعقوب أبيه في الحائط وقيل في سقف الحجرة وأنه رآه عاضاً على إبهامه.

وكل الروايات المشينة التي ألصقوها بالنبي يوسف ﷺ ينقضها القرآن الكريم من خلال آياته في سورة يوسف.

لقد ذكر هذه الروايات المأخوذة عن اليهود كثير من المفسرين كالطبري والثعلبي والبغوي وابن كثير والسيوطي.

أما التفسير الصحيح لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ [يوسف 24]. فالكلام من قبيل التقديم والتأخير. التقدير ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها. ولولا حرف امتناع لوجود أي امتناع الجواب بالوجود الشرط. فيكون الهم ممتنعاً لوجود البرهان. وقال بعض السلف الصالح وعلى رأسهم الإمام جعفر الصادق ﷺ: البرهان هو النبوة التي أودعها الله في صدر يوسف حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل.

❖ ومن الإسرائيليات ما أحيط من هالة وخرافة حول شخصية بختنصر الذي غزا بني إسرائيل وأخذ قسماً كبيراً منهم في السبي البابلي، فقد نُقل عن المخبرين اليهود أن بختنصر قتل على دم زكريا سبعين ألفاً ثم سبى أهلها وسلب حلي بيت المقدس واستخرج منها سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة من حلي حتى أوردها بابل. قال حذيفة: فقلت يارسول الله! لقد كان بيت المقدس عظيماً عند الله قال: أجل بناه سليمان بن داود من ذهب ودر وياقوت وزبرجد وكان بلاطه من ذهب.

وهذا الكلام ليس صحيحاً وفيه من الكذب على رسول الله ﷺ الكثير الكثير.

❖ ومن الإسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل 44].

فقد ذكر ابن جرير والثعلبي والبغوي والخازن وغيرهم: أن سليمان أراد أن يتزوجها فقيل إن رجليها كحافر الحمار وهي شعراء الساقين، فأمرهم فبنوا له هذا القصر على هذه الصفة فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها لتخوضه فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس قدماً وساقاً إلا أنها كانت شعراء الساقين فكره ذلك.

وقد قال ابن كثير في تفسيره: والأقرب في هذه السياقات أنها متلقاة من أهل الكتاب

مما وجد في صحفهم كرواية كعب ووهب.

❖ ومنها أيضاً ما ذكروه عن هدية ملكة سبأ، فقال البغوي أهدت إليه وُصفاء ووصائف ألبستهم لباساً واحداً كي لا يعرف الذكر من الأنثى. وقال وهب وغيره عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الغلمان لباس الجواري وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب. وبعد ذلك قالت ملكة سبأ لسليمان. إن كنت نبياً فميِّز لي بين الوصائف والوصفاء. وكل ذلك من الإسرائيليات وليس في الحقيقة من شيء.

❖ ومن أمثال ذلك ما رووه عن النبي إلياس والنبي داود وكذلك النبي سليمان والنبي أيوب. وكل ما رووه يشوِّه سيرة هؤلاء الأنبياء ويصنع حولهم الخرافات والخزعبلات، وخاصة ما لفقوه على داود عليه السلام من أنه قتل قائداً من قادة جيشه ليحظى بامرأته وما لفقوه عن سليمان بأنه صنع لزوجاته الألف معابد وثنية لهن، ونسي عبادة ربه بعد أن أمالت نساؤه قلبه إلى الوثنية.

إسرائيليات مصدرها أحاديث وخرافات أهل الكتاب وليس مصدرها التوراة

ليس مصدر الإسرائيليات كتاب التوراة وحده أو شروحه في كتاب التلمود، فهناك من القصص والحكايا والخرافات والأساطير بثها بعض اليهود في التراث الشعبي العربي الإسلامي وصارت مع الزمن تدخل في الجانب الديني وخاصة القصص القرآني، حتى ليغفل القارئ البسيط عن ذلك التناقض الجوهري بين الإسلام وبين تلك القصص والخرافات.

ولعل أكثر من أورد هذه الخرافات وجعلها في صلب التراث الإسلامي الثعلبي النيسابوري في كتابه المسمى (عرائس المروج).

❖ فمن ذلك ما وضعه زنادقة أهل الكتاب على النبي ﷺ من خرافات في خلق بعض أنواع الحيوانات التي زعموا أنها مسخت. ولو أن هذه الخرافات نُسبت إلى كعب الأحبار وأمثاله أو إلى بعض الصحابة والتابعين لهان الأمر ولكن عظم الإثم أن يُنسب ذلك إلى الرسول المعصوم ﷺ.

أوردوا حديثاً عن علي ﷺ أن النبي سئل عن المسوخ فقال: هم ثلاثة عشر، الفيل والدب والخنزير والقرد والجريث (نوع من السمك) والضب والوطواط والعقرب والدعموص والعنكبوت والأرنب وسهيل والزهرة. فقيل يا رسول الله! وما سبب مسخها فجاء التخريف والكذب في الجواب الذي نسبوه إلى رسول الله ﷺ زوراً وبهتاناً فقال: فأما الفيل فكان رجلاً جباراً لوطياً لا يدع رطباً ولا يابساً. وأما الدب فكان مؤنثاً يدعو الناس إلى نفسه، وأما الخنزير فكان من النصارى الذين سألوا المائدة، وأما القردة فيهود اعتدوا في السبت...

ويتابع الحديث الكذب حتى يصل إلى منتهاه في تفسير مسخ هذه المخلوقات وقد أورد ذلك السيوطي من غير سند ولم يعقب عليه بكلمة استنكار واحدة وقد ذكره السيوطي في كتابه اللآلئ.

❖ ومن الإسرائيليات ما قيل في عظم خلق الجبارين وخرافة عوج بن عناق، وقد

توقف بعض المفسرين عند قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا ﴾ [المائدة 22].

فقد ذكر السيوطي وصفاً لهؤلاء الجبارين هو أقرب إلى الخرافة. ومنه مثلاً أن سبعين رجلاً من قوم موسى استظلوا في خف رجل من العماليق. وما روي من أن ضبعاً وأولادها كانت رابضة في عين أحد هؤلاء العماليق.

❖ ومن الإسرائيليات الظاهرة البطلان، ما قالوه عن عوج بن عناق فقالوا: إن طوله كان ثلاثة آلاف ذراع وأنه كان يمسك الحوت فيشويه في عين الشمس، وأن طوفان نوح لم يصل إلى ركبتيه، وأنه امتنع من ركوب السفينة مع نوح وأن موسى كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع ووثب في الهواء عشرة أذرع فأصاب كعب عوج فقتله.

وواضح من خلال هذا الكلام المضحك المتناقض كم وصلت الخرافة في أذهان بعض الجاهلين؛ فكيف يمكن أن يكون عوج قد عاش زمن نوح ثم ظل حياً إلى زمن موسى، ثم إن السفينة - أي سفينة نوح - لا يمكن أن تستوعب هذا العملاق وهو أكبر منها بعشرات المرات، ثم إن الطوفان أتى على كل شيء حتى ابن نوح غرق ولم يستطع أن ينقذ نفسه. وقد روى ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره. وانتقد هذه الخرافات ابن كثير فقال معلقاً: وهذا شيء يُستَحى من ذكره ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين، ويقول ابن القيم: فكل ذلك من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسل وأتباعهم.

❖ ومن الإسرائيليات ما أوردوه عن ذي القرنين، ووقفوا عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [الكهف 83-84].

فقد ذكر ابن جرير عن وهب بن منبه اليماني وكان له علم بالأحاديث الأولى أنه يقول: ذو القرنين رجل من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الإسكندر وسمي بذي القرنين لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس.

وعند ذكرهم ليأجوج ومأجوج أوردوا من الخرافات الكثير. ومنها أن كل خمسة

منهم يجلسون تحت نبتة حمّص، وأن الواحد منهم يمد أذنه ليفترشها بساطاً تحته أو يمده فتصبح عريشاً تقيه حر الشمس، وقد بالغوا بوصف السد الذي بناه ذو القرنين حتى أصبح من الخوارق والخرافات التي لا يقبلها عقل.

❖ ومما ورد في كتاب الثعلبي حول هبوط إبليس إلى الأرض قوله: أنزل إبليس من السماء عليه عمامة ليس تحت ذقنه منها شيء أعور في إحدى رجليه نعل. ويقول الثعلبي: روى حماد عن ثابت وحميد عن عبدالله بن عبيد بن عمير أن إبليس قال: يا رب لعنتني وأخرجتني من الجنة وجعلتني شيطاناً رجيماً مذموماً مدحوراً وبعثت في بني آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلي؟ قال: الكهنة. قال: فما كتبي؟ قال: الوشم. قال: فما حديثي؟ قال: حديثك الكذب. قال: فما قراءتي؟ قال: قراءتك الشعر. قال: فما مؤذني؟ قال: مؤذنك المزمار. قال: فما مسجدي؟ قال: مسجدك السوق. قال: فما بيتي؟ قال: بيتك الحمام. قال: فما طعامي. قال: طعامك ما لم يذكر اسمي عليه. قال: فما شرابي؟ قال: شرابك كل مسكر. قال: فما مصايدي؟ قال: مصايدك النساء.

ولاحظ معي ماذا قال الثعلبي: روى مقاتل وجويبر عن الضحاك عن ابن عباس أن إبليس لما خرج من الجنة ألقى الله عليه الخرقة والغلمة فنكح نفسه فباض أربع بيضات فمنها ذريته.

فكم من الهراء والخرافات لحقت ما يرويه الثعلبي.

وذكر الثعلبي أموراً أخذت من التوراة تارة ومن الخرافات تارة أخرى، فقال قال عطاء: ودعا نوح على حام أن لا يعدو شعر ولده آذانهم وحيثما كان ولده يكونون عبيداً لولد سام ويافث.

❖ وفيما رواه في قوم هود قوله: قال أبو حمزة اليماني كان طول كل رجل منهم سبعين ذراعاً. وقال الكلبي: كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعاً. وقال وهب ابن منبه كان رأس أحدهم كالقبة العظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع.

❖ ومن ذلك ما لفقوه على الأنبياء فقال وهب بن منبه: أوحى الله تعالى إلى يعقوب. أتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة؟ قال: لا يا إلهي! قال: لأنك شويت عناقاً وقتّرت على جارك وأكلت ولم تطعمه. ويقال: إن سبب ابتلاء

يعقوب بفقد يوسف أنه كان له بقرة ولد لها عجل فذبح عجلها بين يديها وكانت تخور فلم يرحمها يعقوب فأخذه الله بذلك فابتلاه بفقد أعز ولد إليه .

❖ وقد ذكر الثعلبي في كتابه عرائس المروج أبواباً ، في كل باب حديث عن مسألة من مسائل الخلق . فتحدث عن صفة خلق الأرض ، وفيه بدء خلق الأرض وكيفيتها ثم في حدودها ومسافتها وأطباقها وسكانها ، ثم ذكر الأيام التي خلق الله فيها الأرض ، ثم جعل باباً في ذكر ما زين الله به الأرض ، وفي عاقبتها وآخر حالها ، ثم تحدث عن خلق السماوات والأرض وهيئتها وأجناسها وحدودها ثم ذكر الأيام التي خُلق بها الأنبياء ، ثم ما زُينت به السماء ثم تحدث عن خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما .

❖ ومن خرافات ما قاله : إن الأرض ركبت على قرني ثور فإذا نقلها من قرن لقرن أحدث فيها الزلازل والبراكين وما إلى ذلك مما يخالف القرآن الكريم والحديث الصحيح والعقل .

الفصل السابع

التحريف التوراتي تحت المجهر

لم يلتصق مفهوم التحريف والتبديل بأمة أو فئة مثلما التصق ببني إسرائيل. ويبدو أن ذلك التصق بهم منذ بدء وجودهم فأصبح من سماتهم النفسية والشخصية والعقيدية فقد تعودوا التحريف كما تعودوا الانقلاب المفاجئ على الدين والأنبياء، وليس غريباً عليهم أن يكون ديدنهم التحريف المستمر، لأنهم جبلوا على التقلب العقيدي منذ خروجهم مع النبي موسى عليه السلام من مصر إلى سيناء.

فهم الذين طلبوا منه أن يجعل لهم إلهاً كما جعلت الشعوب لها آلهة، وهم الذين انقلبوا إلى عبادة العجل أثناء غياب موسى عليه السلام لتلقي رسالة الله، وهم الذين يئس النبي موسى منهم آخر المطاف فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة 25]. وكان ذلك نهاية العلاقة بين النبي موسى وأخيه وبين بني إسرائيل. فتاهوا بعدها تيهاً عقيدياً قبل أن يتيهوا تيهاً جغرافياً وضياعاً.

وإذا سرنا مع سيرة بني إسرائيل بدءاً من سورة البقرة وجدنا أن تبديل القول والتحريف من قبلهم أخذ أقصى مداه.

وأول الآيات التي تطالعنا بهذا التبديل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ۝ ﴾ [البقرة 58-59].

وقد تكررت معاني هذه الآية وأغلب ألفاظها في سورة الأعراف بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأعراف 161–162]. فالسياق واحد والاختلاف وقع في كلمتي (أرسلنا ـ أنزلنا) وفي كلمتي (يظلمون ـ يفسقون) لقد بدلوا ما أمروا به من التوبة والاستغفار بغيره من كلام آخر فقالوا مكان حطة حنطة، وكذا بدلوا الفعل فدخلوا يقتلون ويمكرون بدل أن يدخلوا منحنين خاضعين.

ولا منافاة بين أرسلنا وأنزلنا لأنهما لا يكونان إلا من الأعلى إلى الأسفل، وهناك يفسقون وهنا يظلمون، والجمع بين اللفظين أنهم لما ظلموا أنفسهم بما غيروا وبدلوا وفسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله أنزل الله عليهم العذاب متفرقاً ثم دفعة واحدة.

ثم يأتي التحريف وهو أشد جرماً من التبديل لما فيه من مسّ في العقيدة والتشريع وقد جاء مصطلح التحريف في قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء 46].

وقوله تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [المائدة 13]

وقد اتخذ التحريف في بني إسرائيل عدة طرق وعدة مقاصد.

فقد حرفوا العقيدة، وفي الحديث في قصة الخلق، وفي الحديث عن الأنبياء وحرفوا في التشريع والمعاملات والعبادات والعلاقات مع غيرهم.

وطالما أن التوراة ظلت تنزل على أنبيائهم مئات السنين فإن التحريف أيضاً ظل ملاصقاً بهم مئات السنين. وجاء التحريف الأكبر على يد عزرا الكاتب الذي دوّن هذه التوراة العبرانية نقلاً عن كبار رجال الكهنوت اليهودي بما حفظوه وتوهموه وحلموا به.

ومن المعروف أن تدوين التوراة تم على يد عزرا في منتصف القرن السادس قبل الميلاد على رأي غالبية الدارسين والمؤرخين وهذا يعني أنه تم التدوين بعد موسى عليه السلام بحوالي ثمانمائة سنة على أقل تقدير.

وإذا تفحصنا آيات القرآن الكريم الخاصة بالحديث عن تحريف بني إسرائيل لكتاب الله وجدنا أنهم تنقسم إلى قسمين :

1 ـ قسم ذو طبيعة إخبارية ، يخبر به الله عز وجل نبينا محمداً ﷺ عما فعلوه من تحريف في الماضي .

2 ـ وقسم ذو طبيعة آنية ؛ بمعنى أنه ارتبط بالجدال والحوار بين النبي ﷺ وبين أهل الكتاب في المدينة .

فقد غيروا في صفات النبي ﷺ وهذه الصفات موجودة في كتاب موسى عليه السلام وفي التوراة ، وقد نسوا حظاً مما ذكروا به ، وقد تركوا نصيباً وافياً من كتاب موسى والتوراة ، وإعراضهم عن ذلك ضياع حظ عظيم . لقد نسوا كثيراً من أحكام التوراة وآياتها بسبب سوء أعمالهم . تركوا نصيبهم مما أمروا به من الإيمان بالنبي ﷺ .

وقد تقصدوا نسيان حظهم ، فنسيانهم هو ترك الشيء بذهول وغفلة أو بتعمد وقصد وقد نسوا عن قصد وعمد وليس عن غفلة .

وقد بين الله سبحانه ذلك في قوله : ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ وهذا الخطاب للنبي محمد ﷺ ، إذ يقول تعالى : إن الخيانة من طبيعتهم وطبيعة أسلافهم لقد كانوا يخونون رسلهم وهؤلاء يخونونك ويهمون بالفتك بك .

ثم يأتي قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ [البقرة 75] ويتضح أن فريقاً من هؤلاء هم المعنيون بتحريف كلام الله ، وهذا الفريق يتسم بأنه مسؤول عن سماع كلام الله ومن ثم تحريفه . والواقع أنه ليس بمقدور أحد من العامة أن يجرؤ على التحريف ، وأكثر الناس قدرة وميلاً للتحريف هم زعماؤهم الدينيين من الكهان والحاخامات والأحبار .

ثم يأتي قوله تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة 41] .

فهاتان الآيتان تشيران إلى أن الفريق الذي كان يسمع كلام الله ثم يحرفه هم الأحبار القادرون على اللعب بكلام التوراة وتحريفه .

وفي أسباب النزول في قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ يتضح مدى فسادهم في تحريف التشريعات التوراتية.

وقد جاءت الآية في سياق قوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة 41].

ولهذا قصة وسبب حيث أن جماعة يهودية من بني قريظة سألوا رسول الله ﷺ عن حكم الزاني والزانية إذا كان محصنين، وكانوا قد كلفوا من قبل يهود خيبر بهذا السؤال حيث زنى فيهم محصنان، ولم يأتوا إليه ﷺ (أي أن خيبر لم يأتوا له) فبعثوا جماعة من يهود قريظة. وكان يهود خيبر وعلى رأسهم أحبارهم قد حرفوا آية الرجم وغيرها من الأحكام الموجودة في التوراة.

وقد نبه الأحبار وفدَ يهود قريظة بقولهم إن أوتيتم الحكم الذي يناسبنا فخذوه وهو الجلد بدل الرجم، وإن لم تؤتوه، أي إن أفتاكم بغيره فلا تقبلوه.

وقد أمر الرسول ﷺ بالرجم فأبوا فجعل ابن صوريا وهو من علماء اليهود المعظمين عندهم حكماً بينه وبينهم وقال له، أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون، والذي أنزل عليكم كتابه حلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من أحصن؟ قال: نعم. فوثبوا عليه فقال: خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما عند باب المسجد ونزلت الآية الكريمة تبين ما بيتوه من مكر وخديعة وكشفت نواياهم الخبيثة.

وقد أقام رسول الله ﷺ الحد على الزانيين حين ترافعوا إليه ولو لم يترافعوا إليه لما تعرض لهم بالحكم عليهما.

ثـم يـأتي قولـه تعـالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [البقرة 75] فهـذا الخطـاب موجـه للنبـي محمـد ﷺ وأصحابـه ، والاستفهام إنكـاري أو استبعادي . وقـد وجـه الله سبحانه هذا الخطاب للأمة تحذيراً لها من أن تقع في حبال اليهود وشـراكهم . فـلا تطمعـوا أن يصدقوكم أو يؤمنوا لكم ويتبعوا دينكم لأن فيهم فريقاً ـ وهم الأحبار ـ كانوا قد قـرأوا كتاب موسى والتوراة وعقلـوه وفهمـوه ولكنهـم حرفـوه وخاصـة في صفـة النبـي ﷺ وآيـة الرجم . وكانوا يكتبون من تحريفـاتهـم أكحـل العـين ، أزرق العـين ، أجعـد الشـعر ، سبط الشعر ، ربعة ، حسن الوجه طويل .

فإذا كان أحبار اليهود بهذه الصفة فكيف تتوقعون إيمان سـفلتهم وجهّـالهم ، وإنهـم إن كفروا فلهم سابقة في ذلك .

بعد أن ظهر لنا من القرآن الكريم كيف أن عادة التحريف والتبديل قد التصقت ببنـي إسرائيل نعود إلى ما قاله أحد حاخاماتهم وهو السموأل بن يحيى المغربي في كتابه المسـمى (غاية المقصود في الرد على اليهود) وهو أحد أحبارهم وقـد هـداه الله للإسـلام . فقـد بـين الكثير من تحريفاتهم التي أجروها ، إن كان ذلك في التشريع أو العبادات .

التحريف فيما يقال في الصلاة عند اليهود

يقول السموأل: ما تقولون في صلواتكم وأصوامكم؟ هل هي التي فارقكم عليها موسى صلى الله عليه وسلم فإن قالوا: نعم، قلنا: فهل كان موسى وأمته يقولون في صلواتهم كما تقولون؟

(تقلع شوفار كادول لخير وثينوا وسانيس لفنو صيينوا وقبصتنو نلخد ميئار باع كنفوت ها أرض النوى قد شيحنا باروخ إثا أدوناي مقبيص نزحى عمو يسرايل).

وتفسيره: "اللهم اضرب ببوق عظيم لعتقنا واقبضنا جميعاً من أقطار الأرض إلى قدسك. سبحانك يا جامع تشتيت قومه إسرائيل".

أم هل كانوا يقولون على عهد موسى عليه السلام كما يقولون في كل يوم: (هاشيت شو فطينوا كبار يشونا يو عصينو لبتحلا ويني إث يروشالايم عبر قدشيخا يحيينوونا حمينو بنيا نماه باروخ أثا أذوناي بوني يرشالايم).

وتفسيره: "اردد حكامنا كالأولين ومشيرينا كالابتداء وابن يروشلايم قرية قدسك في أيامنا وأعزنا ببنائها. سبحانك يا باني يورشلايم".

أم هذه فصول شاهدة بأنكم لفقتموها بعد زوال الدولة.

فتغير الكلام وتبديله طرأ في صلاة اليهود بعد السبي البابلي في منتصف القرن السادس ق.م ودليل السموأل هنا واضح على التحريف والنسخ. فالقول الأول عبارة عن دعاء يهودي قيل في صلواتهم أيام السبي، ومضمونه الطلب من الله أن يعتقهم من الأسر والعبودية ويجمعهم بعد أن شتتهم البابليون، ويدعون ربهم أن يعيدهم مجتمعين في (أورشاليم) القدس.

أما النص الثاني الذي أورده السموأل وقال إنه منسوب إلى موسى عليه السلام ويقوله اليهود في صلواتهم، فالواقع أن النبي موسى عليه السلام لم يدخل الأرض المقدسة ولم يدخل القدس، وقد توفاه الله سبحانه قبل أن يتسرب بنو إسرائيل إلى فلسطين وهذا ما ورد في التوراة وأشار إليه القرآن الكريم بوضوح.

ويشير السموأل إلى تحريف في أوامر العبادات ومنها الصوم.

فعندهم ما يسمى صوم إحراق بيت المقدس وصوم حصاره، وصوم كذليا.

فيقول في ذلك: أما صوم إحراق بيت المقدس وصوم حصاره وصوم كذليا الذي جعلتموه فرضاً، هل كان موسى يصومها، أو أمر بها هو أو خليفته يوشع بن نون، أو صوم صلب هامان هل هذه الأمور مفترضة في التوراة أو زيدت لأسباب اقتضت زيادتها في هذه الأعصار؟ فإن قالوا: وكيف يلزمنا النسخ بهذا الأمر؟ قلنا: لأن التوراة نطقت بهذه الآية: (لوتو سيفو على هدايار أشير انوحي مصوي ايميم ولو تعرعو ممينو) والتي تنص بقولها "لا تزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئاً ولا تنقصوا منه شيئاً وإذا زدتم أشياء من الفرائض فقد نسختم تلك الآية".

وقد فرض اليهود صوماً إثر صوم بعد أن نزل على موسى عليه السلام الكتاب وبعد أن نزلت التوراة. ففي أيام النبي زكريا فرضوا أصواماً في الشهر الرابع والخامس والسابع والعاشر تذكاراً لحصار أورشليم في الشهر العاشر وسقوطها في الشهر الرابع وخرابها في الخامس، ومقتل جدليا واليهود الذين كانوا معه في الشهر السابع، وسبب مقتله أنه وُجد مع امرأة زانية فقتلا معاً.

ويذكر السموأل سبب التبديل والتحريف في التوراة فيقول: علماؤهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم، لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم أنها المنزلة على موسى البتة، لأن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل ولم يبثها فيهم وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد لاوي، ودليل ذلك قوله التوراة: (ويحتوب موش إث هتورا هزوث وتيناه إلهكو هنيم بني ليوي) وتفسيره: فهذه السورة لما قال الله عنها إنها لا تنسى من أفواه أولادهم، دل ذلك على أن الله علم أن غيرها من السور تُنسى. وأيضاً فإن هذا دليل على أن موسى لم يعط بني إسرائيل من التوراة إلا هذه السورة. فأما بقية التوراة فدفعها إلى أولاد هارون وجعلها فيهم وصانها عن سواهم. وهؤلاء الأئمة الهارونيون الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها قتلهم بخت نصّر على دم واحد يوم فتح بيت المقدس ولم يكن حفظ التوراة فرضاً ولا سنة بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة فلما رأى عزرا أن القوم قد أُحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته ومن الفصول التي تحفظها الكهنة ما لفق منه

هذه التوراة التي بأيديهم ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة، وزعموا أن النور إلى الآن يظهر على قبره الذي عند بطائح العراق؛ لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ دينهم. فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليس كتاب الله، وهذا يدل على أنه ـ أعني الذي جمع الفصول التي بأيديهم ـ رجل فارغ جاهل بالصفات الإلهية. فلذلك نسب إلى الله تعالى صفات التجسيم والندامة على ماضي أفعاله والإقلاع عن مثلها.

التحريف والتبديل في صفة النبي المنتظر

لعل من أهم ما حرّفه أهل الكتاب صفات النبي المنتظر التي وردت في التوراة وكذلك في الإنجيل. وأشار إلى تحريفهم فيها القرآن الكريم في عدد من الآيات الكريمة.

وحتى نكون على بينة من أمر ذلك التحريف آثرنا العودة إلى نصوص التوراة والإنجيل وما أشارت إليه من صفات النبي المنتظر وما أكده بعض أحبار اليهود والدارسين في العهد القديم.

فما بين الأنبياء صلات ليست كما هي الصلة بين بقية البشر، فهؤلاء الذين اصطفاهم الله لتبليغ دعوته ارتبطوا فيما بينهم بروابط غير مادية أو بشرية وأهمها أن الله سبحانه سمّاهم الأنبياء وربط بينهم في العقيدة والسلوك وطريقة التبليغ، لكن الله سبحانه بعث الأنبياء قبل الرسالة الخاتمة لأقوامهم تحديداً، فزمن النبي موسى ومكان ومساحة دعوته غير زمن داود أو سليمان أو صالح أو هود، وغير المكان والمساحة المكانية التي انتشرت فيها دعوتهم. وقد حدد القرآن الكريم أمكنة وجود هؤلاء الأنبياء أو أشار إلى حيثيات مكانية توضح البيئة المكانية المحددة التي تجولوا فيها داعين إلى الله سبحانه وتعالى وعبر سلسلة هؤلاء الأنبياء برز لنا النبي إبراهيم عليه السلام كواحد من الأنبياء، كلف برسالة إنسانية تجاوزت الزمان الواحد والمكان الواحد، لذلك تنقل من الأرض المباركة - فلسطين - إلى الجزيرة العربية وكان في الأساس قد انتقل بأمر ربه ووحيه من أرضه ووطنه الأساسي في أور العراق إلى الأرض المباركة.

ولذلك وصفه سبحانه بأنه إمام وأنه أمة. وكانت دعوته للناس كافة وليست لقوم دون قوم.

وما بين عصر النبي إبراهيم عليه السلام وعصر محمد رسول الله ﷺ أزمان طويلة ومتباعدة تخللها وجود أنبياء مرسلين، بعثوا لأقوامهم حتى تظل وتيرة دين التوحيد حيّة في الأرض وبين الناس.

لقد قص الله سبحانه علينا أخبار هؤلاء الأنبياء في قرآنه الكريم، فعرفنا إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف، وعرفنا موسى وداود وسليمان وإلياس وزكريا ويحيى

والمسيح عليهم السلام، وقص علينا القرآن قصص أنبياء آخرين كهود وصالح وشعيب ويونس وغيرهم، وعرفنا أن الله سبحانه آتى موسى كتاباً وكذلك عيسى آتاه الله الإنجيل وكذا داود آتاه زبوراً، وسار بقية الأنبياء على المنهج الرباني الذي اختاره لهم، وظلوا في دائرة تبليغ الدعوة الخاصة بأقوامهم. ولعل في ذلك سراً إلهياً حيث أراد الله سبحانه أن يختم هؤلاء الأنبياء بنبي عالمي إنساني ينسخ ما قبله ويوحد الأقوام والشعوب على دين إسلامي كامل متكامل لا يعود للإنسانية حاجة إلى كتاب أو رسالة بعده.

فهذا هو القرآن الكريم جمع الأول والآخر، الماضي والمستقبل، ولم ينقص فيه شيء، فهو دستور شامل متكامل للإنسانية جمعاء، وكذا رسالة الإسلام وكذا نبي الرحمة الإنسانية العالمية محمد ﷺ.

ولهذا فإن ما يلفت النظر في دعوة الأنبياء ما قبل رسولنا الكريم أنهم دوماً بشروا بنبي قادم مع الأزمان مهمته أوسع من مهماتهم ودعوته أشمل وأعم وأكمل. وأجمع هؤلاء الأنبياء وخاصة أنبياء بني إسرائيل على دعوة قومهم باتباع ذلك النبي ورسخت هذه الفكرة منذ زمن بعيد جداً في أذهان تلك الأقوام التي بُعث الأنبياء لهم، وظلت القلوب والعيون والعقول تنتظر النبي القادم الذي يختم به الله النبوات، ويكمل به كافة العقائد التي ارتبطت بالسماء، وأصبحت سمة الانتظار ظاهرة متواصلة خاصة عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى لأنهم على صلة بما سمعوه من أنبيائهم وبما دوّن في الكتب السماوية التي أنزلت على موسى وعيسى وداود وأنبياء بني إسرائيل.

وعندما نطالع آيات القرآن الكريم وكذلك بعض نصوص التوراة والإنجيل وبعض ما قاله أنبياء بني إسرائيل، نرى أن هناك حالة عامة من الانتظار تسيطر على عقول تلك الأقوام وأصحاب تلك العقائد. ولم تقتصر حالة الانتظار على زمن دون زمن بل تعدت القرون حتى وُجد اليوم من يؤمن بأن المسيح الجديد هو المنتظر وأنه سيأتي إلى الأرض ويقود معركة ضد الكفار ويحكم ألف سنة سعيدة ويجلس على عرش داود في القدس وما إلى ذلك من قضايا تتعلق بهذا الانتظار الذي طال أمده.

وحين نحلل هذه الظاهرة نخلص بنتيجة مفادها أن بني إسرائيل لم ولن يقتنعوا بما أتى به الأنبياء جمعياً، وظلوا يتطاولون بأقوالهم وسلوكهم على الأنبياء الذين بعثهم الله لهدايتهم وإنقاذهم من ضلالهم، ويشككون بهم ويتهمونهم بالنقص، لم يُرضهم

موسى ولا داود ولا سليمان ولا عيسى عليهم السلام، وظلوا يخترعون العراقيل في طريق هؤلاء الأنبياء ظناً منهم أن المخلص الحقيقي لما هم فيه لم يأت بعد، وأن هؤلاء الأنبياء عاجزون عن تحقيق خلاصهم الكلي. فلذلك استمروا في تعجيز الأنبياء، فطلبوا من موسى أن يروا الله جهرة، ومن عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء، وقد بلغ بهم الأمر أن شككوا بكل أقوال أنبيائهم وأفعالهم ولن يرضوا عنهم حتى يبينوا صفات النبي المنتظر الذي يقودهم إلى تحقيق غاياتهم، وأهمها السيطرة على البشر واستعبادهم، هكذا انتظروا وهكذا ينتظرون، لكن الله سبحانه يريد أمراً غير الذي يريدون. وهو أمر مناقض لأهوائهم وأمنياتهم الخسيسة والعنصرية.

النَّبيّ المنتظر في كتاب موسى

جاء في سفر التثنية وهو السفر الخامس من أسفار موسى عليه السلام حسب ترتيب التوراة العبرانية وكذلك السامرية أن الله قال لموسى عليه السلام:

(قل لبني إسرائيل إني أقيم لهم آخر الزمان نبياً مثلك من بني إخوتهم) وكل نبي بُعث بعد موسى كان من بني إسرائيل وآخرهم عيسى عليه السلام فلم يبق من بني إخوتهم إلا النبي محمد ﷺ لأنه من ولد إسماعيل، وإسماعيل أخو إسحق وإسحق جد بني إسرائيل.

فكلمة من بني إخوتهم تعني من إخوة بني إسرائيل، ثم إن كلمة آخر الزمان تعني ختم النبوة وليس آخر حياة البشر على الأرض. فداود وسليمان وإلياس وعيسى عليهم السلام لا تنطبق عليهم عبارة آخر الزمان، فهم في سلسلة متلاحقة من النبوة، وكل نبي بشَّر بالنبي القادم آخر الزمان، أي آخر زمان النبوات.

والواقع أن بني إسرائيل ومنذ تلك اللحظة ظلوا يعيشون هاجس النبي القادم، وكلما جاء نبي حاولوا أن يتبينوا هل هو النبي المنتظر الذي أشار له كتاب موسى أم هو غيره. لقد قالت التوراة عند وفاة النبي موسى وفي آخر سفر من الأسفار الخمسة: لم يعرف بنو إسرائيل نبياً مثل موسى.

لقد وصفوا النبي داود بالملك ولم يطلقوا عليه اسم النبي وأطلقوا على النبي سليمان الحكيم ولم يطلقوا عليه اسم النبي، وعندما بعث المسيح عليه السلام كذبوه ولم يعترفوا بنبوته على الرغم من أن بعضهم اعتقد أن عيسى هو المسيح المنتظر. لكنه لما خالف أهواءهم ووقف منهم ومن مصالحهم موقف المعادي رفضوه وحاربوه ولاحقوه وكادوا يقتلونه لولا رفعه الله إليه.

وانقضى عهد موسى وظلت فكرة الانتظار تشدهم نحو القادم الآخر الذي سيأتي محققاً حسب ظنهم كل أطماعهم ومصالحهم وسائراً في طريقهم المنحرف.

ومن العلامات التي أشارت لها التوراة والتي تنطبق على النبي محمد ﷺ قولها: (وجاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ قدماً من جبل فاران وجاء معه عشرة آلاف قديس ومن يده اليمنى برزت نار شريعة لهم) وفاران هي جبال مكة بإجماع كافة

العلماء وخاصة كهنة بني إسرائيل.

وفي تحريفهم لذلك فقد أوردوا في سفر التكوين أن إبراهيم أخذ زوجته هاجر وابنه إسماعيل من الخليل باتجاه الجنوب وتدعي أنه وضعها عند بئر السبع بالقرب من جبال فاران.

ومن المسلمات التاريخية والمُجمع عليها أن مكان إسماعيل وأمه في مكة. وقد أشار إلى ذلك القرآن ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم 37] لكن كتبة التوراة وبسبب مكرهم وخبث نواياهم أبعدوا عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أي علاقة ببناء الكعبة ظناً منهم أنهم سيحتكرون النبوة ويقصرونها عليهم، وبنفيهم هذه العلاقة فقد حرفوا في تحديد جبال فاران وادعوا أنها في بئر السبع، فهم لا يريدون أن يظهر نبي آخر الزمان في قوم غيرهم ليظلوا حسب ظنونهم أصحاب النبوات والرسالات.

وقد حاول بعض منظري الكهنوت المسيحي أن يطبقوا هذه النبوءة على السيد المسيح لكنهم فشلوا بسبب ما فيها من تحديد للأمكنة بعينها وكذلك الأشخاص.

وعودة إلى النبوءة التوراتية فإننا نرى فيها أكثر من إشارة، وقد أشرنا إلى العلامة الأولى وهي جبال فاران. أما الإشارة الثانية فقول النبوءة: وجاء معه عشرة آلاف قديس فهي إشارة إلى قدوم النبي ﷺ على رأس جيش المسلمين المؤلف من عشرة آلاف مسلم حين فتحوا مكة. أما الإشارة الثالثة فهي قول النبوءة: ومن يده اليمنى برزت نار شريعة لهم. وهي تقصد رسالة القرآن والإسلام وتحطيم الأصنام وعقائد الوثنية في مكة وخاصة في البيت الحرام.

وقد أكدت هذه النبوءة التوراتية نبوءة أخرى جاءت على لسان أحد أنبياء التوراة وهو النبي حبقوق حيث يقول: القدوس من جبل فاران. جلاله غطى السماء والأرض امتلأت بحمده وتسبيحه.

النبي المنتظر في أقوال المسيح عليه السلام

ظل اليهود ينتظرون حتى بعث الله المسيح فظن بعضهم أنه النبي المنتظر. لكن المسيح عليه السلام أشار صراحة إلى أنه ليس النبي المنتظر إنما ذاك النبي له سمات وصفات مختلفة، جاء في الإنجيل قول للسيد المسيح ما نصه عن النبي المنتظر (سوف لا يتحدث عن نفسه لكنه يعيد على الناس ما سمعه) وهذه النبوءة تتطابق في معناها مع قوله تعالى عن النبي محمد ﷺ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم 3-4].

لقد أدرك أهل الكتاب أن النبي المنتظر هو محمد ﷺ عندما بعثه الله، خاصة اليهود الذين ساكنوا الأوس والخزرج في المدينة، وقد عرفوا صفاته من خلال كتبهم وأدركوا أن الذي قاله النبي موسى بشأن النبي المنتظر وكذلك عيسى هو حق لا سبيل لنكرانه.

ماذا يقول القرآن الكريم بشأن النبي المنتظر؟

لا شك أن البحث فيما قاله القرآن الكريم بشأن هذا الموضوع مرتبط كلياً بأهل الكتاب وخاصة اليهود.

ففي سياق الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل في سورة الأعراف يأتي قوله تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ۝١٥٥ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧ ﴾ [الأعراف 155-157].

فمن خلال سياق الآيات السابقة ندرك أن الزمن المرتبط بها هو زمن سيدنا موسى عليه السلام. فالآية الأولى تحدد حادثة مرتبطة بموسى واختياره سبعين رجلاً من قومه ثم بعد حديث موسى ورجائه لربه أن يغفر لقومه ما ارتكبوه من إثم يقول تعالى: (قال عذابي أصيب به من أشاء. ورحمتي وسعت كل شئ).

ثم يقول: (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) وهذا الخطاب من الله سبحانه موجه لموسى عليه السلام في تلك اللحظة. لكن الآية التي تليها تبين أيضاً من هم الذي يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون، فهم الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.

فمن تلك اللحظة يعرف النبي موسى عليه السلام ويعرف قومه أن الله سيبعث النبي الأمي وقد سطرت صفاته وميقات بعثته في التوراة، حتى لا يكون لهؤلاء حجة على الله ويدّعون أن الله لم ينفذ وعده.

فمقياس كتابة الله الرحمة لهؤلاء المتقين الآتين الزكاة والمؤمنين بآياته هو اتباع النبي الأمي الذي أشار الوحي بصفاته وزمنه في كتاب موسى عليه السلام أولاً، ثم في إنجيل عيسى عليه السلام ثانياً.

فمن تلك اللحظة كان يدرك النبي موسى عليه السلام أن رسالته مقتصرة على قومه من بني إسرائيل وكذلك كان يدرك ذلك قومه، ويدرك أيضاً أن النبي الآتي والذي أوصافه مبثوثة في التوراة والإنجيل هو نبي الرسالة الخاتمة. وعلى أهل الكتاب أن يتبعوه ولا يحرفوا في كلام الله الخاص بشأنه كما هو شأنهم في تحريف بقية القضايا التي جاء بها كتاب موسى عليه السلام وكذلك التوراة.

ولننظر إلى هذه الصفات التي منحها الله لرسوله القادم.

إن هذا النبي هو نبي رسول أمي؛ أي ليس كتابياً إنه من أمة أخرى وليس من بني إسرائيل، وقد درج مصطلح أمي عند بني إسرائيل ويعنون به من كان ليس من اليهود. وقد أراد الله سبحانه من إيراد كلمة أمي كصفة من صفات النبي القادم دحض زعم اليهود أنهم أرقى صنفاً من الأميين وليبيّن أن أكمل الرسالات وأعظمها شأناً هي رسالة هذا النبي المنتظر الأميّ. فإذا اتبعوه عندما يبعثه الله سبحانه فإنهم يفوزون برحمته وإن لم يتبعوه فقد خسروا خسراناً مبيناً.

ولننظر كم عدّد القرآن الكريم صفات هذا النبي.

فقال عز وجل: (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) وهاتان من صفات جميع الأنبياء (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) وهذه صفات لم تكن في أنبياء بني إسرائيل، لأن بني إسرائيل تشددوا حتى قيّدوا أنفسهم بشرائع قاسية وصعبة وجاء النبي محمد ﷺ ليخفف عنهم هذه القيود والأغلال، إضافة لتحريمه عليهم الخبائث كأكل الميتة والدم، ويحل لهم الطيبات لأنه فيما روي عنهم أنهم حرموا على أنفسهم بعض أنواع اللحم ولحوم بعض الحيوانات كالجمل والأرنب بحجة أن شفة كل منهما مشقوقة. وهناك العشرات من القيود التي قيدوا بها أنفسهم فجاء رسول الله ﷺ ليفكها لأنها لا تقترب من الحرام بل هي محللة من الله سبحانه وتعالى.

ثم أردف سبحانه قوله: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف 157] . والآية واضحة المعاني والمقاصد لا تحتاج لتفسير. إنما نوضح مسألة هنا وهي أنهم آمنوا به ونصروه واتبعوا ما جاء في القرآن من تعاليم واضحة.

ويؤكد القرآن الكريم أن أهل الكتاب يعرفون النبي الأمي وصفاته فيقول: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [البقرة 144].

ويؤكد ذلك مرة أخرى بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [البقرة 146].

فالنبي المنتظر منذ موسى عليه السلام ومروراً بجميع الأنبياء حتى عيسى عليه السلام معروف لدى أهل الكتاب، ويعرفون صفاته مثلما يعرفون أولادهم لكن بعضهم يصر على كتمان الحق وهو يعلم.

وحتى يقطع الله سبحانه دابر كل شك حتى لأتباع عيسى عليه السلام فقد بشر بالنبي القادم المخلص.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف 6]

وقد جاء في الإنجيل قول السيد المسيح عليه السلام (وجاء مشتهى الأمم) إشارة إلى انتظار البشرية للنبي الذي تشتهيه الأرواح والنفوس والعقول وهو محمد ﷺ ومع أننا استثنينا إنجيل برنابا فإن الشواهد المبشرة بالنبي محمد ﷺ كافية ووافية لتدلل على قدومه. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن التبشير بمقدم سيدنا محمد ﷺ في إنجيل برنابا جاء واضحاً جلياً حيث صرح باسمه تماماً مثلما صرح به القرآن الكريم. وفي كثير من مواقع الإنجيل - أي إنجيل برنابا - يتحدث السيد المسيح عليه السلام عن رسول الله ﷺ وعن صفاته وزمنه وأمته.

مما نستنتجه يشير إلى أن النبي المنتظر حسب التوراة والإنجيل هو النبي محمد ﷺ. وقد أكدت ذلك نصوص التوراة والإنجيل. لكن أهل الكتاب حاولوا إبعاد الحقيقة فحرفوا الكلمات والمعاني وحرفوا مقاصد ما قاله الأنبياء لينفوا تلك الصفات المتعلقة بالنبي المنتظر عن سيدنا محمد ﷺ. لكن الله سبحانه يبين ذلك من خلال آيات القرآن الكريم ودحض افتراءاتهم وتحريفاتهم وإخفائهم الحقائق.

لقد كرر القرآن الكريم تأكيده بأن أهل الكتاب كانوا يعرفون صفات النبي حق المعرفة كما يعرفون أبناءهم. فمن من الآباء لا يعرف أولاده؟ إن الابن هو الأشد التصاقاً بوالديه وهما اللذان يعرفانه منذ أن حملت به أمه ووضعته، ويعرفانه يوماً بعد يوم ويعرفان كل ما فيه من صفات جسدية ومعنوية. فأهل الكتاب يعرفون صفات النبي المنتظر محمد ﷺ تماماً كما يعرفون أبناءهم. وفي هذا أدق الأوصاف للمعرفة الحقة. وهذا يعني أن كتاب موسى عليه السلام والتوراة والإنجيل وما قاله الأنبياء لم يترك أمراً من صفات النبي المنتظر إلا وذكره كي لا يكون لهم حجة أو مهرب من الاعتراف به واتباعه كما أمرهم الله.

يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأنعام 20-21].

فنتيجة نكرانهم للحق والحقيقة فقد خسروا أنفسهم وهم أظلم الناس لأنهم افتروا على الله كذباً وكذبوا بآياته ولن يفلحوا أبداً طالما أنكروا ما جاءت به كتبهم من أحاديث كثيرة وطويلة في صفة النبي المنتظر محمد ﷺ.

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة 78-82].

ونلاحظ هنا أن أهل الكتاب كانوا يتولون الذين كفروا في معاداة النبي محمد ﷺ. ولو كانوا يؤمنون بالله ويؤمنون بهذا النبي الخاتم ما تولوا الذين كفروا لكنهم ملعونون لعنهم داود وعيسى عليهما السلام لأنهم كانوا يعتدون ويعصون الله وينكرون نبوة خاتم الأنبياء محمد ﷺ وكانوا قد أمروا أن يؤمنوا به وينصروه.

ثم أردف قوله تعالى: لتجدن أشد الناس عداوة للمسلمين المؤمنين اليهود والمشركون وهذا الجمع بين الطرفين يوضح كم كان اليهود معادين للنبي ﷺ ولأمة الإسلام مثلهم مثل أهل الشرك من عبدة الأصنام والأوثان.

وقد وصفهم القرآن الكريم ووصف أساليب تحريفهم ومكرهم وحقدهم فقال: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنعام 91].

فهم لم يعترفوا بما أنزل على قلب رسول الله ﷺ وقالوا ما أنزل الله على بشر من

شيء. وهذا يعني أنهم لا يؤمنون بما أنزل على الأنبياء حتى موسى عليه السلام

ويرد عليهم سبحانه وتعالى: من الذي أنزل كتاب موسى؟ وها هو بين أيديكم تقسّمونه وتجعلونه قراطيس مجزأة تظهرون منها ما يناسبكم وتخفون منها ما لا يناسبكم.

لقد علموا ما لم يكونوا عالمين به ولا آباؤهم. فإذا كنتم تنكرون قدر الله سبحانه وتنكرون ما أنزل على الأنبياء إذاً فمن أنزل الكتاب على موسى؟ فإن قلتم لا أحد فمعنى ذلك أن هذا الكتاب الذي تجعلونه قراطيس هو باطل ليس من الله. لكن الله الذي أنزله وأنزل القرآن إن كنتم آمنتم به أو لم تؤمنوا فذرهم يا محمد في خوضهم يلعبون.

وأخيراً يقول الله سبحانه مخاطباً أهل الكتاب: ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [المائدة 15].

وأخيراً بعث الله سبحانه نبيه الذي انتظروه طويلاً ثم رفضوه، ورفضوا ما أنزل عليه لكن الله سبحانه أخزاهم وفضحهم أبشع خزي وأقسى فضيحة. فها هو رسول الله يبين لهم كثيراً مما أخفوه من كتاب موسى والتوراة والإنجيل، وهذه قصمت نفوسهم لأن هذا النبي الذي ختمه الله الأنبياء والمرسلين أوحى له ربه ما كان يخفي أهل الكتاب فبين لهم ذلك الذي أخفوه فأسقط في أيديهم، فهل بعد من علامات لنبوة هذه النبي المنتظر الخاتم؟

ماذا يعني مجيء النبي الأميّ المنتظر؟

عبر آلاف السنين عاش أهل الكتاب وهم ينتظرون النبي المخلص العالمي الإنساني الذي ينسخ الرسالات السابقة ويلغي حالة الانتظار، وعندما بعثه الله سبحانه أدرك أهل الكتاب أنه هو النبي المنتظر المبّشر به في التوراة والإنجيل، وذلك من خلال مقارنتهم بينه وبين ما بشر به الأنبياء، وعندما تيقن أهل الكتاب من ذلك آمن بعضهم لما عرفوا من صفاته المكتوبة في كتبهم، وكان على رأسهم عبد الله بن سلام الذي قال لليهود مواجهة إنكم تعرفون أنه النبي المشار إليه في كتبكم؛ لكن الأكثرية من اليهود رفضوا الاعتراف بنبوته حسداً وحقداً وجحدوا به فكان مصيرهم الخزي والخسران والترحيل.

وقد أشار لذلك قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأنعام 89].

لقد آتاهم الله الكتاب ـ كتاب موسى ومنحهم الحكمة والنبوة ولكنهم كفروا بها جميعاً فلذلك استبدلهم الله بقوم ليسوا بها كافرين. وهؤلاء القوم هم المسلمون الذين اتبعوا الرسول محمداً ﷺ واتبعوا كتاب الله والنبوة.

ومع ذلك كله فإننا نسأل ماذا يعني مجيء النبي المنتظر؟

نعتقد أنه ما قام به عبد الله بن سلام والذين آمنوا من أهل الكتاب، وهو إيمانهم بنبوة محمد ﷺ ودخولهم في دين الله الذي ختمه هذا النبي الأمي الإنساني العالمي، يعني أن حالة الانتظار الطويلة لخاتم الأنبياء والمرسلين الذي بعث رحمة للعالمين قد انتهت وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها، فلا حاجة بعد للانتظار؛ لأن النبي محمداً ﷺ قد ختم النبوة وختم الرسالات.

وقد أوضح القرآن الكريم أن مهمة الدعوة وحمل مسؤوليتها لم تعد تقع على عاتق نبي، بل هي تكليف للمؤمنين جميعاً. وهؤلاء المؤمنون وصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر 32].

فكتاب الله وما فيه من أوامر ونواه هو كتاب الله الكامل المتكامل، وقد أورثه الله سبحانه للذين اصطفاهم من عباده، والمقصود بهم أمة الإسلام التي ختم الله برسالتها كل الرسالات السابقة.

إن التكليف الإلهي تكليف جمعي وليس فردياً، فالأمة كلها مكلفة لا يقتصر التكليف على أحد دون آخر.

يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة 143].

إذاً لا نبي بعد محمد ﷺ، ولا أمة غير أمة الإيمان والإسلام يختتم بهما الله سبحانه

الأنبياء والرسالات. محمد ﷺ ينتقل إلى الرفيق الأعلى ويترك شيئين ما إن تمسكت بهما الأمة لن تضل أبداً، كتاب الله وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، أمة ليست بحاجة إلى نبي جديد ينتظرونه ليخلصهم ويهديهم سواء السبيل. الخلاص وسواء السبيل ونور الطريق كلها موجودة في القرآن الكريم وسنة نبي الله ﷺ.

ولو لم ينحرف أهل الكتاب وخاصة اليهود عن تعاليم الأنبياء، ولو لم يخفوا الحقيقة لما تنطحوا ورسخوا إلى حين المفهوم الخرافي بعودة المسيح الذي يسير على هواهم ويحقق أطماعهم بالسيطرة على بني البشر واستعبادهم. فلنتصور خرافتهم العنصرية التي تقول بعودة المسيح الذي يأتي ليجلس على كرسي داود ويحكم ألف سنة سعيدة.

لقد بثت التوراة وكذلك الإنجيل عشرات النبوءات والإشارات التي تؤكد أن النبي المنتظر هو محمد ﷺ وقد اعترف بها كبار الكهنة من اليهود زمن رسول الله ﷺ وغيرهم من الأحبار في أزمان لاحقة.

إن فكرة انتظار المخلص أصبحت في خبر كان إن صح التعبير، فليس لها وجود إلا في العقول الخبيثة وغير المتوازنة، العقول التي ترى الحقيقة وتخفيها. ولعل أسوأ النفوس تلك التي تختفي في أجساد من كفروا من أهل الكتاب، فهم يعادون النبي الأمي العالمي، يعادون من يتبعونه حسداً وغيرة؛ لأنهم وطول تاريخهم كانوا يريدون أن يبعث الله نبي آخر الزمان على هواهم.

وبُعث محمد ﷺ فكشف انحرافهم وضلالهم وحارب فسادهم وإفسادهم، بعث ليظل من اتبعه مسلطاً على هؤلاء الفاسدين طالما هم يفسدون في الأرض.

النبي المنتظر.. شهادة السموأل بن يحيى المغربي

السموأل، هو صموئيل بن يحيى، رباني يهودي تتلمذ على يدي والده الذي كان حبراً من أحبار اليهود في المغرب.

قرأ السموأل التوراة ودرسها وعرف خفاياها، وقرأ القرآن الكريم والإنجيل والتلمود، وبعد صراع نفسي فكري ترك بلده وهاجر إلى المشرق وظل ينتقل من بلد إلى بلد حتى استقر به المقام في فرغانه، وهناك أعلن إسلامه بشهادة علماء المنطقة، وأراد أن يظهر رأيه بالتوراة فألف كتابه المعروف غاية المقصود في الرد على اليهود.

ومن هذا الكتاب نقتطع محاكمته لما حرفه التوراتيون اليهود بشأن صفات النبي محمد ﷺ.

ذكر الآيات والعلامات التي في التوراة الدالة على نبوة سيدنا محمد المصطفى ﷺ

يقول السموأل في كتابه: إنهم لا يقدرون على أن يجحدوا هذه الآية من الجزء الثاني من السفر الخامس (التثنية) من التوراة: (نابي أقيم لا يقيم مقارب أحيهم كاموخا ايلا وتشماعون) وتفسيره: نبيا أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك فليؤمنوا.

وجاء في التوراة المترجمة إلى العربية: (يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت) "تثنية 18 : 15 ـ 17".

يقول السموأل: وإنما أشار إلى أنهم يؤمنون بمحمد ﷺ. فإن قالوا: إنه قال من وسط إخوتهم وليس في عادة كتّابنا أن نعني بقولنا إخوتكم إلا بني إسرائيل قلنا: بلى. قد جاء في التوراة: إخوتكم بني العيص وذلك في الجزء الأول من السفر الخامس قوله: (اتيم عوير بغبول أحيحم بني عيسو وهيّو شبيم بسعير) وتفسيره: أنتم عابرون في تخم

إخوتكم بني العيص المقيمين في سيعير إياكم أن تطمعوا في شيء من أرضهم.

وجاء النص في التوراة المترجمة: (أنتم مارّون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير فيخافون منكم فاحترزوا جداً لا تهجموا عليهم لأني لا أعطيكم من أرضهم ولا وطأة قدم لأني لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثاً) "تثنية 2: 4-6".

وعيسو أخو يعقوب النبي عليه السلام وهما توأم وقد هجر عيسو أباه إسحق بعد أن بارك إسحق يعقوب وتزوج من كنعانية، ونسله لا يعتبره اليهود من بني إسرائيل.

يقول السموأل: فإذا كان بنو العيص إخوة لبني إسرائيل لأن العيص وإسرائيل ولدا إسحق فلذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم. وإن قالوا إن هذا القول أشير به إلى صموئيل النبي عليه السلام لأنه قال من وسط إخوتهم مثلك وصموئيل. كان مثل موسى من أولاد لاوي يعنون من السبط الذي كان منه موسى.

فلنسألهم فإن كنتم صادقين فأي حاجة بكم إلى أن يوصيكم بالإيمان بصموئيل وأنتم تقولون: إن صموئيل لم يأت بزيادة أو نسخ أو أشفق من أن تقبلوه لأنه أرسل ليقوي أيديكم على أهل فلسطين وليردكم إلى شرعٍ يخاف تكذيبكم، من ينسخ مذهبكم ويغير أوضاع ديانتكم.

فالوصية بالإيمان به مما لا يستغني مثلكم عنه. ولذلك لم يكن بموسى حاجة أن يوصيكم بالإيمان بنبوة إرميا أو أشعيا وغيرهما من الأنبياء، وهذا دليل على أن التوراة أمرتهم في هذا الفصل بالإيمان بالمصطفى عليه الصلاة والسلام وأتباعه.

الإشارة إلى اسمه ﷺ في التوراة

يقول السموأل: قال الله تعالى في الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة مخاطباً لإبراهيم الخليل عليه السلام: وأما في إسماعيل قبلت دعاك هاقد باركت فيه وأثمره وأكثره جداً جداً، وهذا قوله في لغتهم (وليشماعيل شمعتينا هني براختي أوثو وهن بيثي أوثو بماذماد) فهذه الكلمة (بماذماد) إذا عددنا حساب حروفها بالجمل كان اثنين وتسعين، وذلك عدد حساب حروف اسم محمد ﷺ فإنه أيضاً اثنان وتسعون. وإنما جعل ذلك في هذا الموضع لَغْزاً. لأنه لو صرح به لبدلته اليهود وأسقطته من التوراة. كما عملوا في غير ذلك. فإن قالوا: إنه يوجد في التوراة عدة كلمات مما يكون عدد حساب حروفه مساوياً لعدد حساب

حروف اسم زيد وعمرو وخالد وبكر فلا يلزم من ذلك أن يكون زيد وعمرو وخالد وبكر أنبياء فالجواب أن الأمر كما يقولون. لو كان لهذه الآية أسوة بغيرها من كلمات التوراة لكنا نحن نقيم البراهين والأدلة على أنه لا أسوة لهذه الكلمة بغيرها من سائر التوراة وذلك أنه ليس في التوراة من الآيات ما حاز به إسماعيل الشرف كهذه الآية؛ لأنها وعد من الله لإبراهيم بما يكون من شرف إسماعيل، وليس في التوراة آية أخرى مشتملة على شرف لقبيلة زيد وعمرو وخالد وبكر. ثم إنا نبين أنه ليس في هذه الكلمة آية تساوي (بماباد) التي معناها جداً جداً. وذلك أنها كلمة المبالغة من الله سبحانه وتعالى. فلا أسوة لها بشيء من كلمات الآية المذكورة. وإذا كانت هذه الآية أعظم الآيات مبالغة في حق إسماعيل وأولاده، وكانت تلك الكلمة أعظم مبالغة من باقي كلمات تلك الآية، فلا عجب أن تتضمن الإشارة إلى أجلِّ أولاد إسماعيل شرفاً وأعظمهم قدراً ﷺ. وإذا بيّنا أنه ليس لهذه الكلمة أسوة بغيرها من كلمات هذه الآية، ولا لهذه الآية أسوة بغيرها من آيات التوراة فقد بطل اعتراضهم.

ويورد السموأل المواضع التي أشير فيها إلى نبوة الكليم موسى والمسيح والمصطفى عليهم السلام. فيقول:

(وأما أذوناي مسيناي اثكلي وريهور يقاربه مسيعغير اجري لانا استحى بغبورتيه على طوراد فاران وعميه ربوات قديشين) وتفسيره قال: إن الله من سيناء تجلى وأشرق نوره من شيعير وأطلع من جبال فاران ومعه ربوات المقدسين هم ويعلمون أن جبل شيعير هو جبل الشراة الذي فيه بنو العيص الذين آمنوا بعيسى عليه السلام بل في هذا الجبل كان مقام المسيح عليه السلام. ويعلمون أن سيناي هو جبل الطور لكنهم لا يعلمون أن فاران هو جبل مكة. وفي الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة التي كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء ما يقتضي للعقلاء أن يبحثوا عن تأويله المؤدي إلى الأمر باتباع مقالتهم. فأما الدليل الواضح من التوراة على أن جبل فاران هو جبل مكة فهو أن إسماعيل لما فارق أباه الخليل عليهما السلام سكن إسماعيل في برية فاران. ونطقت التوراة بذلك في قوله: (وتقاع لوامد إشياماي يرض مصراييم) تفسيره: وأقام في برية فاران وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر. فقد ثبت من التوراة أن جبل فاران سكن لآل إسماعيل. وإذا كانت التوراة قد أشارت في الآية التي تقدم ذكرها إلى نبوة نزلت على جبل فاران. وقد علم الناس قاطبة

أن المشار إليه بالنبوة من ولد إسماعيل محمد ﷺ وأنه بُعث من مكة التي كان فيها مقام إسماعيل فدل ذلك على أن جبال فاران هي جبال مكة، وأن التوراة أشارت في هذا الموضع إلى نبوة المصطفى ﷺ وبشرت به. إلا أن اليهود لجهلهم وضلالهم لا يحسنون الجمع بين هاتين الآيتين بل يسلمون بالمقدمتين ويجحدون النتيجة لفرط جهلهم. وقد شهدت عليهم التوراة بالإفلاس مع الفطنة والرأي، ذلك قوله تعالى:

(كي عووي أوتاد عيصوت هيما وابن باهيم تبونا) وتفسيره: إنهم لشعب عديم الرأي وليس فيهم فطانة[1].

وقد أكد ذلك القرآن الكريم في قوله: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الجمعة 5].

---

(1) السموأل بن يحيى المغربي - مخطوط غاية المقصود في الرد على اليهود ص 31 - 32 - 33.

الفصل الثامن

حاخامات على خطى عزرا

توراة جديدة في خدمة الصهيونية

لازم التحريف العقيدة اليهودية على مدار التاريخ. وبسبب من الطبيعة الدينية النفسية لليهود فقد رأوا أن التحريف الذي طال كتاب موسى والتوراة هو الطريق الأسلم لتحقيق الغايات والأهداف اليهودية الدنيوية.

وعندما نرصد مسار تأليف التلمود نرى أن أحبار اليهود جعلوا فيه ديناً جديداً غير الدين الذي جاء به موسى والأنبياء. فهذا التلمود الذي يعتقدون أنه وحي شفهي من الله يصبح أهم من التوراة لأنه ينظم الحياة اليهودية بأدق تفاصيلها، ويعتقدون بناءً عليه أن ما دونه حاخاماتهم أهم مما قاله موسى أو تلقاه من ربه. وعلى الجمهور اليهودي أن ينفذ تعاليم التلمود قبل أن ينفذ تعاليم التوراة.

لكن الانحراف العقيدي الأكبر للعقيدة اليهودية ظهر مع بروز التيار السياسي الديني الذي قاده في بدايته عدد من الحاخامات في أوروبا الشرقية بدءاً من عام 1834م على الرغم من ظهور بعض التعاليم المتفرقة التي أطلقها بعض الحاخامات في وقت مبكر وتحديداً في القرن الثاني عشر والثالث عشر.

وإذا نظرنا إلى تعاليم هؤلاء الحاخامات وجدنا أنها تجاوزت التوراة والتلمود، ومع بروز الأفكار السياسية للفكرة الصهيونية قبل هرتزل وحركته الصهيونية المنظمة أصبح الحاخامات ينظّرون لليهود أفكاراً قد تبدو تفسيرات لنصوص توراتية أو تلمودية لكنها في

الحقيقة ذات منبع سياسي شخصي وليس لها علاقة بالجذور التوراتية الحرفية التي وُجدت في كتبهم. ومنذ ذاك الزمن وحتى الآن تراكمت تنظيرات الحاخامات حتى فاقت ما دوّن في التلمود. وليس غريباً أن نرى عشرات الآلاف من هؤلاء الحاخامات الذين نظروا وشرّعوا لليهودية وأصبحت تنظيراتهم وتشريعاتهم هي السائدة أكثر من التوراة نفسها.

وقد اختلطت تشريعاتهم وتعاليمهم بتشريعات التوراة والتلمود حتى أصبح الكثيرون من اليهود يظنون أن هذه التشريعات من جوهر الدين اليهودي بل هي من نصوص التلمود والتوراة.

والناظر في التوزيع الديني للفئات اليهودية في فلسطين المحتلة وكذلك في أماكن تواجد الطوائف اليهودية الكبرى في أميركا والمغرب - مثلاً - يرى أن التيار الديني السياسي قد طغى على بقية التيارات وذلك بسبب التمازج بين النظرية الصهيونية الاستعمارية والنصوص الدينية والتعاليم التي يبثها حاخامات اليهود في العالم، بمعنى آخر: فإن التيار الديني الذي طغى هو ذلك الذي خدم المشروع الصهيوني في احتلال فلسطين، فسيّس اليهودية لخدمة المشروع فجاءت تعاليم الحاخامات لتشكل توراة جديدة وكتاباً جديداً يُرضي المتدينين والعلمانيين من اليهود على السواء.

ظهرت أولى هذه التعاليم على يد الحاخام موشيه بن نحمان الملقب "رمبان" (1194 ـ 1270) حين ادعى في تفسيره الخاص للتوراة أن أرض فلسطين مركز العالم، وأن القدس مركز أرض إسرائيل، وأن هذا المكان هو المناسب والوحيد لتأدية الوصايا الدينية المنصوص عليها في التوراة. ورأى أن الاستيطان في أرض فلسطين واجب ديني بل إنه اعتبر أن استيطان أرض إسرائيل يوازي كل فرائض التوراة. وتم تفسير هذه الفريضة فيما بعد كواجب مزدوج يلزم اليهود كجماعة كما يلزم كل فرد يهودي إلى الهجرة إلى أرض فلسطين والعيش فيها تمهيداً لمجيء المسيح المخلص.

والأغرب من ذلك أنه تم لاحقاً بناء على هذه الاجتهادات توسيع هذا الالتزام وإدخاله إلى حيّز الأحوال الشخصية بحيث أصبح - مثلاً- رفض أحد الزوجين الذهاب إلى أرض فلسطين والعيش فيها مبرراً كافياً حسب الشريعة للزوج لطلب الطلاق، ومثل هذه الاجتهادات كانت من الأسباب التي دفعت بعض اليهود من حين إلى آخر للهجرة إلى

فلسطين والعيش فيها[1]. فحسب تعاليمه لا تصح عبادة الله إلا في أرض (إسرائيل) وهذا ما يلغي العبادات التي يقوم بها اليهود في البلدان الأخرى حتى لو وُجدت كُنس ودور عبادة فيها. ومن البديهي أن نقول إن التوراة حتى وهي محرفة لم تنص على مثل هذه التعاليم. بل إن كثيراً من اليهود يعتقدون أن رسالة اليهود لا ترتبط بأرض، فهم مكلفون بهذه الرسالة وعباداتها أينما كانوا، بل إن الارتباط بالأرض يعني عدم الارتباط بالله وبالتوراة.

وعندما يرى أن الاستيطان في القدس أو في أرض فلسطين يوازي كل فرائض التوراة فإنه يلغي صفة اليهودية عن كل يهودي إذا لم يستوطن هذه الأرض حتى وإن أدى فرائض التوراة. لقد أصبحت تعاليم هذا الحاخام واجباً دينياً ملزماً لكل يهودي.

وعندما نرى أن هذه التعاليم دخلت فيما بعد الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق ندرك كم هو الانحراف داخل اليهودية. فالتوراة والتلمود لم ينصا على مثل هذه القضية، فقد تدمّر عائلة أو أسرة بسبب رفض الزوجة الهجرة إلى فلسطين لأن القانون الحاخامي ينص على أن من حق الزوج تطليق زوجته إن هي رفضت الهجرة إلى فلسطين. بينما النص التوراتي وكذلك نصوص التلمود توضح بشكل جلي الأسباب الداعية للطلاق، وليس هذا السبب من أسبابها وقد استحدث الحاخام يهودا القالي أو (القلعي) كثيراً من التعاليم اليهودية السياسية التي لم تكن ذات جذور توراتية أو تلمودية. ويهودا القالي 1798 ـ 1878م دعا إلى خلاص اليهود بالعودة إلى التلمود. ولكن أهم ما استحدثه قوله: إن على اليهود أن يعودوا إلى فلسطين دون أي انتظار للمسيح المخلص. وقد كانت فكرة انتظار المسيح المخلص من أهم الأفكار الاعتقادية التي كان يتبناها القسم الأكبر من اليهود، حيث كانوا يرون أنه يجب البقاء على الحال الذي هم فيه حتى يظهر المسيح المخلص. وحتى ذلك الوقت أي منتصف القرن التاسع عشر كان غالبية الحاخامات يرون في عدم انتظار المسيح نوعاً من الهرطقة لأنها تخالف أساساً عقيدياً من أسس الاعتقاد اليهودي.

وجاء الحاخام تسفي هيرش كاليشر 1795 ـ 1874 ليؤكد ما قاله القالي ناسفاً مقولة انتظار المسيح المخلص ويرى أن بداية الخلاص تكمن في التطوع للذهاب إلى فلسطين بقصد الاستيطان وشراء الأراضي لأن الاستيطان حسب رأيه هو من أهم وصايا التوراة.

---

(1) صبري جريس ـ تاريخ الصهيونية 1892 ـ 1917 ـ الجزء الأول ـ ط2 ـ القدس 1978.

وقد اعتبرت دعوات القالي وكاليشر تمرداً على العقيدة اليهودية وتعاليم التوراة والتلمود ولكن ما لبثت آراؤهما أن انتشرت وتبنتها الحركة الصهيونية بقيادة هرتزل فيما بعد.

وعندما عقد أول مؤتمر صهيوني يهودي عام 1897 بقيادة هرتزل شارك فيه عدد من الحاخامات الذين طرحوا أفكارهم وتعاليمهم الدينية مختلطة بالأفكار السياسية الخاصة بمسألة استعمار فلسطين. ومن هؤلاء: الحاخام الروسي شموئيل موهيليفر 1824 ـ 1898 وكان من الذين عملوا مع العلمانيين من اليهود على دمج التشدد الديني اليهودي بما يسمى القومية اليهودية الحديثة.

ومن أهم ما استحدثه في التشريعات اليهودية إفتاؤه بوجوب زراعة الأرض في السنة السبتية بعد بيعها للأغيار بيعاً صورياً. ولدى اليهود قانون توراتي ينص على عدم زراعة الأرض في السنة السابعة بعد زراعتها ست سنوات. ولكن هذا الحاخام وجد طريقاً للتخلص من هذا القانون الديني التوراتي بأن طرح مسألة بيع الأرض بيعاً شكلياً لغير اليهود مع الاستمرار في زراعتها.

وهذا ما يذكرنا بقصة أصحاب السبت الذين أمرهم الله ألا يصيدوا الحيتان يوم السبت فراحوا يحجزون الحيتان يوم الجمعة ويأتون صباح الأحد يصطادونها وكأنهم لم يفعلوا شيئاً في السبت لكنهم تحايلوا على أمر الله وحرفوا في تعاليم كتابهم.

وقد برزت أقوال أحد الحاخامات في خضم الدعوة الصهيونية لاستعمار فلسطين وهي تفسر اليهودية تفسيراً استعمارياً ليس له علاقة بالتعاليم التوراتية فقال: إن الله يفضل أن يعيش أبناؤه في أرضهم حتى ولو لم ينفذوا تعاليم التوراة على أن يعيشوا في المنفى وينفذوا تعاليمها. وهذا يعني أن استعمار الأرض واستيطانها أهم من تنفيذ أوامر الله المبثوثة في التوراة.

وقد شارك في التحريف الديني اليهودي لهذه الفترة عدد آخر من الحاخامات نذكر منهم: الحاخام مردخاي الياشبيرج، والحاخام عزرائيل هيلد سهايمر حاخام مدينة برلين، والحاخام نفتالي برلين والد الحاخام مائير برلين.

ولعل من أهم الحاخامات الذين أفتوا فتاوى دينية ليست ذات منشأ توراتي أو تلمودي الحاخام افراهام إسحق لوك، وقد سخر فلسفته القبالية اليهودية لتطلّعه

الاستعماري الاستيطاني في فلسطين ويرى كوك أن العلمانيين من اليهود وإن كانوا يكفرون بالله وبالأنبياء والدين إلا أنهم محسوبون من المتدينين إن هم نفذوا تعاليم الاستيطان في فلسطين، وقد أصدر كوك عدة فتاوى كان القصد منها تسهيل الحياة على المستوطنين اللادينيين فأفتى سنة 1909م بأنه يمكن زراعة الأرض في سنة التبوير على أن تباع الأرض بشكل صوري للأغيار، وأفتى بجواز لعب كرة القدم يوم السبت على أن تباع التذاكر يوم الجمعة، وهذا كله من التحايل على التوراة.

وقد شن كوك هجوماً عنيفاً على التعاليم اليهودية التي تبيح لليهود أن يعيشوا في الشتات، واليهودية في الشتات ليس لها وجود حقيقي إلا على اعتبار أنها تتغذى بقطرات الحياة من أرض (إسرائيل) القدسية[1].

ومن الحاخامات الذين بثوا التعاليم الجديدة والتي تشكل تحريفاً لتعاليم التوراة الحاخام صموئيل حاييم لانداو، والذي رأى أن الاستيطان في أرض فلسطين أحد الأوامر الدينية، وأن القبس الديني لا يؤثر في الشعب اليهودي إلا وهو في أرضه على حد قوله وأكد هذا الحاخام أنه لا يمكن أن تولد التوراة من جديد من دون العمل.

ثم برز الحاخام مائير بر إيلان، وقد حارب النزعات غير الصهيونية في اليهود الأرثوذكس ويقول بصدد إفساح المجال لتعاليم العلمانيين حتى لو كانت مناقضة للتوراة، إننا يجب ألا نتجاهل قيم وعادات هذا الجيل أو نسخر منها حتى لو كانت القيم والعادات مناقضة للتوراة[2].

وقد كشف دور الحاخامات السياسيين التحريفي والمناقض للتعاليم اليهودية الحاخام عميطل، فهو يرفض أن يكون للحاخامات دور في رسم الخرائط السياسية أو إصدار فتاوى شرعية بشأن عدم الانسحاب من الأراضي المحتلة لأن مثل هذه الفتاوى مضللة. وعلل هذا بقوله: "إنني أرى توجهاً إلهياً في كل ما يحدث الآن ولكن لأنه ليس لدينا نبي فإنه محظور العمل بما يتناقض مع الاعتبارات العقلانية"[3].

---

(1) الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية - إشراف أنيس صايغ - ترجمة لطفي العابد وموسى عنزة - مركز الأبحاث الفلسطيني بيروت 1970.

(2) المرجع السابق.

(3) رشاد عبد الله الشامي - القوى الدينية في إسرائيل - عالم المعرفة العدد 186 - حزيران 1994 ط1.

ولعل أكثر الحاخامات تحريفاً وتغييراً وشططاً هم حاخامات الطائفة الحسيدية. والذي أسسها إسرئيل اليعازر، الذي يقتنع اقتناعاً لا يتبدل بأن كل عمل من أعمال الحياة الإنسانية سواء كان عادياً أو دنيوياً يمكن اعتباره مقدساً لو أمكن أداؤه في مرح ونشوة.

وأكدت الحسيدية على عبادة الله والملائكة. وفي الصلاة يقوم أصحاب الطائفة الحسيدية بالرقص الصاخب العنيف الانتشائي ويتمادون في الشراب، وقد سن حاخامات هذه الطائفة تشريعات خاصة بهم بما يتعلق بطقوس الصلاة والإنشاد والذبح الشرعي.

وقد غيّر حاخامات الحسيدية قوانين الصلاة التوراتية والتلمودية. فهم يجيزون الصلاة في أي مكان إلا أنها مع مرور الزمن طورت لنفسها أماكن عبادة خاصة بها تسمى (شتبليخ) ويرى حاخامات الحسيدية أن الأهمية لا تكمن في إقامة الشرائع بل في الصحوة الداخلية التي تسعى إلى البحث عن الذاتية. ويختار الحسيدي طريقته بتعبد الخالق حسب إمكاناته أي الطريقة التي تتلاءم مع قدراته الروحانية ومستواه العقلي وهو ما يشكل عندئذ الصدام الشخصي للحسيدي مع الرب. وقد أشاعت الحسيدية أفكاراً حلولية شبه وثنية. وزعيم هذه الطائفة يسمى الصّديق، يتقرب إليه أفراد جماعته وباعتقادهم أن بإمكانه أن يؤثر على العوالم العليا بفضل صلاته ويستطيع أن يلغي الأحكام الإلهية وتحل عليه الروح القدس، ومكانته تفوق مكانة الملائكة وهذا الزعيم لا يمارس تأثيره عن طريق دراسة التوراة بل عن طريق إيمانه وتأمله، ولهذا الزعيم غرفة خاصة قرب المعبد فهو لا يظهر أثناء الصلاة. وكان أبناء الطائفة الحسيدية يمرون أمامه كي يباركهم بعد أن يؤدي صلاته على انفراد.

ويعتقد أبناء هذه الطائفة أن زعيمهم الروحي لا يموت فهو مستمر في الوساطة بين شعب إسرائيل والرب ويلغي هذا الزعيم الأحكام السيئة. وعندما يموت يقام له ضريح ضخم يحجون إليه في شهر أيلول من كل عام.

وقد حلت شخصية زعيم هذه الطائفة محل التوراة، بل إن التوراة نفسها انتقلت إلى شخصيته بحيث ساد الاعتقاد عندهم أن حديث الزعيم هو توراة بذاته.

ومن أهم الأحبار والربانيين الذين قادوا الحسيدية ونظروا لها: الرابي شنيئور زلمان والرابي نحمن من برسلاف والرابي يعقوب يتسحق. وقد اعتبر برسلاف أن السرور والطرب والرقص تشكل جزءاً أساسياً من عبادة الرب، وكل هذه التعاليم تخالف التوراة ولكن الحاخامات استطاعوا أن ينسفوا من عقول أتباعهم ماله صلة في التوراة وتثبت

تعاليمهم حتى أصبحت هي الأساس في عبادتهم وتشريعاتهم.

ومن الحركات التي يدفع بها الحاخامات إلى الصعود والتأثير بين اليهود حركة (حبد) التي تطورت مفاهيمها حسب تطور الكيان الصهيوني اليهودي.

ونشاطاتها تنبع من إرشادات زعمائها الدينيين الذين يولون أكبر الأهمية لأفكارهم وتعاليمهم دون الاهتمام بما جاءت به التوراة.

وأهم القضايا التي تشغل هذه الطائفة. محاربة الطوائف اليهودية الغارقة في التطرف العقيدي حسب تقييمها، مثل حركة آنده مارجه وحركة هاذي كريشنة وحركة ساينتولوجن وغيرها، ومحاربة كل العناصر الحريدية التي تتسرب إلى جهات وأحزاب وحركات أخرى. ويولون أهمية قصوى لمحاربة التنصير المسيحي حيث يتعقب أعضاؤها المنصرين ورجال الدين المسيحي.

ولعل أهم التعاليم التي يبثها حاخامات هذه الحركة الوعود التي يقطعونها لشبابها بأنهم يضمنون لهم الجنة، مع أن هؤلاء الحاخامات يعترفون بأن الأمكنة المئة والأربعة والأربعين ألفاً الأفضل في الجنة قد تم حجزها.. والملفت للنظر أن شباب هذه الحركة هم أكثر المشاغبين في المدارس الدينية الذين لا يبدون حماساً لمواصلة الدراسة الدينية. وبسبب تعاليم هذه الحركة الشاذة شكل بعض شبابها عصابة مهمتها اختطاف الأطفال الذين تبنتهم بعض الأسر اليهودية، ومن ثم تهريب هؤلاء الأطفال إلى الولايات المتحدة للعيش عند أسر يهودية هناك وسبب الاختطاف يعود إلى الشك بيهودية الأسر المتبنية أو بسبب كون أحد الزوجين ليس يهودياً[1].

وقد ادعى حاخام هذه الطائفة أنه المسيح المخلص مما أثار موجة من الهجوم من قبل الحاخام شاخ، وقد اعتبر شاخ أن ما يقوم به أتباع هذه الحركة انحطاطاً بالتوراة ونزولاً بها إلى الشارع، وأنكر شرعية أعياد الحركة وأبطل كثيراً من الفتاوى التي أصدرها الحاخام فيلوفافيتش[2].

وقد وصل العداء بين الحاخام شاخ وحركة حبد إلى درجة إعلان الحرمان الديني

---

(1) رشاد عبدالله الشامي ـ القوى الدينية في إسرائيل ـ ص266 ـ 267 ـ عالم المعرفة العدد 186.

(2) موشيه هوروفيتش ـ الحاخام شاخ بيده المفتاح ـ طبعة كيتر القدس ـ ط1 ـ 1989.

بينهما. وقد حرم شاخ الزواج من أعضاء حبد وكذلك فعل أعضاء حبد. وحرم شاخ وأتباعه شرب الخمر الذي يتناولها أو يلمسها الحبديون.

ويأتي الحاخام الأكبر لحركة حبد شنيؤورسن الذي يعيش في نيويورك ولا يغادرها ليقدم كثيراً من الأفكار والتعاليم المتطرفة، فهو يعتقد أن التوراة قد سبقت العالم ويرى أنه من دون هذا الحب لا يمكن على الإطلاق فهم وتطبيق التوراة وإقامة الفرائض، وعلى الرغم من ذلك فهو يرفض بشدة الهجرة إلى فلسطين المحتلة، ويرى هذا الحاخام أن الغربة هي تحضير للخلاص والحرية وتطهير الكون. وهي تؤدي إلى نشاط مكثف يساعد على ظهور المسيح الذي ينتظره الحاخام.

ويعتقد أتباعه أنه المسيح المخلص وينبع ذلك من حماستهم الزائدة لأفكاره. وقد شهدت حياته تطوراً ملحوظاً وخاصة في العقد الأخير من القرن العشرين، حيث أصبح يطلب من أتباعه معاملة الآخرين بإحسان وسلام، كي يقيموا شرائع أبناء نوح السبعة ومن خلال أفكاره التي نشرها عام 1992 يتضح أنه بدأ ينظر لنفسه كزعيم للبشر في العالم بأسره وليس كزعيم روحي لجماعته من اليهود، ويؤمن الحاخام بتناسخ الأرواح ويحاول أن يوفق بين فكرتها وفكرة بعث الموتى، وعندما راح الحاخام في غيبوبة بسبب مرضه دعت حركة حبد اليهود لقبول عبء مملكة الرابي لأن الرابي هو فوق كل البشر وفوق العالم كله وتكمن فيه قوى إلهية عجيبة[1].

ومن العادات التي تعلمها أبناء الطائفة الحسيدية التقرب إلى (الادمور) زعيمها، فهم يتراكضون حول سيارته ويتدافعون لرؤيته لأنهم يعتبرون أن من التقوى النظر إليه والانصياع لتوجيهاته دون نقاش وتقبيل يده، وهم لا يقدمون على أمر دون إذنه ولعل من أهم الطقوس لدى هذه الطائفة طقس (ارتقاء الروح) والذي يعقد في السابع من عيد الفصح وبه يقوم الأدمور بالرقص والغناء مع الحسيديين الذين يعتقدون أن الروح بهذا الطقس ترتقي إلى السماء وتطلب العفو والمغفرة للطائفة.

ومن الغريب في أمر هذه الطائفة أن وراثة زعيمها تكون للابن من بعده، بمعنى أن زعامة هذه الطائفة وراثية، وليس لها علاقة بالمستوى الديني الذي يكون عليه الوريث.

---

(1) رشاد الشامي - القوى الدينية في إسرائيل - سبق ذكره.

وقد تعرض الباحثون اليهود بالتحليل لبعض الطوائف اليهودية المتشددة، فهي تعيش حالة نفسية ازدواجية، فمن ناحية تُظهر أنها تقيه ورعة ومن ناحية تمارس أبشع أنواع النفاق والرذالات.

فالتوراة مثلاً تنص على (ألا ينام الرجل مع زوجته في سرير واحد وإذا ما اضطجعا في سريرين يلمس فيه كل منهما الآخر فهذا محرم).

ويعلق أحد الكتاب ويدعى حاييم بنو على ذلك بقوله حول دعاية لسرير خاص في منتصفه حاجز يفصل بين المرأة والرجل خاصة أثناء طمث المرأة.. يقول: "إن هذا شكل من أشكال النفاق الديني لأن الحريديم يشترون سريراً واحداً لهم ولزوجاتهم، ولكن لابد أن يبدو هذا السرير من حيث المظهر الخارجي وكأنه مقسوم لقسمين. ويستدل على هذا النمط من السلوك الحريدي بما هو شائع من أمر اقتناء شيوخ الحريديم لدولاب خاص به فتحات سرية يضعون فيها التلفاز والفيديو ويستطيعون مشاهدة كل ما يشاؤون من أفلام زرقاء وحمراء ثم يخفون الأجهزة البخسة بوساطة زر تحكم حتى لا يكتشف أمرهم أمام أفراد عائلتهم"[1].

وفي مقابل هذه الطوائف من اليهود التي اعتمدت آراء وتعاليم حاخاماتهم أكثر من التوراة والتلمود برزت طوائف أخرى مالت نحو التساهل ورفضت إلى حد بعيد التعاليم القاسية التي فرضها المتشددون التوراتيون والتلموديون. وقد انبثقت من داخل الهاسكالاه حركة إصلاحية قادها موسى مندلسون بن مناحم ما بين عامي 1749 ـ 1786 وقد ظل تأثيره بارزاً في كثير من اليهود وخاصة الذين لم يهاجروا إلى فلسطين ولم تغسل أدمغتهم الحركة الصهيونية.

وقد كره أصحاب الحركة الإصلاحية المشنا والتلمود ورفضوا كل تعاليم الحاخامات المتشددة وقد مالوا إلى أخذ الأحكام من التوراة في أبسط إمكانيات التفسير وأقلها قسوة على الناس. وكان من أهم التغييرات التي أحدثوها:

1 ـ إنقاص الأدعية والصلوات إلى الحد الأدنى مع إباحة تلاوتها بلغات البلاد القومية حيث يعيش هؤلاء اليهود.

---

(1) رشاد الشامي ـ القوى الدينية في إسرائيل ـ سبق ذكره.

2 ـ ترك الترانيم الشعرية العبرية والآرامية القديمة.
3 ـ إدخال الآلات الموسيقية وفرق الإنشاد الجماعي (الكورس) من الجنسين في المعبد والترنم بألحان حديثة مؤلفة ومكتوبة على السلم الموسيقي.
4 ـ وأنكروا في اعتقادهم أن يكون الخلاص معناه إقامة دولة في فلسطين وعندهم أن الخلاص يكون في الدنيا بالحصول على المساواة في الحقوق المدنية ولا ضرورة إطلاقاً لربط ذلك بفلسطين أو بغيرها من البلاد.
5 ـ وقد خالفوا جميع اليهود إذ قالوا إن الله فعل خيراً ببني إسرائيل إذ فرقهم في الأرض.
6 ـ وصرفوا النظر عن إعادة ما يسمى بناء الهيكل فلذلك فإن كل معبد من معابدهم في أي مكان يطلق عليه اسم الهيكل.
7 ـ وأباحوا اختلاط الجنسين من المصلين في هذا المعبد.

وكانت الصلوات عندهم تقال باللغة الألمانية وليس بالعبرية كما يصر عليها اليهود الآخرون[1].

وفي أواخر القرن الثامن عشر ظهر كتاب في الشريعة اليهودية منسوب إلى أحد فقهاء القرن الرابع عشر المشهورين واسمه الربي آشر بن يحيئيل وطبع في برلين سنة 1793 وقد وجد اليهود المتعصبون من الأرثوذكس في الكتاب كثيراً من الشرائع المتساهلة المتطورة، فمثلاً يحلل الكتاب أكل الرز والبقول الجافة في أيام الفصح، واليهود يحرمون ذلك وتحليل شرب اللبن والنبيذ عند غير اليهود؛ أي الكفار وهو أيضاً حرام في التلمود، وإلغاء بعض أيام الصوم أو تخفيف أحكامها جداً، مثل صوم إستير وصوم خراب الهيكل الثاني. وقد كُشف فيما بعد أن الكتاب من تأليف ابن حاخام برلين الأكبر هيرشل ليفين المدعو شاؤول.

ومن الفرق التي امتازت بالتحريف واتخذت من التستر وسيلة لها فرقة يهود الدونمه في تركيا. وكان زعيمهم شبتاي صبي الذي شرع لهم كثيراً من الأمور في ظاهرها التقرب من الإسلام وفي باطنها اليهودية الانحرافية. ومن تعاليمه الزواج سنّة واجبة وهو غير ممكن إلا من رجل وامرأة من نفس الطائفة، وقد حرم تعدد الزوجات وينعقد الزواج على يد رئيس الطائفة، ولهم مدافن خاصة غير مدافن بقية اليهود ويرفضون الإيمان بالتلمود، كما يرفضون الإيمان بالاعتقاد في مسيح مخلص آخر غير زعيمهم شبتاي صبي الذي مات وينتظرون عودته حتى الآن[2].

---

(1) د. حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي. دار القلم ـ دمشق ـ ط3 ـ 1995 ـ ص267 ـ 268.

(2) د. حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي. دار القلم ـ دمشق ـ ط3 ـ 1995 ـ ص 262.

مفهوم النبوة في التراث اليهودي والمسيحي البروتستانتي

ماذا يعني مفهوم النبوة في التراث اليهودي ؟

ما يزال مفهوم النبوة في التراث اليهودي غامضاً مشوشاً في أذهان كثير من المسلمين وغير المسلمين وحتى يتضح هذا المفهوم وتتجلى الالتباسات حوله كان لا بد من العودة إلى التراث اليهودي المكتوب في التوراة العبرانية والتلمود. ووضعهما تحت المجهر القرآني الذي قلب الكثير من المفاهيم التي سادت والتي ما يزال بعضها سائداً بسبب الجهل بما صرح به القرآن الكريم وما أوضحه لبني البشر، ولعل أكثر الالتباسات شيوعاً هو أن الله خص بني إسرائيل بعدد كبير من الأنبياء وهذه ميزة فضلى لهم.

لكن الإشكالات لا تتوقف عند هذا الحد. وعليه فإن من حقنا أن نتساءل:

1- ماذا يعني مفهوم النبوة لدى اليهود عبر التاريخ ؟

2- هل يؤمن اليهود بنبوة الأنبياء الذين ذكروهم في كتابهم التوراة؟

3- ما موقع الأحبار والحاخامات من اليهودية كعقيدة وكيف ينظر اليهود لهؤلاء الحاخامات اليوم.

فإذا افترضنا أن اليهود يلغون صفة النبوة عن جميع الأنبياء باستثناء النبي موسى عليه السلام فكيف يمكن أن نوفق بين مقولتي إن اليهود أمة الأنبياء، وإن اليهود لا يؤمنون بنبوة هؤلاء الأنبياء ؟

وهذا الافتراض هو ما سنتحقق منه على ضوء نصوص التوراة وغيرها من التراث اليهودي.

اشتمل سفر التكوين وهو السفر الأول في التوراة العبرانية وكذلك السامرية على خمسين إصحاحاً وجاء على ذكر آدم، ونوح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، واسحق، ويعقوب، ويوسف، وهؤلاء أنبياء في القرآن الكريم وفي العقيدة الإسلامية. وقد صرح القرآن الكريم بنبوتهم بشكل لا لبس فيه.

ولو تصفحنا سفر التكوين صفحة بعد أخرى لما وجدنا ذكراً لكلمة نبي أو نبوة وبتقديرنا أنه إذا كان بنو إسرائيل هم أمة الأنبياء فمن المفترض أن تذكر نبوة هؤلاء الأنبياء منذ آدم وحتى يوسف عليهم السلام، لم تصف إبراهيم بأنه نبي ولا غيره حتى يعقوب الذي يدعون نسبهم إليه لم يصفوه بالنبي.

وسفر التكوين هو أكبر سفر في التوراة لكنه وللحق يقال إنه سفر تاريخي على الرغم من أن كاتبه أو مؤلفه خلط بين الحقيقة والواقع والخيال والخرافة، ووقع في أخطاء شنيعة قاتلة حتى أن بعض العلماء وصفه بالتخريف والهذيان.

ويتضح أن مؤلف سفر التكوين كان يركز عل تسلسل هؤلاء الأشخاص ـ الأنبياء ـ.

ليصل إلى قوله: إن بني إسرائيل تناسلوا رجلاً إثر رجل عن طريق الاصطفاء فهم أنقياء مئة بالمئة.

ومما يدل على ذلك إخراجهم النبي إسماعيل عليه السلام من سلسلة الاصطفاء لأن أمه ليست من بني إسرائيل. وأخرجوا عيسو شقيق يعقوب التوأم من هذه الدائرة لأنه تزوج من كنعانية وأنجب منها.

ما الدليل على خلع صفة النبوة عن هؤلاء الأنبياء الذين أوردهم سفر التكوين ؟

أولاً: لم تأت التوراة على ذكر مهمة هؤلاء الأنبياء كما علمنا إياها القرآن الكريم وهي نشر دعوة التوحيد ونبذ الأخلاق السيئة والانحراف.

ثانياً: لم تشر التوراة من قريب أو بعيد إلى صحف إبراهيم ومهمته في بناء الكعبة ودعوته للحج ولم تشر إلى ما كان منه من تكسير لأصنام قومه ودعوته إلى عبادة الله الواحد الأحد.

ثالثاً: لم تشر قطعاً إلى دعوة يعقوب لأبنائه قبل أن يموت إلى عبادة الله الواحد رب إبراهيم وإسماعيل وإسحق.

رابعاً: وهو أخطر ما في الأمر، ألصقت بكل نبي تشويهاً أخلاقياً يندى له الجبين فإبراهيم حسب نص سفر التكوين يتاجر بزوجته عند فرعون وعند أبيمالك ملك جرار كي يحصل على بعض رؤوس الغنم والبقر والحمير وبعض الهدايا.

ولوط يزني بابنتيه بعد تدمير قومه وتنجبان منه ابنين هما مؤاب وعمون.

ونوح: يتعرى في حقل عنب بعد أن أخذته الخمرة فسكر.

ويعقوب: يحمل أوثان زوجته معه من عند خاله المدعو لابان، ويصارع الله في منامه ويغلبه.

ويخدع أباه إسحق عندما كان فاقد البصر ويدعي أنه عيسو ليحصل على بركته ويسجد لأخيه عيسو عندما يلتقيان بعد طول جفاء وقطيعة حسب قول التوراة.

وأولاد يعقوب الذين هم أساس أسباط بني إسرائيل يزنون ويقطعون الطرق، فهذا يهوذا بن يعقوب يزني بكنته وينجب منها ولدين وتفضحه عند شيوخ بني إسرائيل.

كل ذلك ورد في سفر التكوين ضمن تسلسل تاريخي توراتي هزيل ومضحك.

إذاً كيف يكون هؤلاء الرجال ـ الأنبياء ـ بنظر اليهود أنبياء وهم أكثر الناس فجوراً وانحرافاً؟ حاشا لله أن يكون الأنبياء كما وصفهم كتبة التوراة.

ونأتي إلى سفر الخروج لنعثر مرة واحدة على مصطلح نبيّة، فقد وصفت التوراة شقيقة موسى المدعوة مريم بالنبية عندما قالت إنها جمعت نساء بني إسرائيل ورحن ينقرن على الدفوف ويغنين نشيداً يمجد الإله يهوه لأنه أنقذهم من فرعون.

فوصف مريم بالنبية جاء عرضاً دون مقدمات تشير إلى ميزات وصفات خاصة بالنبوة.

والواقع أنه لم يعرف في تاريخ الأديان أن الله اصطفى امرأة لتكون نبية.

ونمضي مع سفر العدد وسفر اللاويين وسفر التثنية فلا نعثر عل مصطلح النبي ولم يوصف فيها موسى بالنبي وكذلك هارون.

وعندما غاب موسى عليه السلام لتلقي رسالة ربه تمرد عليه قومه وانحرفوا إلى عبادة العجل.

وهذا معروف في التوراة والقرآن الكريم، لكن بني إسرائيل قالوا عندما تأخر موسى عنهم. لقد ذهب الرجل ولا ندري متى يعود فتعالوا نصنع آلهة لنا نعبدها، فصنعوا العجل وعبدوه. فحتى النبية مريم لم يرد ذكرها في هذا المقام ولم يظهر صوتها ليعترض على الانحراف. إذاً كيف يطلقون عليها اسم نبية؟ الواقع أن بني إسرائيل لا يعرفون معنى هذه الكلمة، وربما استعارها كاتب التوراة من التراث القديم وألصقها بهذه المرأة. ولو كانوا يدركون دلالة النبوة لوصفا موسى وهارون بها لأنهما على الحقيقة نبيان مرسلان.

وقد لجأ كاتب التوراة في آخر سفر التثنية إلى قوله(ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه في جميع الآيات والعجائب التي أرسلها الرب ليعلمها في أرض مصر)"التثنية"

فهذا النص يكشف لنا عدة أمور:

1- ليس المعقول أن يتحدث موسى عن نفسه بهذه الصيغة فالمقطع مؤلف من قبل كاتب التوراة.

2- عندما دونت التوراة كان قد مضى على وفاة موسى حوالي سبعمائة سنة وكان قد جاء بعده أنبياء مثل داود وسليمان، فالنص عندما كتب نفى عنهما صفة النبوة حيث قال "لم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى.

3- إذا كان المقصود أنه لم يقم في بني إسرائيل نبي يشبه موسى من حيث كلامه مع الله والمعجزات فإن كلمة "بعد" توحي بأن نبياً لم يقم في بني إسرائيل بعد موسى وهذا يعني أن داود وسليمان وإلياس لم يكونوا أنبياء. فوُصف داود بالملك ووُصف سليمان بالحكيم ولم يوصفا بالنبوة مطلقاً وهذا ما نصت عليه التوراة.

ويرى السامريون أن الأسفار الأربعة والثلاثين في التوراة العبرانية هي زائدة وليس لها علاقة بموسى فهم لا يعترفون عليها لأن نص التوراة السامرية يقول أن بني إسرائيل لا يعرفون ولم يعرفوا نبياً بعد موسى مثله، فكيف إذاً يطلق على الأسفار الزائدة أسفار الأنبياء.

وبالطبع فإن إطلاق مصطلح أسفار الأنبياء جاء بعد تدوين التوراة بزمن طويل والذي أطلقه بعض أحبار اليهود وعلماء اللاهوت اليهود والنصارى .

وإذا تصفحنا الأسفار التي جاءت بعد سفر الخروج وجدنا أن التوراة تستخدم التسمية العبرية لتصف أحد الأنبياء ، وهذه التسمية هي" نابي" وجمعها نابيم . وهذه الكلمة يمكن ترجمتها بأشكال مختلفة منها المنبئ أو الذي ناداه الله وقد ظهرت هذه التسمية متأخرة بعد تسربه إلى فلسطين . ونرى أن التوراة تجاهلت نبوة إبراهيم وأبنائه وأحفاده .

وتطلق التوراة أحياناً على النبي اسم الرائي ، وقد ورد ذلك في سفر صموئيل الأول في " الإصحاح 9 فقرة 9" .

وفي عدة أحوال تسمي التوراة النبي بكلمة عبرية أخرى هي"حوزي" وكلمة روئي الرائي وحوزي تعطي نفس المعنى تقريباً وهو البصّار . ويرى الناس أن هذا الرائي يرى الكثير مما ليس في مقدور الناس العاديين البسطاء رؤيته وإذا نظرنا في سفر القضاة فإننا سنجد أن النبوة لم تقتصر على الرجال ، بل كان بينهم نساء ، ومنهن المدعوة دبورة وتعني النحلة ، وقد قضت لبني إسرائيل وشاركت في حروبهم ضد الملك الكنعاني سيسرا وذلك حسب زعم التوراة وروايتها .

وفي عهد الملوك أي عهد داود وسليمان عليهما السلام تقول لنا التوراة أنه كان لدى الملك داود نبي أو أنبياء ويطلق عليهم بعض الباحثين أنبياء البلاط ، وكانوا مستشارين للملك ومشاركين نشطين في كل دسائس البلاط وانقلاباته ، فوجد النبي المدعو جاد وكان يسدي النصائح للملك داود على حد زعم التوراة ، وكان لدى داوود نبي آخر يدعى ناثان . وفي المقابل تقول التوراة أن نبياً آخر يدعى أخيا أصبح شريكاً في مؤامرة ضد الملك سليمان . وقد لعب هذا النبي دوراً حاسماً في شق مملكة بني إسرائيل بعد النبي سليمان كما أوضحت وأشارت له التوراة .

والأغرب من هذا كله تعترف التوراة أنه في زمن الملك آخار كان يوجد إضافة لأنبياء يهوه أنبياء البعل وهم 450 نبياً فمفهوم النبوة لدى بني إسرائيل ليس كمفهوم النبوة الحقيقي كما أورده القرآن الكريم ، فالنبي حسب ما ورد في سفر الملوك الثاني هو خادم الإله إن كان إلهاً حقيقياً أو إلهاً وثنياً ، أو مستشاراً للملوك .

المسيح المخلص في التراث اليهودي

وإضافة لمفهوم النبوة يأتي مفهوم المسيح المخلص ليكمل الرؤية اليهودية لذلك المفهوم ويؤسس لمفاهيم نبوية تبنتها البروتستانتية فيما بعد. وتؤمن بعض الطوائف اليهودية إيماناً كبيراً بأن مسيحاً يهودياً سوف يبعث ليقيم ما يسمى مملكة الرب في فلسطين.

وبعد أن ظهرت البروتستانتية في القرن السادس عشر ظهرت فكرة المسيح المخلص بشكل قوي جداً وبعد أربعمائة سنة من ظهور هذه الفكرة بنى قساوسة البروتستانتية فكرة مجيء المسيح مختلطة بتفسير بعض النبوءات التي وردت في العهد القديم ـ التوراة وفي العهد الجديد ـ الإنجيل ـ وبعض كتابات التلاميذ الكبار للعقيدة النصرانية أمثال يوحنا ورؤياه التي تعتمد كأحد الكتب الهامة في النصرانية.

وقد ربطت مجيء المسيح بحوادث كونية وتصورات عن حروب شاملة تؤدي في النهاية إلى قيادة هذا المسيح لليهود والمسيحيين الغربيين في حرب كونية أطلقوا عليها هرمجدون تكون فلسطين مركز شرارتها.

غير أن الفكرة بحد ذاتها تمتد جذورها إلى بعض العقائد التي انتشرت في بعض الفئات اليهودية المدرجة في الطرف المتدين من اليهود.

وعليه فإن أهم ما يمكن بحثه في هذه الصفحات هو:

1- فكرة المسيح المخلص والمنتظر في التراث اليهودي.

2- رفض المسيح عيسى ابن مريم من قبل اليهود.

3- أهم الفرق اليهودية التي تؤمن بعودة المسيح اليهودي الخاص.

4- البروتستانتية والايمان بالمسيح المخلص.

5- رؤية المسيحية الشرقية في هذه الفكرة.

6- توجه أميركا برئاسة ريغن وكارتر وكلينتون وبوش استناداً عل رؤية دينية تقول بعودة المسيح وخوض الحرب الكونية بقيادته.

7- تسخير النبوءات للحروب.

المسيح المنتظر في التراث اليهودي

استند اليهود عل مقولات الأنبياء الخاصين بهم بأن المخلص سيأتي ليخلص شعبه من خطاياهم وسيحررهم من العبودية.

ومما لا شك فيه أن الظروف التي اجتاز فيها اليهود قديماً منذ دعوة الله لإبراهيم عليه السلام إلى ما بعد خراب القدس شجعت اليهود كثيراً على تأويل وتحريف تلك النبوءات في الأوساط اليهودية وإلباسها ثوباً سياسياً.

راح اليهود يطلقون على المخلص اسم مسيا أو مشيحة في العبرانية والتي تعني المسيح أي الممسوح، وأطلقوا عليه مسيح الرب. ومن أمثلة ذلك ما أطلقوه على شاؤول وداود وسليمان وغيرهم ممن قال اليهود إنهم مسحوا ملوكاً على بني إسرائيل، وما ينتظره اليهود من هذا المسيح هو مسحه ملكاً عليهم ليصيروا مثل باقي الشعوب، وهذا ما رأيناه عندما طلبوا من صموئيل أن ينصب عليهم ملكاً فنصب عليهم شاؤول ملكاً.

جاء في التوراة: فالآن اجعل لنا ملكاً يقضي لنا كسائر الشعوب "صموئيل 8:1-5 "

وفي فترة السبي وبسببه أيضاً راح بعض الأنبياء بالتحدث من جديد عن المسيح المخلص والذي سوف يحررهم من الأسر والعبودية وقد تنبأ إرميا بهذا المسيح ولكن اليهود اشتدت قسوتهم وعدم إيمانهم.

وعلى الرغم من ذلك تبلورت في السبي فكرة المسيح عند اليهود وراحت تأخذ شكلاً أكبر وتختمر في أذهان اليهود وظلت الفكرة تسيطر على عقول اليهود وقلوبهم عبر التاريخ منذ ذلك الوقت.

ومن خلال دراستنا لتاريخ بني إسرائيل نرى أنهم كلما اشتدت بهم الظروف وقاسوا الويلات كلما تعلقوا بفكرة المسيح المخلص، وكلما خفّت المحن عليهم كانوا يتجاهلونه أو يتناسونه.

وقبيل بعثة المسيح كان اليهود على تماس مباشر بفكرة المسيح المخلص. وقد انتشرت العقائد المسيحانية انتشاراً كبيراً وعلى نطاق واسع جداً بين اليهود في آخر حكم هيرودس

أي قبل ميلاد المسيح ﷺ ببضع سنوات .

ووصلت هذه العقائد إلى ذروتها في الانتشار في أيام المسيح نفسه . ففي هـذا الوقت كان اليهود ينتظرون مجيء المسيح بشكل شديد جداً .

ولا شك أن الظروف التي عاشها اليهود آنذاك جعلتهم يلتصقون أكـثر فـأكثر بفكـرة مجيء المسيح .

وعندما بدأ المسيح ﷺ وجده اليهود معارضاً مناقضاً لكل أطماعهم وأحلامهم وهذا يدل على أنهم كانوا ينتظرون مسيحاً على مقاسهم ينفذ لهم رغباتهم ولا يعارضهم .

والواقع أن أبرز الذين كانوا يعولون كثيراً على مجيء المسيح المخلص هـم الكتبة الفريسيون ، لكنهم كانوا الأبرز في معاداة المسيح ومناقضته وشن الحرب عليه .

ويرى الدكتور القس حنا الخضري أن يهوذا الأسخريوطي وكان من تلاميذ المسيح عندما رأى أن المسيح ليس هو المسيح السياسي المنتظر حسب المفهوم اليهودي انقلب عليه ووشى به للرومان كي يقبضوا على المسيح ويصلبوه[1] . وهذا حسب رأي القس الخضري .

ومنذ أن انتهى عصر المسيح ﷺ راحـت فكـرة المسيـح المخلـص تـأخذ لـدى اليهـود منحىً سياسياً بحيث أنهم ومنذ ذلك التاريخ تشتتوا في البلاد ولا سيما في أوروبـا الشـرقية وأسبانيا .

وعندمـا بـدأت الأفكـار القوميـة تجتـاح أوروبـا راح اليهـود المؤمنـون بالمسيح الآتـي يحيون أفكارهم بحيث يتقارب مفهـوم المسيح المخلـص مـع مفهـوم أرض الميعـاد وعـودة اليهود على الأرض التي يدّعون أنها كانت أرضهم .

في نهاية القرن الثامن عشر ظهرت الطائفة الحسيدية على حدود بولندا من جهة الشـرق وبنـت أفكارهـا على خرافـات كثيرة ، لكنهـا كـانت تؤمـن بظهـور المسيـح وقـد اسـتطاعت الحسيدية أن تدمج ما بين المبدأ الشخصي والمبدأ القومي في مصطلـح الخـلاص ، وأكـدت أن الخلاص يبدأ بالسلوك اليومي الذي يسبق الخلاص الإعجازي . وترى الشريعة الحسيدية أن انتشارها هو الذي سيعجل مجيء المسيح . وآمن كبار الحسيدية وزعماؤه بأن أهم أفكـارهم

---

(1) الدكتور القس حنا الخضري " تاريخ الفكر المسيحي " المجلد الأول صـ237 .

التعجيل بالخلاص. والأدب الحسيدي مليء بالكثير من التفاصيل عن موعد الخلاص ووصف الحدث نفسه، ويرون أن الهجرة إلى فلسطين تعجل بالخلاص ومجيء المسيح[1]. ومن أفكارهم أنه يجب التقرب من العلمانيين اليهود والعمل بينهم طمعاً في توبتهم التي تعتبر في نظر الحركة شرطاً لقدوم المسيح المنتظر.

وتقف حركة حبد على رأس القوى التي تدعو إلى تعديل قانون من هو اليهودي لاعتقادهم أن ذلك سيحافظ على نقاء الشعب اليهودي، مما يمهد الطريق لقدوم المسيح. ومن أهم الحاخامات الداعين لفكرة انتظار المسيح المخلص الحاخام مناحيم، فهو يرى أن اختراع الراديو واكتشاف الأمواج الإلكترومغناطيسية إنما هو تأكيد مادي محسوس على قرب قدوم المسيح المخلص لأن الأرض تمتلئ باسم الله.

ولدى الحاخام شينؤورسن آراء واسعة حول مفهوم المسيح المخلص، فهي فكرة مركزية ظلت تسيطر عل عقله، ويقول في ذلك: إن الفترة التي نعيشها هي الفترة التي يجب أن يأتي فيها المسيح، وعندما اندلعت حرب عام 1967م اعتبر أن النصر الذي حققه الكيان الصهيوني يشير إلى بداية الخلاص واقتراب ظهور المسيح، وعندما اندلعت حرب1973م طالب باحتلال دمشق كشرط لتحقيق الخلاص. وقد ألمح أكثر من مرة إلى أنه في الحقيقة هو المسيح المخلص.

ويسود الاعتقاد بين أفراد حركة حبد أن هذا الحاخام هو المسيح. وتؤكد الرسالة المسيحانية لحركة حبد التزام هذه الفئة بالإيمان بمجيء المسيح المخلص، وقد كرس الحاخام شنيؤورسن وقتاً طويلاً للكتابة عن أيام المسيح في محاولة لمد جسر بين الأوصاف التلمودية والقبّالية للتغييرات العجيبة التي ستحدث بوساطة الخلاص.

ويرى هذا الحاخام أن الوقت قد حان لمجيء المسيح، ويرى أن على اليهود أن يزيدوا من الشوق للمسيح والبهجة من أجل مقدمه القريب لأنه حينئذ سيظهر فجأة[2].

ويرى هذا الحاخام أن الانقلابات الهادئة في أوربا الشرقية، ونهاية الحرب الباردة والتقارب بين الصين والغرب وحرب الخليج على أنها علامات مسيحانية وأنها تدل على

---

(1) رشاد عبد الله الشامي " القوى الدينية في إسرائيل صـ248.

(2) المرجع السابق صـ 284ـ285.

أن العالم آخذ في الاقتراب من عصر المسيح .

ويرى أن انسحاب القوات الإسرائيلية من أي أرض عربية كانت قد احتلتها سيكون خطوة مناقضة لمجيء المسيح ، ويرى أن المسيح سوف يقيم ثلاث مدن ملجأ في شرق الأردن .

ويرى أنه عندما يأتي المسيح سوف يرتقي البشر والحيوانات إلى مستوى أعلى في معرفة القدوس . وقد أثارت مسألة إعلان هذا الحاخام أنه المسيح المنتظر موجة من الغضب والسخرية لدى طائفة يهودية ثانية وهي طائفة ساطمر ، وهذه الطائفة تؤمن إيماناً كاملاً بمجيء المسيح ، وليس هناك شك في أنه سيأتي حسب رؤيتهم ، ولكنهم يرفضون أن يكون الحاخام مناحيم هو المسيح .

المسيح المنتظر في المسيحية البروتستانتية

تختلف رؤية المذاهب المسيحية فيما يسمى المسيح المنتظر، فالكاثوليك يؤمنون بأن المسيح سيعود في الدينونة ليحاسب الناس ويوم الدينونة هو يوم الآخرة حيث يذهب الصالحون إلى الجنة ويذهب الأشقياء إلى النار.

وتؤمن الأرثوذكسية بهذا المبدأ، إلا أنها ترى أن آخر الزمان سيشهد مجيء ما يسمى المسيح الدجال، وقد أفردوا له أحاديث طويلة، ربطت مجيئه بالشيطان وعبادته وبمظاهر فاسدة عدة تنخر المجتمعات.

أما فكرة مجيء المخلص في الرؤية البروتستانتية فإنها تأخذ منحى مغايراً تماماً ولهذا آثرنا أن نضع العنوان السابق، ليقتصر حديثنا على هذه الفئة التي تؤثر تأثيراً بالغاً في أميركا وسياساتها تجاه العالم.

لقد اعتبر الآباء الكنسيون أن القدس مدينة العهد الجديد وأن فلسطين هي إرث المسيح وهي للمسيحيين وليس لليهود.

وعندما بدأت البروتستانتية نشر مبادئها تنكرت لهذا الاعتقاد وقالت بأن اليهود هم الأمة المفضلة، وأن عودتهم إلى أرض فلسطين تحقق وعد الله وأن العودة ضرورية لعودة المسيح وقيام مملكته مدة ألف عام (الألفية)، وتعتقد البروتستانتية أن عودة اليهود إلى فلسطين وعودة المسيح يمكن تحقيقهما بعمل البشر.

في عام 1839م نشر اللورد شافستري مقالاً يقع في ثلاثين صفحة أكد فيه أن اليهود سيبقون غرباء حتى يعودوا إلى فلسطين، وأن الإنسان قادر على تحقيق إرادة الله بتسهيل هذه العودة وأن اليهود هم الأمل في تجدد المسيحية وعودة المسيح[1].

وتعتقد الصهيونية المسيحية أن ثلاث إشارات يجب أن تسبق عودة المسيح:

الإشارة الأولى: هي قيام إسرائيل وقد قامت عام 1948م ولذلك اعتبر الصهاينة المسيحيون في أميركا هذا الحدث أعظم حدث في التاريخ لأنه جاء مصدقاً للنبوءة الدينية.

---

(1) محمد السماك: الإنجيلية الصهيونية ـ مركز دراسات العالم الإسلامي صـ46.

الإشارة الثانية : هي احتلال القدس ، وقد احتلت عام 1967م . ويرى المسيحيون الصهاينة أن القدس هي المدينة التي سيمارس المسيح حكم العالم منها بعد قدومه الثاني المنتظر .

الإشارة الثالثة : إعادة بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى .

وبعد اكتمال مشروع بناء الهيكل ستقع المعركة النووية هرمجدون حسب ما يعتقدون ، ويظهر المسيح فوقها مباشرة وسيرفع إليه بالجسد المؤمنين به ليحكم العالم من القدس مدة ألف عام تقوم بعدها القيامة .

ويتصور زعماء البروتستانتية في أميركا أن عودة المسيح ترتبط بقيام حرب نووية عالمية .

حتى أن الكاتب الأميركي هول ليندسي يقول : فكروا في الأمر ، 200 مليون جندي على الأقل من الشرق مع ملايين أخرى من قوات الغرب من الإمبراطورية الرومانية المتجددة (أوروبة الغربية) سيضرب المسيح أولئك الذين اجتاحوا مدينة القدس ، لا عجب أن يسيل الدم ليصل إلى ألجمة الخيل على طول مسافة 200ميل من القدس ، إن هذا الوادي سوف يملأ بالآلات الحديثة وبالحيوانات وبأجساد الرجال والدم[1] .

ويقول كلايد أحد أهم المفكرين الأميركان والمؤمنين بعودة المسيح عن هرمجدون : (في هذه المعركة الأخيرة فإن قوى أمم الأرض قاطبة سوف تحارب المسيح الملك وقديسيه الممجدين ، وكما نعرف فإن المسيح في المعركة الدموية سوف يدمر الملايين)[2] .

ويقول : في الواقع نستطيع أن نتوقع أن يبادر المسيح إلى توجيه الضربة الأولى فسوف يستخدم سلاحاً جديداً وسيكون لهذا السلاح نفس النتائج التي تسببها القنبلة النيترونية .

ويرى أنه لن يكون هناك سلام حتى يعود المسيح ويجلس على عرش داود .

أما جيري فولويل - وهو من أكبر دعاة الصهيونية البروتستانتية الأميركية - فيرى أن المسيح يبدو على هيئة رجل يمتطي حصاناً أبيض وبينما تقترب هرمجدون حيث يموت الملايين فإن السيد المسيح سيلقي بالوحش والنبي الدجال ـ عدو المسيح في بحيرة من نار

---

(1) غريس هالسل ـ يد الله ـ ترجمة محمد السماك صـ23 ـ دار الشروق ط1 ـ2000م القاهرة .

(2) المرجع السابق ـ صـ28 .

وكبريت ملتهب[1] . وهناك في المعتقدات المسيحية البروتستانتية ما يسمى النشوة الدينية . وهي ترتبط بما بعد المعركة الكبرى التي يقودها المسيح .

فيرى كلايد - وهو أيضاً من دعاة الصهيونية الأميركية - أن المسيح نفسه سوف ينزل من السماء وبصرخة يطلقها كبير الملائكة وببوق الرب ، وسيقوم أولئك الذين ماتوا وهم مؤمنين بالمسيح وبعد ذلك فإننا نحن الذين بقينا على قيد الحياة سوف نجتمع معهم في السحب لمقابلة السيد في الهواء .

ويقول : سيأتي المسيح للمرة الثانية ليأخذ قديسيه ، ثم سيعود بالتأكيد للقتال في هرمجدون ، ولكن لا داعي لإحصاء عدد المرات التي يأتي بها من أجل النشوة الدينية فسوف يحقق ذلك في السماء .

والنشوة الدينية تشكل مفتاحاً لا يمكن الاستغناء عنه لفهم العقيدة الجديدة التي انبثقت كمنطق عام للأصولية البروتستانتية الحديثة منذ أقل من 200 سنة .

فطوال 1800 سنة تمسك أتباع المسيح بعقيدة تقول بعودته يوما ما .

إن معظم الكتابات الدينية تقول : إن ذلك سوف يحدث بعد فترة من المعاناة الجديدة غير أن رجلين اثنين يتحملان مسؤولية تقديم تفسير جديد للنصوص الدينية يقولان إن المسيحيين الناجين سوف ينعمون بالنشوة الدينية الكبرى قبل المحنة الكبرى وهما جون داربي وسكوفيلد .

غير أن ما نلاحظه في الإنجيلية البروتستانتية أن زعماءها يستخدمون التفسير والتأويل الإنجيلي ليجيروه لصالح تفكيرهم وتصوراتهم حول المسيح المخلص وما يدعى معركة هرمجدون .

تقول غريس هالسل صاحبة كتاب النبوءة والسياسة وكتاب يد الله ـ وكانت من كبار موظفي وزارة الدفاع الأمريكية : خلال زيارتي للحج في الأراضي المسيحية المقدسة تحت إشراف فولويل لاحظت أن (براد) وهو من أتباع فولويل كان يحمل معه صباح كل يوم الكتاب المقدس الذي وصفه لي بأنه الإنجيل المرجعي لسكوفيلد ، فسألته يوماً هل هذا

---

(1) غريس هالسل ـ يد الله ـ ترجمة محمد السماك صـ37 ـ دار الشروق ط1 ـ2000م القاهرة .

الإنجيل يختلف عن نسخة الملك جيمس مثلاً فرد (براد) شارحاً : يساعدنا سكوفيلد على فهم مقاطع قد لا تبدو لنا واضحة[1] . والواقع أن سكوفيلد عندما كان يقرأ الكتاب المقدس شعر بأن بعض الفقرات التي كان يقرؤها كانت تكشف عن خطوات معينة يحتاج المسيحيون إلى اتخاذها من أجل تسريع عودة المسيح .

وقد أصبح إنجيل سكوفيلد الأكثر انتشاراً في المسيحية كلها . تقول هالسل : سألت براد هل رأى سكوفيلد كل الأحداث المتمحورة حول إعادة إسرائيل إلى الوجود؟ فأجاب : نعم هكذا هو الأمر فعلى اليهود أن يفعلوا ما يجب أن يفعلوه حتى يعود المسيح .

وعدت إلى السؤال وماذا بعد الانتصار في هرمجدون؟ فرد براد : سوف يجلس المسيح على عرش داود . وقلت : في معبد يهودي؟ قال : نعم سوف يحكم العالم وهو جالس على عرش داود[1] .

ويرى بعض علماء اللاهوت البروتستانت أن سكوفيلد ونظريته القدرية ليست سوى تعدّ على الإنجيل وتحريف له . فالدكتور غراهام وهو لاهوتي بروتستانتي يسفّه سكوفيلد ونظريته ويرى أن تفسير النبوءات لا يزيد عمره على 150 سنة ، ويرى أن نظام سكوفيلد لتفسير الكتاب المقدس يقضي على وحدة هذا الكتاب ، ويقضي بصورة خاصة على وحدة محبة الله وعطفه على الإنسانية وعلى مدى الأجيال كلها ، إنه ينتهك معنى المسيح والمسيحية . إن هذا الانتهاك يتم من خلال تحويل المسيحيين إلى رهائن لما يفعله اليهود اليوم .

إن القدرية عند سكوفيلد تضع ليس المسيح فقط بل اليهود وإسرائيل أيضاً في مركزية المسرح ، ومن خلال الاعتقاد بأن للدولة اليهودية الأولوية عند الله يجعل من أرض إسرائيل عقيدة ، إنها تضع الدولة اليهودية وأفضليتها عند الله فوق الكنيسة وفوق تعاليم رئيسها السيد المسيح .

والقدرية عند سكوفيلد لا تجعل من المسيح ومن المسيحية وحدها رهائن ، ولكنها تجعل من الله رهينةً أيضاً ، إنها تعلم أن الله لا يستطيع أن يسمح للمسيح بالعودة حتى يقوم اليهود بدورهم الأرضي استناداً إلى سيناريو أعده سكوفيلد نفسه . وتعلم القدرية عند سكوفيلد أن المسيح سيعود لإقامة مملكة يهودية وأنه سيجلس على العرش في المعبد

---

(1) غريس هالسل : يد الله ـ مرجع سبق ذكره صـ49 .

الثالث في القدس مترئساً الصلاة بأسلوب العهد القديم[1] .

ومع أن القدرية البروتستانتية تعتقد أن المسيح سيأتي ليحكم على عرش داود فإنهم أيضاً يبثون تعاليمهم بشأن حتمية إيمان اليهود بالمسيح .

يرى سكوفيلد أن المسيح سيقود في مجدو قوات الخير ضد قوات الشر وأن ثلثي اليهود سوف يقتلون هنا استناداً إلى إصحاح زكريا 9 ـ 8 / 13 ، وبعد عملية حسابية قال : سيقتل ثمانية ملايين يهودي وعلى 200 ميل سيرتفع الدم إلى ألجمة الخيول .

ويقول كلايد وهو من تلاميذ سكوفيلد : إن الله يفعل ذلك خصيصاً من أجل شعبه القديم اليهود .

لقد وضع خطة في سبع سنوات لنهاية الزمن من أجل تطهير اليهود وتمكينهم من رؤية النور والاعتراف بالمسيح مخلصاً لهم .

إن الله يريد تطهيرهم ويريدهم أن ينحنوا أمام "ابنه" سيدنا المسيح ، وسيبقى معهم 144 ألفاً ومن ثم سيتحولون إلى المسيح ، بعد معركة هرمجدون لن يبقى سوى 144 ألفاً من اليهود . إن كل رجل أو امرأة أو طفل من هؤلاء اليهود سوف ينحني للمسيح .

وعلى ضوء ذلك فإن المفترض أن يكون المسيحيون الأصوليون في أميركا ضد اليهود لأنهم لا يؤمنون بالمسيح ، وهم يفسرون النص الديني على أنه يقول : إن على جميع اليهود الإيمان بالمسيح أو القتل في معركة هرمجدون .

---

(1) غريس هالسل : يد الله ـ مرجع سبق ذكره صـ50 .

خاتمة

هل بلغنا الغاية في الكشف عن العلاقة بين كتاب موسى والتوراة؟ هل استطعنا أن نكشف أساليب التحريف اليهودي لما أوحى به الله للأنبياء؟ وهل وضعنا يدنا على تلك الإسرائيليات التي دُست في تراثنا الإسلامي؟ هل اكتفينا بشهادة بعض أحبار اليهود الذين أسلموا حول النبي المنتظر وصفاته المبثوثة في التوراة والإنجيل؟

أم مازلنا بحاجة لمزيد من البحث والتحليل حتى نصل الغاية القصوى من فتح العقول والنفوس على عالم بدأ منذ آلاف السنين ولم ينته بعد؟.

عندما ننظر متلفّتين حولنا نرى العالم يتخبط في أفكاره، وسلوك أفراده. نرى صراعات دامية تحدث هنا وتجري هناك. ومرد ذلك إلى اعتقادات منحرفة وتخيلات شاطحة. وتنبؤات كاذبة، وطمع في الاستئثار والاستعلاء والعنصرية.

فهل ندري من وراء ذلك كله؟ لا نبالغ إذا قلنا: إن الذين حرفوا كلام الله قبل آلاف السنين زرعوا التحريف في أرجاء الأرض، وصادموا بين الإنسان والإنسان وصارعوا بين الحضارات، وخلقوا الفتن والحروب والقتل والاغتصاب، حتى يظلوا بمنأى عن الاستئصال والنفي لأنهم منبع تحريف العقل البشري والوجدان الإنساني.

فالذي يتجرأ على الله ليس غريباً أن يتجرأ على البشر، على القيم، والفلسفة، والمشاعر والعواطف والعادات والتقاليد الحميدة الأصيلة، ليس غريباً أن يتجرأ على كل إنجازات العقل البشري من حضارة وعلم وتواصل بين الشعوب.

ولعل بني إسرائيل منذ أول ظهور لهم وحتى ظهور أتباعهم من اليهود والمتهودين أصبحوا النموذج العالمي الشاذ المنحرف، فلا تجد عقلية تشابه عقليتهم، ولا نفوساً تشابه نفوسهم حتى لو ذهبت إلى مجاهل إفريقيا والأمازون وأستراليا.

ولذلك ليس غريباً أن يتناولهم القرآن الكريم بالتفصيل، فيكشف خبايا نفوسهم ويفضح ميولهم وسلوكهم المشين، ويدحض مزاعمهم وافتراءاتهم وتحريفاتهم، فلم يُعث نبي إلا ظلموه وحاربوه وأعجزوه، ولم يُبعث رسول إلا تآمروا عليه فإما قتلوه شر

قتلة وإما طاردوه أو أهانوه وحرّضوا على قتله كفار الوثنية والأساطير من رومان أو فرس أو إغريق .

وإن جادلتهم بالتي هي أحسن ظنوك ضعيفاً مهاناً فاستقووا عليك ، وإن طرحت لهم طريق الهدى ظنوك مجنوناً وألصقوا بك تهمة السحر والشعوذة ، وإن دعوتهم إلى كلمة سواء ألا يُعبد إلا الله وحده رفضوا وادّعوا لهم رباً آخر .

ويأتون اليوم كي يمتلكوا المال والإعلام وأساليب الرعب ، فتقع أوروبا تحت إرهابهم فتخشى أن تدين جرائمهم على الرغم من أنها واضحة للعيان ، وتخاف من غضبهم فلا تستطيع رد مطالبهم وأطماعهم العالمية المالية والعسكرية ، ويصلون إلى ما يسمى هيئة الأمم المتحدة فيتسلطون عليها بكل الأساليب ويدفعون العالم كله لتغيير المثل والقيم التي تعارف عليها البشر ، ويصنعون تلك المصطلحات التي تحرف الحقائق وتزيّف الوقائع . اخترعوا الهولوكست ، واللاسامية ، والإرهاب ، وجيشوا كل أموالهم ونسائهم ورجال أعمالهم لإرهاب الشعوب حتى لا تكذّب هذه الخدعة أو تلك الكذبة الكبرى .

وعندما نبحث في هذه الفصول السابقة نريد أن نقول للمسلمين أولاً وشعوب العالم كلها بما فيها اليهود والمتهودين : إن موسى النبي لم يدع للعنصرية ، ولم يقل بشعب الله المختار ولكن المتعفنين من زعماء بني إسرائيل حرفوا كلام الله وكلام موسى فبدت عقيدة موسى عقيدة عنصرية دموية . وبدت تعاليم داود وسليمان تعاليم ملوك وزعماء وليست تعاليم دين توحيدي أمر الله به منذ أن خلق أول إنسان .

خلطوا في أسفارهم ما هو منسوب لموسى عليه السلام وما هو منسوب لغيره من أنبياء وزعماء دينيين ، وقالوا : إن التوراة العبرانية بأسفارها التسعة والثلاثين هي كلام الله ! وما هي بكلام الله ، إنما هي قصص وأساطير وخرافات وتشريعات بشرية صنعها عزرا الكاتب ومعاونوه من كتبة بني إسرائيل .

وما نزل على موسى عليه السلام هو كتاب فيه هدى ونور ، لكنهم حرفوه حتى بدا ضلالاً وظلاماً لا يهدي إلا إلى التهلكة ومحالفة الشيطان . وأنزل الله التوراة على أنبياء بني إسرائيل لينقذهم من الشرك والضلال والانحراف وحب المال والدنيا لكنهم أصروا على أن يشركوا ويضلوا وينحرفوا ويعبدوا المال والدنيا حتى أصبح واحدهم يودّ لو يعمر ألف سنة .

وما بالهم ينقسمون على أنفسهم فلا يقرون بالتوراة السامرية التي لا تعترف إلا بأسفار خمسة نسبوها للنبي موسى عليه السلام، وما بالهم لا يقرون بالتوراة اليونانية التي تزيد أسفارها عن أسفار العبرانية بعدد من الأسفار التاريخية!؟.

ثم ما بالهم لا يكتفون بهذه الأشكال الثلاثة من التوراة فيخترعون ما يسمى التلمود ويدعون أنه الوحي الشفهي الذي لم يكتبه موسى وبقية الأنبياء ولم يدوّن إلا على أيدي أحبارهم الخارجين من كهوف العقد النفسية والجنسية والعنصرية!؟ فليتنبه أبناء البشرية أياً كانت عقائدهم، ليتنبهوا إلى هذه الفئة الشاذة عن البشر إلى هؤلاء الذين عُجنوا على التحريف والحقد والدموية وكره الآخرين، ليتنبهوا إلى هذا الخطر الفاحش على شعوب الأرض وأمم الإنسانية جمعاء.

المصادر والمراجع

1 ـ القرآن الكريم .

2 ـ محمد طه الدرة ـ تفسير القرآن وبيانه وإعرابه ـ المجلد الخامس والثالث ـ دار الحكمة ـ دمشق 1985 .

3 ـ السيوطي ـ الدر المنثور في التفسير المأثور ـ الجزء السادس .

4 ـ التوراة العهد القديم .

5 ـ التوراة السامرية .

6 ـ سبينوزا ـ الرسالة في اللاهوت والسياسة ـ نقلاً عن كتاب محمد عبدالله الشرقاوي ـ مقارنة أديان .

7 ـ محمد علي برو العاملي : الكتاب المقدس في الميزان .

8 ـ رحمة الله الهندي ـ إظهار الحق .

9 ـ أحمد حجازي السقا ـ نقد التوراة أسفار موسى الخمسة .

10 ـ السموأل بن يحيى المغربي ـ غاية المقصود في الرد على اليهود ـ مخطوط .

11 ـ إسرائيل بين شموئيل الأورشليمي ـ الرسالة السبعية في إبطال الديانة اليهودية ـ ملحق بـ كتاب غاية المقصود ـ مخطوط .

12 ـ أ. ريجسكي ـ ترجمة آحو يوسف ـ أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية .

13 ـ ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ المجلد الأول .

14 ـ الثعلبي النيسابوري ـ عرائس المروج في قصص الأنبياء .

15 ـ كتاب المزامير ـ دار المشرق ـ بيروت .

16 ـ فخري عطية ـ دراسات في سفر المزامير ـ ج1 ـ نقلاً عن كتاب التراث الإسرائيلي للدكتور صبري طعيمة .

17 ـ مزامير النبي داود في السحر والتنجيم ـ أحمد حجازي السقا ـ مدبولي الصغير ـ ط1 ـ 2001 ـ القاهرة .

18 ـ محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير .

19 ـ الأناجيل الأربعة : متى . مرقص . لوقا . يوحنا ـ ط1 ـ دار الكتاب المقدس ـ دمشق/ بيروت .

20 ـ صبري جريس ـ تاريخ الصهيونية 1892 ـ 1917 ـ الجزء الأول ـ ط2 ـ القدس 1978 .

21 ـ الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية ـ إشراف أنيس صايغ ـ ترجمة لطفي العابد وموسى عنزة ـ مركز الأبحاث الفلسطيني ـ بيروت 1970 .

22 ـ د. رشاد عبدالله الشامي ـ القوى الدينية في إسرائيل ـ عالم المعرفة ـ العدد 186 ـ حزيران 1994 ـ ط1 .

23 ـ موشي هوروفيتش ـ الحاخام شاخ بيده المفتاح ـ طبعة كيتر ـ القدس ـ ط1 ـ 1989 .

24 ـ حسن ظاظا ـ الفكر الديني اليهودي ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط3 ـ 1995 .

سيرة ذاتية

الاسم : حسن مصطفى الباش ـ مواليد : فلسطين طيرة حيفا عام 1947 .

الوضع العائلي : متزوج .

الدراسة الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدارس وكالة الغوث والمدارس الحكومية في دمشق .

الإجازة الجامعية : إجازة في الآداب قسم اللغة العربية جامعة دمشق عام 1973 .

الدراسات العليا : درجة الماجستير في مقارنة الأديان ـ جامعة الدراسات الإسلامية/ فرع القاهرة (التوراة والقرآن أين يتفقان وأين يفترقان 2001) .

درجة الدكتوراه في مقارنة الأديان/ جامعة الدراسات الإسلامية فرع القاهرة (العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل عام 2003) .

عضو الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

عضو اتحاد الكتاب العرب جمعية الدراسات والبحوث منذ عام 1986 .

مدير تحرير مجلة الأمة الصادرة في دمشق ولمدة عامين 1991 ـ 1993 .

عضو هيئة تحرير مجلة الإسلام وفلسطين لمدة أربع سنوات .

رئيس تحرير مجلة المجاهد الفكرية السياسية .

مستشار منتدى العودة للدفاع عن القدس وفلسطين .

المؤلفات

بلغ عدد المؤلفات ستة وثلاثين كتاباً وهي متسلسلة كالآتي :

. في الشعر:

1 ـ مجموعة شعرية بعنوان من الجرح يبتدئ البرق ـ اتحاد الكتاب العرب عام 1977 .

2 ـ مجموعة بعنوان مسافر وزادي معي – بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب عام 1983 .

. في التراث الشعبي:

1 ـ الأغنية الشعبية الفلسطينية – دراسة – ط1 1977 ط2 1986 دار الجليل ـ دمشق .

2 ـ أغاني وألعاب الأطفال في التراث الشعبي – دراسة – ط1 1984 ط2 1985 دار الجليل ـ دمشق .

3 ـ المعتقدات الشعبية في التراث الشعبي ط1 دار الجليل 1986 .

4 ـ الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي – دراسة – دار الجليل دمشق 1987 .

5 ـ البيت الشعبي الفلسطيني – دراسة مختصرة – دار المبتدأ دمشق 1989 .

6 ـ العرس الفلسطيني – دراسة موجزة – دار المبتدأ دمشق 1992 .

دراسات خاصة بالقدس والمسجد الأقصى:

1 - القدس بين رؤيتين - دراسة -- دار قتيبة 1998 دمشق .

2 - الأماكن الإسلامية المقدسة حق المسلمين الضائع - دراسة - دار ذي قار لندن 1995 .

3 - القدس في ظل الدولة الإسلامية - طرابلس ليبيا 2001 .

4 - مكانة القدس في القرآن والسنة النبوية - طرابلس ليبيا 2001 .

5 - القدس بين مشروعية الجهاد والخضوع لأعداء الإسلام - طرابلس ليبيا 2001 .

6 - القدس من الإسراء إلى وعد الآخرة ومركزية فلسطين في الصراع الكوني - دار قتيبة دمشق 2003 .

. في الصراع العربي . الصهيوني:

1 - الفكرة الصهيونية والأدب العنصري - دراسة -- دار الإمام البخاري دمشق 1978 .

2 - بروتوكولات صهيون من التنظير إلى التدمير - دراسة - دار قتيبة دمشق 1990 .

3 - التربية الصهيونية من عنصرية التوراة إلى دموية الاحتلال - دراسة - دار قتيبة 1990 .

4 - صدام الحضارات/ حتمية قدرية أم لوثة بشرية - دار قتيبة دمشق 2002 .

. في الدراسات الإسلامية:

1 - موقف الإسلام من السحر والخرافة - دراسة - دار حطين دمشق 1993 .

2 - منهج الجهاد القرآني - دار ميّ للدراسات بيروت 1991 .

3 - زحف العنصرية ومواجهة الإسلام - دراسة - دار قتيبة دمشق 1997 .

4 - عز الدين القسام شيخ المجاهدين - دراسة موجزة - دار المبتدأ دمشق 1993 .

5 - القرآن وحوار العقل - دراسة - جمعية الدعوة الإسلامية المغرب الرباط 1996 .

6 - الإنسان في ميزان القرآن - دراسة - جمعية الدعوة الإسلامية ليبيا طرابلس 1991 .

7 - مولد محمد مفتاح التاريخ الإسلامي - جمعية الدعوة الإسلامية ليبيا طرابلس 1996 .

8 - ختم النبوة وآفاق المشروع الإسلامي الحضاري - جمعية الدعوة طرابلس ليبيا 2000 .

9 - العمليات الاستشهادية في دائرة الجهاد - دار قتيبة دمشق 2003 .

في الأديان ومقارنة الأديان:

1 - العقائد الوثنية في الديانة اليهودية - دراسة - دار قتيبة دمشق 1991 .

2 - التوراة والقرآن أين يتفقان وأين يفترقان - ثلاث مجلدات - دراسة موسعة - الطبعة الأولى 1999 - الطبعة الثانية 2001 دار قتيبة دمشق .

3 - العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل - دراسة موسعة من مجلدين - دار قتيبة دمشق 2002 .

4 - حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان - دراسة - جمعية الدعوة طرابلس ليبيا 1997 .

5 - عبدة الشيطان وحركات انحرافية أخرى - دراسة -دار قتيبة دمشق 2002 .

6 - الكتاب والتوراة/ عندما باع الحاخامات موسى (ع) دار قتيبة دمشق 2003 .

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة

بسبب التحريف الذي قصده بنو إسرائيل، أصبحت الدراسات تحتاج إلى كشف الغموض الذي أحاط بأحداث حياتهم .

ومما زاد في الإشكالات، وجود أكثر من كتاب يطلقون عليه إسم التوراة، فهناك :

التوراة العبرانية

التوراة السامرية

التوراة السبعينية اليونانية

وكل توراة تختلف عن الأخرى من حيث عدد أسفارها وأسلوب كتابتها ومنهجها الديني والعقيدي وجميعها ترى أنها الصحيحة وما عداها غير صحيح ولا يؤخذ به .